القافلة

مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين • العدد 2 • مجلد 64 • مارس / أبريل 2015



التقرير ←

اتجاهات القراءة في المجتمع السعودي

الورشة: كتابة السيناريو ←

عين وعدسة: زيارة إلى بيت ابن خلدون ←

لماذا ندفع البقشيش؟ ←

الملف

كوكب الهاتف الذكي ←

القافلة

مجلة ثقافية منوعة تصدر كل شهرين
العدد 2 • مجلد 64
مارس / أبريل 2015

توزع مجاناً للمشتركين
• العنوان: أرامكو السعودية
ص.ب 1389 الظهران 31311
المملكة العربية السعودية

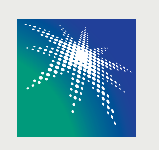
• البريد الإلكتروني:
alqafilah@aramco.com.sa

• الموقع الإلكتروني:
www.qafilah.com

• الهواتف :
فريق التحرير: 0175 876 13 966+
الاشتراكات: 0477 876 13 966+
فاكس: 0303 876 13 966+



الغلاف | تقرير «اتجاهات القراءة وأنماطها في المجتمع السعودي» هو تلخيص مكثّف للدراسة التي تحمل العنوان نفسه، والتي أنجزها مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي، الذراع الثقافية لأرامكو السعودية، في مسعى لفهم العلاقة بين المواطن السعودي والقراءة، بصفتها دليل تَقَدُّم الأمم ورقيها، واقتراح الحلول التي تعزِّز الإقبال على القراءة لدى الصغار والكبار.



النـــــاشر
شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو السعودية)، الظهران

رئيس الشركة، كبير إدارييها التنفيذيين
خالد بن عبدالعزيز الفالح

المدير التنفيذي لشؤون أرامكو السعودية
ناصر بن عبدالرزاق النفيسي

مدير عام دائرة الشؤون العامة
عصام زين العابدين توفيق

رئيس التحرير
محمد الدميني

تصميم وتحرير



www.mohtaraf.com

طباعة
شركة مطابع التريكي
www.altraiki.com

ردمد ISSN 1319-0547

محتوى العدد

الرحلة معاً

المحطة الأولى

علوم وطاقة

حياتنا اليوم

أدب وفنون

التقرير

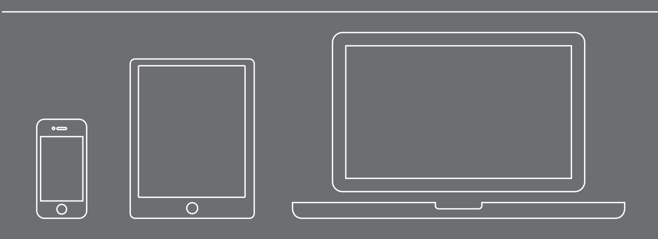
الملف

@QafilahMagazine

القافلة أونلاين



www.qafilah.com



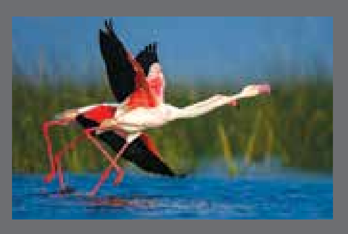
تصفّح القافلة أونلاين بحلَّة جديدة وموضوعات موسّعة تشمل الأفلام الوثائقية والمقابلات المسجلة والشعر بالصوت والصورة.



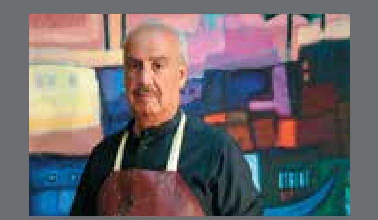
ورشة عمل | كتابة السيناريو فن أدبي مستقل عن كافة الألوان الأخرى، لارتباطه الوثيق بصناعة السينما، ولتوجهه إلى قارئ تنفيذي واحد هو المخرج الذي يجعله مرئياً للمشاهدين. وفي إطار تنمية مهارات كتابة السيناريو، كانت ورشة العمل هذه التي أقيمت مؤخراً في الدمام.



عين وعدسة | في تونس العاصمة، وتحديداً في المنطقة المعروفة باسم «نهج تربة الباي»، لا يزال البيت الذي ولد ونشأ فيه ابن خلدون، قائماً، وكذلك الكتّاب القريب منه، حيث كانت بداية عهده بالعلم.



فنان ومكان | هل عرف مهندس الإلكترونيات سودير شيفارام أن نزهاته في الغابات المحيطة بمدينة ميسور في ولاية كارناتاكا الهندية، ستحيد بحياته عن مجراها المرسوم لها، لتحوله إلى واحد من ألمع المصوِّرين الفوتوغرافيين المتخصصين بالحياة البرية، على مستوى الهند والعالم؟ هذا ما حصل بالفعل.



فرشاة وإزميل | عبدالله الشيخ واحد من ألمع الأسماء وأعرقها على الساحة التشكيلية في المملكة، إذ حضرت أعماله في أكثر من ستين معرضاً على مدى أكثر من ثلث قرن، تنوعت فيها أعماله، وتبدلت بتبدل حال العالم من حوله. وإلى محترفه في الظهران كانت لنا هذه الزيارة.



طاقة | يقوم عدد من الشركات البترولية حول العالم بدور فاعل في دعم تطوير تقنيات جديدة للطاقة المتجدِّدة والمساهمة في إنشاء شركات للطاقة لتنويع مصادر الطاقة المتوافرة لديها. ويمكن أن تستفيد الصناعة البترولية وقطاع الطاقة المتجددة من العمل سوياً خاصة مع سهولة تركيب أجهزة الطاقة الشمسية في الأماكن التي يصعب إيصال الكهرباء أو نقل الوقود إليها.

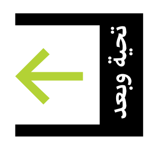


الملف | صار الهاتف الذكي وسيلة لمشاهدة قنوات التلفزيون وقراءة الصحف، وتحديد المواقع، وآلة تصوير وتسجيل، ووسيلة تسوّق وإدارة الحسابات المصرفية، وصندوق بريد إلكتروني، كما يمكننا من خلاله متابعة الدراسة الجامعية عن بُعد، وطرد البعوض من حولنا إن كنّا في الغابة، وغير ذلك الكثير.. دون أن ننسى طبعاً التحدث من خلاله مع الآخرين.

مِن رئيس التحرير

الرحلة معاً"

هل المجتمع السعودي يقرأ؟



هل يقرأ المجتمع السعودي؟ تلك الطوابير من البشر التي تحتشد في معرض الكتاب بالرياض كل عام، وتغرف من صنوف الكتب والمؤلفات، هل تقرأ وتهضم ما تقرأه؟ هل تؤثر تلك الأدوات المعرفية في أفكار الناس صغاراً وكباراً وفي سلوكهم ووعيهم؟ وهل تشفع لنا في الدخول إلى عصر المعرفة؟.

عليّ أن أشير ابتداءً إلى أن الكتاب، ورقياً كان أو رقمياً، هو سلعة، وهو لدى الأمم الأخرى صناعة ضخمة ومتكاملة لها منتجوها ومصنّعوها ومستهلكوها، ولم تصبح سلعة لدينا إلَّا في العقد الأخير، وهذه السلعة كباقي السلع تتعرَّض للاستهلاك زاد أم نقص، وأظن أن في شرائنا المبالغ فيه للكتب والمطبوعات الأخرى شيء من الطابع الاستهلاكي الذي غلب على حياتنا منذ طفرة السبعينيات وحتى اليوم. ولهذا نجد في بيوتنا كتباً ودوريات مكدسة منذ عقد وأكثر دون أن تمْسَسها يد، والفرق بين الكتب التي نراكمها فوق الرفوف وبين غيرها من الأصناف الاستهلاكية هو تاريخ الصلاحية، فنحن نعتقد أن الكتب هي أدوات مطلقة الصلاحية لكن الحقيقة هي أن بعض الكتب التي يمضي عليها بضع سنوات قبل أن تُفتح، ينتهي تاريخ صلاحيتها وتصبح في حكم الغائب!.

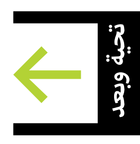
بين أيدينا الآن دراسة مسحية شاملة، هي أدق مرجع عن الحالة القرائية في السعودية، أنجزها مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي، وهو من المبادرات المعرفية لأرامكو السعودية، وصدرت تحت عنوان: «القراءة ومجتمع المعرفة- اتجاهات القراءة وأنماطها في المجتمع السعودي». هذه الدراسة التي تقرؤون ملخصها في تقرير هذا العدد، أُنجزت بروح علمية ومنهجية، وعمل عليها فريق متنوّع في جميع مدن المملكة وقراها، ولم توفر شريحة اجتماعية أو مهنية أو فئة عمرية دون أن تطرق أبوابها.

كان الهدف شفافاً وصادقاً لا دعائياً هو التعرف على اتجاهات القراءة وأنماطها وبيان مصادر التزود بالمعرفة لدى المجتمع عبر مختلف الأعمار والشرائح الاجتماعية، وتشخيص العوامل التي تسهم في اندماج أفراد المجتمع في القراءة. والمركز، الذي تبنى هذه الدراسة، لم يكن يطمح إلَّا إلى قراءة الأفق المعرفي والقرائي لشرائح المجتمع بكل واقعية لكي يضع برامجه ونشاطاته في سياق رؤيته كنموذج وطني يحتذى في عصر التحولات المعرفية والرقمية الكبرى.

والدراسة المسحية هذه لم تستثن أحداً من رياض الأطفال وحتى المدارس بكل مراحلها والجامعات، وذهبت إلى المكتبات، وإلى المؤسسات الثقافية، وإلى العاملين في الصحافة الثقافية والمعرفية الورقية والرقمية وإلى الناشرين والأفراد العاملين في الحياة الثقافية، وركزت على القراءة الإثرائية الحرة لا القراءة المنهجية أو المتخصصة في حقل علمي أو دراسي ما.

بين ثنايا الدراسة ظهرت معوقات القراءة جليّة ومنها، ضعف جاهزية الفرد للقراءة، وتردّي البناء المعرفي للفرد، وضعف المؤسسات التعليمية في بناء جيل يرى أن العلم والقراءة أساسين للتقدم الحضاري، وفقر البنية التحتية المعرفية، وندرة المناسبات الثقافية المحفّزة، وغياب القدوة المشجِّعة على القراءة، وهجر المكتبات العامة بالنظر إلى قدم مجموعاتها، وغياب التعاون بين المدرسة والبيت، واستئثار القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي بالوقت، يضاف إلى ذلك أن الحالة الاقتصادية للناس جعلتهم أكثر ميلاً إلى التسلية والترفيه وحالت دون اعتبار أن القراءة والمعرفة قطبين محركين للنموّ الاجتماعي المستدام.

التقرير مكتظّ بالإحصاءات والمعلومات والأرقام إلى الدرجة التي تجعل منه مرشداً للجهات والمؤسسات المسؤولة عن الارتقاء بوعي الناس ومعارفهم ومسالكهم الحياتية، وأظن أن بعض الشرائح المستهدفة في هذا المسح لم تكن شفَّافة بما يكفي في إجاباتها، وهو ما أثر سلباً على مصداقية عدد من النتائج التي خلصت إليها هذه الدراسة، ولعل أهم مكافأة يمكن منحها للفريق الذي أنجز الدراسة هو نشرها ووضعها في التداول الإعلامي العام وعقد الحلقات النقاشية حول مضامينها.



كما هو الحال عند صدور كل عدد، تلقَّت القافلة على موقعها الإلكتروني عدداً كبيراً من الرسائل والتعليقات على المواد المنشورة، نقتطف منها عيِّنة محدودة جداً بسبب ضيق المجال.

فقد وردتنا رسالة من **محمد ناصر الشهراني** رئيس قسم رعاية الموهوبين في بيشة، يقول فيها: «عندما نتحدث عن الموهبة والإبداع، ونصف أي شخص بأنه مبدع أو موهوب، فإن هذا الوصف مبني على أسس علمية محددة بدقة، أو من خلال ابتكاره لفكرة أو لمنتج ما. وعندما نتحدث عن تقدم وطن أو مسيرة نهضة يقوم بأعبائها مبدعون وموهوبون، لا بدَّ وأن تحضر في الذهن صورة أرامكو السعودية ودورها التاريخي في رعاية هؤلاء وتحفيزهم على الإبداع والابتكار. وكلنا أمل في أن تواصل أرامكو السعودية دورها الكبير هذا في دعم تقدُّم وطننا، الدور الذي نلحظه اليوم في دعم برامج الطلاب الموهوبين التي نطمح إلى مزيد منها».



ومن الأحساء كتبت **غزوة بندر الحارثي** تقول إنها تُعد بحثاً عن التعليم في منطقة الأحساء في عهد الملك عبدالعزيز -يرحمه الله-، وتسأل عن المراجع المتوافرة حول هذا الموضوع.



وللأخت غزوة نقول: إنه بالإضافة إلى المراجع المعروفة والدراسات حول تاريخ التعليم في المملكة، المطبوعة والمتوافرة على المواقع الإلكترونية، يمكنها أن تتصفح أرشيف القافلة الموجود على الموقع الإلكتروني للمجلة، الذي يتضمن عدة مقالات عن مسيرة التعليم وتاريخه في المنطقة الشرقية.

ومن جدة كتبت **منال بالحداد** تقول: قرأت في العدد الأخير من القافلة مجموعة آراء في وسيلة التواصل الاجتماعي «فيسبوك»، أود أن أضيف إليها الملاحظة التي غابت عن الآراء المنشورة. وهي أن قيمة وسيلة التواصل الاجتماعي هذه تكمن في الطريقة التي تُدار بها. إذ يمكنها أن تكون أقرب إلى هدر الوقت بالكامل عندما تقتصر على تبادل الصور التي لا تهم إلا صاحبها أو ما يشبه ذلك من الأمور الشخصية، في حين أن بإمكانها أن تكون نافذة حقيقية مشرعة على العالم، بعدما باتت وسائل الإعلام العالمية والمراكز العلمية تنشر مواد على قدر كبير من الأهمية على صفحات فيسبوك، حتى إن بعض المراقبين في أمريكا أعربوا عن توقعاتهم في أن يتمكن «فيسبوك» في مرحلة زمنية قد لا تكون بعيدة من أن يبتلع كافة أشكال التواصل الاجتماعي وصولاً إلى البريد الإلكتروني، وصفقات الدمج والشراء الكبرى التي تحصل بين الشبكات العاملة في هذا المجال تعزِّز صحة هذا الاعتقاد».



وجاءنا من **محمد حبيب الوافي** عميد كلية البافقيه للآداب والعلوم الإسلامية في الهند: «نتشرَّف بإحاطتكم علماً أن كلية بافقيه للآداب والعلوم الإسلامية في الهند، هي كلية إسلامية تهدف إلى الجمع بين معارف الوحي والعلوم الإنسانية تحت سقف واحد، وإلى تطوير المناهج الدراسية وتوحيدها، وتحتضن حالياً أكثر من مائة وخمسين طالباً. ونرجو أن تقبلوا اشتراك كليتنا في مجلة القافلة الغرَّاء لما فيها من منفعة لطلابنا، راجين منكم التعاون وحسن الاهتمام».

ويسر القافلة أن تلبي طلب الكلية هذا، كما تشكر عميدها على كلماته الرقيقة. فالغاية من إصدار القافلة هي في وضع ما يتيسَّر لها من الزاد المعرفي في متناول كل الساعين إليه أينما كانوا في المملكة والبلاد العربية والإسلامية.

ختاماً، وعلى الرغم من أن المجال في هذه الصفحة لا يتسع لنشر القصائد والشعر، فإننا سنخرج عن المألوف، إكراماً لواحد من أقدم أصدقاء المجلة، وأكثرهم مواظبة على مراسلتنا منذ عقود، وهو الأستاذ **ملاك ميخائيل شنودة** من الإسكندرية في مصر، الذي يلفت نظرنا إلى صدور كتابه الجديد بعنوان «أمي» في إطار سلسلة «كتاب اليوم» لشهر مارس من العام الجاري. وأرفق رسالته بالقصيدة القصيرة التالية:

لا تلمني

عندما يأتي الربيع الطلق يوماً؛
يسأل الأزهار عني...
لن يجدني...
قد كرهت الصبر من طول انتظاري؛
ومفتاح التمني؛
ضاع مني...
كلما زاد اشتياقي للربيع؛
زاد حزني في فؤادي...
واخترقني...
لا تلمني؛ إن تمنيت الخريف،
أو عشقت الحزن دوماً...
لا تلمني...
كيف أقضي العمر أنتظر الربيع؟!
من يعيد العمر؛ لو عمري يضيع؟!
فإذا جاء الربيع الطلق يوماً؛
يسأل الأزهار عني...
قل له: صبري قتلني...

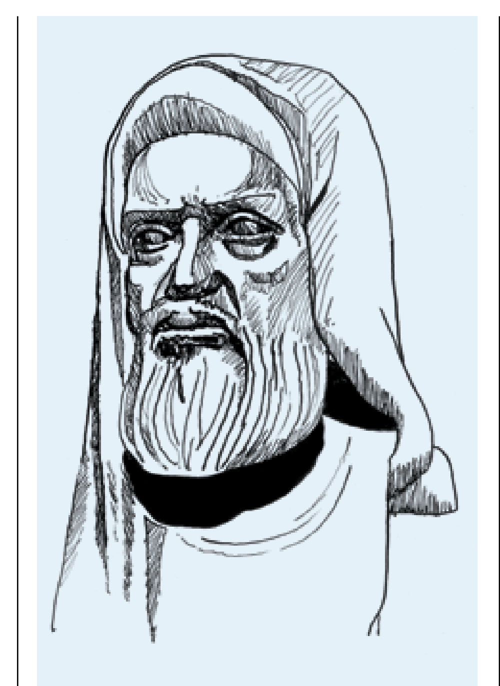


جمشيد الكاشي شهرته أقل من إنجازاته

ولد غياث الدين جمشيد بن محمود بن محمد الكاشي في 781هـ – 1380م في مدينة كاشان بوسط إيران ويلقب بالكاشي أو الكاشاني نسبة إلى «كاشان». كان والده من علماء الفلك والرياضيات. فانكبَّ بدوره على دراسة الرياضيات وأدهش علماء عصره بقدرته على الاستيعاب وحسن التعبير. ودرس مصنفات ثابت بن قرة والكرخي والخيام والطوسي. وعُرف بكثرة تنقله لطلب العلم، فتنوّعت معارفه.

ابتكر الكاشي آلات رصد جديدة حققت المزيد من دقة الرصد، وأظهرت المخطوطات أنه كان من أهم علماء الرياضيات والفلك في زمانه، ويكفيه أنه أول من استخدم الكسور العشرية في العالم، وله الكثير من المؤلفات التي ساعدت الإنسانية على التقدم. نذكر منها كتابه الرائع «مفتاح الحساب» و«رسالة المحيطية» و«رسالة في الحساب»، و«رسالة في الهندسة». وله في علم الفلك كتاب «زيج الخقانيّ»، الذي دقق في جداول النجوم التي وضعها علماء الفلك في مرصد مراغه تحت إشراف الطوسي، وكتاب «في علم الهيئة»، ورسالة «نزهة الحدائق»، وهي مشتملة على كيفيّة عمل آلة حساب التقاويم، وكيفيّة العمل بها.

تمكّن الكاشي من حساب طول وَصِفات محيط أرخميدس، كوسيط حسابي بين محيط المضلعات المسجلة والمحسوبة بشكل صحيح لمتعدد الزوايا مع الرقم $3 \cdot 2^{28}$. ومما أعطاه أن الرقم الأقرب لـ 2π يقترب من الرقم 6,2831853071795865. وأن هذه القيمة صحيحة في جميع المؤشرات الـستة عشر العشرية، وبذلك كان له فضل في صناعة الآلة الحاسبة.



في علم الفلك وضع البنية التي تمكّن من تحديد خطوط الطول والعرض للنجوم، وأبعادها عن الأرض.

توفي جمشيد الكاشي عام840هـ - 1436م، مخلفاً هذا الإرث العلمي القيّم الذي يضعه عن جدارة على قدم المساواة مع كبار العلماء المسلمين، رغم قلة نصيبه من الشهرة.

مصطفى أحمد عبدالقادر البواب

دمشيت -مصر

عقارب صماء

كم بدوت جباناً هذا الصباح أمام طبيب الأسنان إذ طلبت منه تخديري قبل الشروع في معالجة الضرس المشاكسة المتعنتة، التي حملت لواء العصيان في الليلة السابقة دون سابق إنذار، ولم تأل جهداً لمنع الكرى من ملامسة أجفاني.

- دكتور، أرجوك قليلاً من التخدير قبل حشو فمي بهذه العقارب السامة.
- هههههه.
- هل فيما قلت ما يضحك.
- أستاذ، أين أنت من قول الفرزدق: «خلعُ ضرسٍ أَهونُ مِنْ كتابةِ بيتٍ مِنَ الشِّعرِ».

تجلدت وتمددت أمامه على السرير المتعرج مستسلماً للعقارب الصماء عديمة الرحمة، وأنا ألعن في قرارة نفسي من أبقى على بيت الفرزدق هذا حياً إلى يومنا هذا، تباً لك أيتها الأرَضَة لِمَ لَمْ تلتهميه وتريحيني من تبعاته..

- افتح فمك جيداً.
- حاضر؛ هاهو مُشرَع تماماً مثلما يشرعه نواب الأمة تحت قبة البرلمان.

بلمسة بسيطة من يده، أخذت العقارب المعدنية القاسية، تنبش وتنهش وتدغدغ الضرس وهي تصدر زعيقاً مخيفاً حيناً، وزمجرة عنيفة حيناً آخر:
ززززز ججججج ززززز ججججج زززززز كخخخ..

بينما كان الطبيب ينشر وينجر الضرس الملعونة، كنت أنا أخوض حرباً ضروساً مع طرفي الصراع، العقارب الآلية العنيفة، والسوسة اللعينة المستميتة في الدفاع عن حماها. ومن جهة أخرى أخذت على عاتقي أن أضبط إيقاع جسمي لكبح جماح فرائصي في الاصطكاك، بيد أني خسرت الحرب في كلتا الجبهتين، إذ راح كل جسدي يرتج ارتجاج هاتف خلوي وسط صينية. ودقات القلب المتسارعة كادت تمزّق نياطه دافعة به إلى الحلق.

- أستاذ، تماسك ..اهدأ..
- اممممممممممم.
- على سلامتك.
- الله يسلمك دكتور.
- حاول أن تكسب الحرب في الجولتين المقبلتين.
- أقلت جولتين أخريين؟
- نعم!
- اللعنة على التتار الهمجيين!
- الذين أبقوا على بيت الفرزدق حياً.

أحمد بلقاسم



كتابة السيناريو وخصوصياتها

كتابة السيناريو فن أدبي مستقل عن كافة الألوان الأخرى؛ لارتباطه الوثيق بصناعة السينما، ولتوجهه إلى قارئ تنفيذي واحد هو المخرج الذي يجعله مرئياً للمشاهدين.
ومن بين كل الألوان الأدبية والكتابية الناشطة من حولنا، قد تكون كتابة السيناريو السينمائي الأكثر تعثراً في طريقه إلى النضج ليبلغ المستوى الذي بلغته الرواية أو القصة أو غيرهما.
وفي إطار تنمية مهارات كتابة السيناريو، كانت ورشة العمل هذه التي أقيمت مؤخراً في الدمام.

عن مقدِّم الورشة

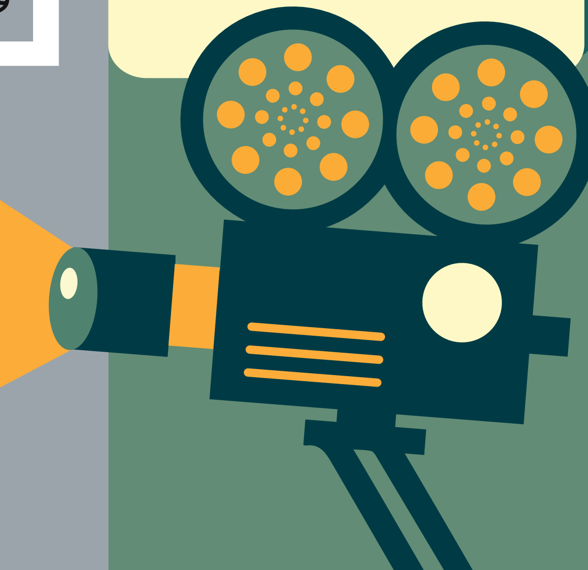
محمد حسن أحمد، سيناريست في السينما والتلفزيون ومستشار فني في عدد من المؤسسات الفنية. من مؤسسي صناعة الفِلم في الإمارات، في جعبته 17فِلماً (قصير وطويل)، وقد حصدت أعماله 32 جائزة حول العالم في مجال السيناريو وأفضل فِلم. عرض أفلامه في مهرجانات دولية مهمة مثل برلين السينمائي، ولوكارنو، وشيكاغو وفي روسيا وبيروت ودبي. من أفلامه (تنباك – سبيل – ماي الجنة – بنت مريم – ريح – ظل البحر).
يقدِّم عدة ورش في فن كتابة السيناريو بدول الخليج، وقد أصدر كتاباً سينمائياً بعنوان (الضوء الصامت)، وهو من مؤسسي مجموعة «فراديس» و«فيلاسينما».

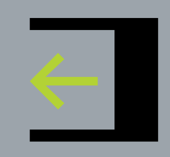
محاور الورشة:

اليوم الأول: - المدخل إلى فن كتابة السيناريو
- السيناريو بين الصورة والحكاية

اليوم الثاني: - كيف تكتب فِلمك السينمائي
- من هو السيناريست؟

اليوم الثالث: تطوير الأفكار والسيناريوهات





مع النمو الواضح في السينما السعودية، وتزايد أعداد المقبلين على العمل في هذا القطاع الفني، يعمل عدد من المهتمين من المخرجين وكتَّاب السيناريو وغيرهم على نشر ثقافة صناعة الفِلم في جزئياتها المختلفة والتخصصات المتعددة التي تتطلبها هذه الصناعة، وذلك من خلال ورش عمل تقام في المملكة ودول الخليج لتطوير المواهب الشابة ومساعدتها على القيام بمهماتها المحددة التي تتكامل مع مهمات عديدة أخرى في صناعة الفِلم الجيد. وعلى هامش «مهرجان الأفلام السعودية» في دورته الثانية التي أقيمت في الدمام بين 20 و24 فبراير الماضي، عُقدت ثلاث ورش عمل حول الإخراج والموسيقى التصويرية وكتابة السيناريو. وقد توقفت «القافلة» أمام الورشة الأخيرة؛ نظراً لاتساع شريحة المهتمين بها، ولكونها تطال أيضاً اهتمامات كل أصحاب المواهب الكتابية، ولو من باب الاطلاع على هذا الفن فقط.

اندفاع وحضور

كانت المفاجأة كبيرة في «جمعية الثقافة والفنون في الدمام» أثناء التحضير للمهرجان بعدد المتقدمين للمشاركة في ورش العمل التي تُعقد على هامشه، وعلى رأسها ورشة كتابة السيناريو التي يديرها السيناريست الإماراتي محمد حسن أحمد. فبينما كان العدد المتوخّى لا يتعدى 15 مشاركاً، وصل إلى لجنة المهرجان ما يقارب 200 طلب مشاركة. ما اضطر الإدارة إلى اختيار قاعة كبيرة واختيار 50 طلباً من بين الطلبات المتقدمة، كي لا تتحوّل الورشة إلى مهرجان صغير على هامش مهرجان الأفلام. منذ الجلسة الأولى أبدى مدير الورشة محمد أحمد حسن حماسته للتواصل مع هذا العدد من المهتمين المتحمسين، وأشار إلى أن حماسته ارتفعت وتيرتها بعدما انتقلت إليه حماسة الشباب الذين، ومنذ الجلسة الأولى، أبدوا رغبة في التعلّم والمشاركة والمساجلة وتعلّم كل شيء دفعة واحدة، وكأنهم على أهبة الخروج من الجلسة لكتابة سيناريو وتصوير فِلم، مباشرة.

السيناريو هو:

- قصة الفِلم
- والحوار
- والحبكة
- والعقدة والحل المفترض لها
- والديكور
- والفضاء الذي يُصوَّر فيه الفِلم
- خارجياً كان أم داخلياً
- ومكان وجود الكاميرا
- في الأعلى أم في الأسفل
- على مستوى الممثل أو بعيدة عنه أو قريبة منه
- يجب أن يكون على الورق

ما هو السيناريو تحديداً؟

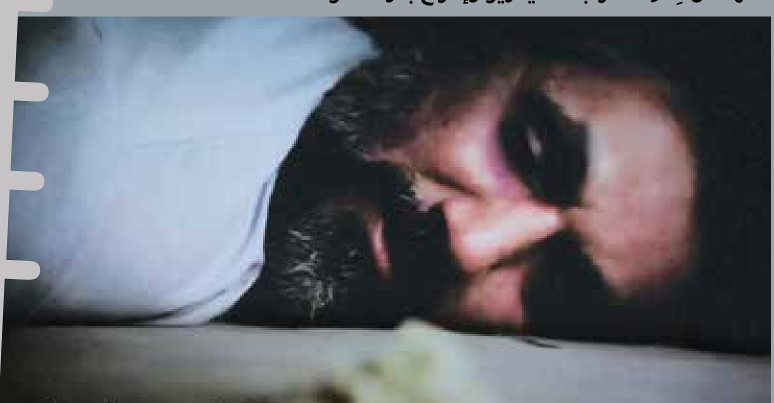
كانت الصالة التي تُعقد فيها الورشة، مضاءة بشكل جيد، ويمكن التحكّم بإضاءتها حين يُعرض فِلم على شاشة العرض الصغيرة في نهاية القاعة الموصولة بمكبرات الصوت. وفيها لوح للكتابة، وطاولات موزّعة بشكل مستطيل بموازاة جدران الغرفة، مع ممرّ صغير يمكّن المدرب من الذهاب والمجيء بين المشتركين في سبيل التفاعل معهم. بداية، سأل المدرب ما هو السيناريو؟ كان الجميع يريد أن يجيب، ظناً منهم أنهم بطبيعة الحال يعرفون ما معنى السيناريو. قال أحدهم إنه قصة الفِلم، وأجاب آخر بأنه الحوار الذي يدور في الفِلم بين الشخصيات، وردَّت إحداهن متحمسة بأن السيناريو هو القصة والحوار إضافة إلى تحديد دور الشخصيات في الفِلم. لم يردّ المدرب بعد، فقد أراد الاستماع إلى أكثر الراغبين بإبداء رأيهم، فأجاب



خطوات مبسّطة
لكتابة السيناريو

- تحديد عنوان السيناريو.
- عرض الفكرة المحورية.
- ملخص السيناريو Synopsis في صفحة إلى ثلاث صفحات
- الحبكة عبر عرض المشكلة، وتعقيد المشكلة، ومحاولة إيجاد حل لها
- تقطيع القصة إلى صور متحركة فِلمية في شكل لقطات ومشاهد ومقاطع
- الاقتصاد والتوازن والتوقيت في تقطيع المشاهد
- تحديد المناظر والأمكنة التي سيجري فيها التصوير حسب كل مشهد (أمكنة داخلية أو أمكنة خارجية إما عامة و إما خاصة)
- ضبط زاوية الرؤية أو مكان وجود الكاميرا حسب نظرة المخرج (رؤية عادية أفقية، أو رؤية علوية، أو رؤية سفلية)
- تعيين الشخصيات التي تنجز الأحداث من خلال مواصفات معينة ومحددة بدقة
- شرح المؤثرات الصوتية والموسيقية المطلوبة (الصوت، والضجيج، والصمت، والمؤثرات ...)
- تخيّل الديكورات والإكسسوارات المطلوبة لإنجاز المشهد


مشهد من فِلم «سكراب»، سيناريو وإخراج بدر الحمود


مشهد من فِلم «نملة آدم»، سيناريو وإخراج مهنا عبدالله المهنا


مشهد من فِلم «الزواج الكبير»، سيناريو وإخراج فيصل العتيبي

أحدهم بأنه كل ما سبق وذكرته الزميلة ويضاف إليه تخيّل الديكور، فأنا اعتقد أن على كاتب السيناريو أن يتخيَّل الديكور الذي يُصوَّر فيه المشهد.

لو جمعنا كل ما أدليتم به لاقترِبنا من تعريف السيناريو من دون أن يكون هذا هو التعريف الصحيح. هنا تدخّل كاتب سيناريو شاب وقال إن السيناريو، هو القصة والحوار والحبكة والعقدة والحل المفترض لها والديكور والفضاء الذي يصوّر فيه الفِلم خارجياً كان أم داخلياً. انفرجت أسارير المشتركين عند هذه النقطة بعدما أثنى المدرب على التعريف الأخير، لكنه أضاف بأنه يجب ألا ننسى أيضاً أن كاتب السيناريو يحدِّد مكان وجود الكاميرا، في الأعلى أم في الأسفل، على مستوى الممثل أو بعيدة عنه أو قريبة وذلك بحسب المشهد والفكرة التي يريد إيصالها من المشهد... وإضافة إلى أن هذا كله يجب أن يكون على الورق. فالسيناريست كاتب قبل أي شيء آخر.

لذاء، فلنبدأ من الصفر بتعريف السيناريو.
حظي السيناريو بالاهتمام مع استقلال السينما كفن له خصوصياته الفنية والجمالية والتقنية على غرار الفنون الجميلة الأخرى، وسمي حينها بالفن السابع. بالطبع كان السيناريو يشمل الأفلام الصامتة، فالفِلم الصامت القديم أو أي فِلم صامت حديث يحتاج إلى سيناريو، لا ينقص من عناصره سوى



- السيناريو أهم عناصر الفِلم
- لا فِلم بلا سيناريو
- احمل القلم وابدأ الكتابة



كلمة سيناريو إيطالية الأصل، وتعني العرض الوصفي لكل المناظر واللقطات والمشاهد والحوارات التي سيُبنى عليها الفِلم بطريقة مفصّلة، بالكتابة

حوار الممثلين، وهذا ما يدلّنا على أن الحوار هو جزء من السيناريو، وهذا ما سنذكره لاحقاً. ولكن بات السيناريو على قدر كبير من الأهمية مع السينما الناطقة منذ العام 1927م. وصار كاتب السيناريو يسمى بالسيناريست، أي بات صاحب صفة محدّدة، بعدما كان كاتب السيناريو قبل ذلك شاعراً أو أديباً أو فناناً يحب الكتابة وغير ذلك.

تساءل أحد المشاركين إذا كان كاتب السيناريو يحدِّد كل هذه الأمور بتفاصيلها، فما الذي يفعله المخرج إذاً؟

جلبة في القاعة. فقد حاول البعض أن يثني على السؤال ويشارك به طارحه، وحاول آخرون أن يجيبوا عنه، فبعضهم قال إن كاتب السيناريو يقدّم الفِلم على الورق بينما المخرج يعيد تمثيله أمام الكاميرا. واقترح البعض الآخر أن يكون كاتب السيناريو هو المخرج، أو ربما المخرج هو كاتب السيناريو، فالكاتب هو أحسن من يصوّر ما يتخيلّه، وبالعكس.

السيناريو صنو الإخراج، بل الإخراج صنو السيناريو. لا يكتمل فِلم بغياب أحدهما. هذا ما ردّ به مدير الورشة. فإذا كان الإخراج هو تركيب الفِلم وتحويل السيناريو إلى مشاهد مرئية، فإن السيناريو هو قصة مروية عن طريق تخيّل كيف تراها الكاميرا، أي إن السيناريست يقول للكاميرا ما الذي يجب أن تراه، وتأتي براعة المخرج في جعل الكاميرا تقوم بذلك وفي تحقيق التصور المتخيّل وجعله واقعياً.

لا بد من التأكيد هنا أن أفضل الأفلام هي التي كتبها مخرجوها، وأفضل المخرجين هم الذين يكتبون أفلامهم، ويُعدّ وودي ألان مثالاً ساطعاً على ذلك.

إذاً، يبدأ عمل المخرج حين ينتهي عمل السيناريست. والسيناريو المبني بطريقة جيدة في التنسيق والتسلسل والتعاقب الزمني والتجديد في المضمون كي يجذب انتباه الجمهور بصرياً وسمعياً ونفسياً، هو السيناريو الذي يؤدي إلى تحقيق فِلم جيد أيضاً. فجودة الفِلم من جودة السيناريو، وليس العكس.

وكاتب السيناريو هو الذي يضع حوارات مكثفة مقتصدة على ألسنة شخصيات محددة بدورها سيكولوجياً وأخلاقياً واجتماعياً وسلوكياً، وهو من يحدّد الأمكنة التي تقع فيها الأحداث وأزمنتها وتبيان مناظرها ووضعية الكاميرا منها والديكور والإكسسوارات والإضاءة والمؤثرات الصوتية والموسيقية.



مشهد من فِلم «السبيل»، سيناريو محمد حسن أحمد، الذي عُرض خلال الورشة

على الشاشة من خلال مثل محدَّد

ثم قام المدرِّب محمد أحمد حسن بعرض فِلم «السبيل» الذي كتب السيناريو له، وأخرجه خالد المحمود وشارك في مهرجان لوكارنو السينمائي عام 2010م، وحاز جائزة أفضل فِلم قصير في مهرجان نيويورك للأفلام الأوروبية والآسيوية، قبل أن ينال الجائزة الثانية في مسابقة «المُهر الإماراتي» في مهرجان دبي السينمائي الدولي في العام نفسه.

يروي هذا الفِلم القصير (مدته 20 دقيقة) قصة شابين إماراتيين، يعيشان مع والدتهما، في بيت ناءٍ منعزل في بيداء إماراتية. الفتيان يعتاشان من بيع الخضراوات للعابرين على طريق سريعة تمرُّ في الفيافي الواسعة. كل ما في حياتهما يبدو رتيباً عادياً مكرراً، بدءاً من الصباح، حيث يقومان بتحضير الخضار، بانتظار توقف العابرين، ويعودان مساءً ليعتنيا بأمهما التي أقعدها المرض. وهكذا دواليك، حتى يأتي يوم تموت أمهما فيه. وينتهي الفِلم هنا. ما رأيكم؟

هذه التعليقات على الفِلم، هي جزء من تمارين ورش كتابة السيناريو، التي تنتج في نهايتها فِلماً مشتركاً يكتبه المشاركون في هذه الورش، فتبادل الآراء والاقتراحات والافتراضات يؤسس لكتابة فِلم جماعي، وهذا ما فعلتموه الآن.



كاتب السيناريو أكثر من كاتب

على كاتب السيناريو بحسب نصائح كل كتَّاب السيناريو في العالم أن يتمتع بكل هذه الصفات التالية:

• **الإلهام والتقاط الأفكار:** كاتب السيناريو الجيد هو القادر على أن يعطي معنى للأشياء التي يراها في الحياة اليومية، وأن يتابع قصص الناس من حوله، يصغي لها جيداً ويحللها.

• **قل ما تريد قوله:** فكّر دائماً في الرسالة التي تريد أن تقدّمها لجمهورك من خلال السيناريو، وتساءل ما أمكنك وتعذَّب بينما تتساءل: ماذا أريد أن أقول؟ ولماذا؟

• **لمّ بتفاصيل شخصياتك:** الكاتب الجيد هو الذي يعرف كل شيء تقريباً عن شخصياته، يدرسها ويشعر بها ويدرك أفكارها. واترك لشخصياتك الفرصة لتقود القصة لا تجعلهم مذعنين.

• **اصنع مشكلة:** إذا كانت الشخصيات تسعى للحصول على شيء ولكنها تواجه صعوبة في الحصول فقد حصلت على نواة القصة.

• **اجعل عالمك مختلفاً ومتماسكاً وجيداً:** في السيناريو اجعل العالم مختلفاً يفاجئ القارئ والمشاهد.

• **اكتب بالصور لا بالكلمات:** ابذل جهدك ووفِّر جميع المتطلبات من أجل أن ترى لا أن تخبر. حكمتك تقول: أرني ولا تخبرني.

• **التمرين:** روتينك اليومي هو أن تكتب باستمرار وبلا توقف.

واقعي.. غير واقعي

إن كاتب السيناريو هو من يتمكن من تحويل الأفكار إلى صور في تسلسل منطقي وإعداد المعالجة السينمائية الفنية في صورة مرئية. وليس من الضروري أن يكون السيناريست هو صاحب الفكرة التي يمكن اقتباسها من قصة أو من مسرحية أو من حادثة واقعية جرت، أو من قصة يكتبها له أحدهم ليحوِّلها إلى سيناريو. فكاتب السيناريو يمكن أن يكون مؤلفاً مبدعاً، ولكن ذلك ليس شرطاً، فهو تقني تحويل أي حادثة أو قصة إلى صورة مرئية كتابة، يحوّلها المخرج إلى صورة مرئية عبر الكاميرا.

لنأخذ مثالاً: زجاج السيارة الأمامي يمكنه أن يكون مصدر إلهام لكاتب السيناريو. فعبره يمكنه أن يشاهد الفِلم الذي يريده، وأبطاله هم المارة على الرصيف أو في سياراتهم، والأبنية المواجهة والباعة المتجولون وكل ما يدب بالحياة في خارج هذا الزجاج. هذه فكرة يراها كاتب السيناريو. وهي نفسها يمكنه أن يحوّلها إلى فِلم بأن يضيف إليها عنصراً جديداً، قد يكون واقعياً أو غريباً. فليعطني أحدكم مقالاً واقعياً، سأل المدرِّب.

بينما هو سارح في همومه وأفكاره تمر أمام سيارته أم وطفلها المريض. هذا مشهد يمكن أن يحدث، قالت فتاة شديدة الحماس.

ثم طلب المدرب مشهداً غير واقعي يحدث أمام سيارة صاحبنا. فقال أحدهم: «بينما هو يتأمل الشارع المكتظ بالمارّة شارد في أفكاره، يقع هرج ومرج أمامه والناس يركضون في كل اتجاه، وفجأة يخرج صحن طائر من خلف الأبنية ويسقط في الحديقة العامة». ضحك الجميع. لكن مدير الورشة أجابهم ضاحكاً مؤكداً أن كاتب السيناريو ليس أديباً وليس بالضرورة أيضاً صاحب الفكرة التي يحوّلها إلى سيناريو.

أنتما عرضتما فكرتكما. الآن سنحوّلها إلى سيناريو:

- **المكان: خارجي.**
- **الزمان: ليلاً.**
- **وصف المكان: طريق في وسط مدينة كبيرة، أبنيتها عالية على الجانبين.**
- **هناك مجموعة من الناس في المكان وسيارات تسير.**
- **الكاميرا في السيارة مع سائقها وهو البطل، وكاميرا في الخارج ترى السيارة والمكان عموماً.... إلخ.**





مشهد مكتوب من سيناريو فِلم مخيال

- تحديد مكان التصوير.
- تحديد ما يتضمنه المشهد.

- تحديد حركة الكاميرا.
- زاوية التقاط المشهد.

1 - خارجي / المزرعة - الفزاعات / ليلي

يفتح المشهد على سعفات النخيل.. تنزل الكاميرا ببطء نحو الفزَّاعات التي يحرِّك الهواء الملابس التي عليها.. تتحرك الكامير بين الفزاعات نحو النخلة ((الخنيزي)) حيث تقف الفزَّاعة الأكبر كحارس شخصي لنخلة.. تصل الكامير بلقطة سفلية تكشف عن وجهة الفزاعة وسعف النخلة.

دمج للمشهد الثاني

2 - خارجي / المزرعة - الفزاعات / نهاري

يتغير المشهد الأول للمشهد الثاني للنهار.. يدخل سلمان لينزع ملابس الفزاعة ويضعها مع بقية الملابس.. تتسع اللقطة لتكشف عن المزرعة والفزَّاعات وقد نُزعت عنها الملابس

توجه المخرج نحو المشهد الثاني الذي يلي المشهد الأول.

يستخدم كاتب السيناريو مخيلته لكيفية رؤية المشهد وينقلها للمخرج لتنفيذها.

3 - خارجي / العين / نهاري

لقطة رأسية على العين.. أشعة الشمس تنعكس على الماء المتدفق وسط العين.. الملابس تتحرك من أعلى الكادر لتصل لنصف الشاشة ((وسط العين)).. تتحرك الكاميرا بالنزول للقطة متوسطة لسلمان وهو يغسل الملابس ويتركها للماء ليجرفها نحو البركة.. في البعيد محمد قادم بسيكل نحو سلمان يتوقف عند العشة ويضرب جرس السيكل.. سلمان يلتف له محمد يرفع بكيس في يده.

عند كتابة السيناريو يتم إزاحة بداية الأسطر التي تحتوي على حوار إلى الداخل عن باقي الأسطر.

السيناريو يحدد:
- مكان التصوير.
- الفضاء.
- الشخصيات.
- ما تقوم به الشخصيات في لحظة حركة الكاميرا بالتفصيل

4 - داخلي / المزرعة - العشة / ليلي

غوري الشاي يملأ الشاشة

سلمان يملأ الكأس الزجاجي بالشاي، ويضعه بقربة

محمد يجلس مقابلاً له يتناولان الفطور

سلمان دون أن يرفع رأسه يخاطب محمد:

«شيل الثياب من حبال الغسيل ولبِّس الفزاعات»

«وشيل الثياب من العين وانشرهم»

محمد يرفع رأسه فقط وينظر لسلمان

كاتب السيناريو هو مخيّلة الفِلم. المخرج هو محوّل هذا الخيال الى واقع.

5 - خارجي / المزرعة – حبل الغسيل / نهاري

ثوب طويل يملأ ربع الشاشة الأيسر.. امتداد الحبل ينتهي بمحمد وهو ينزع الملابس من الحبل

محمد ينزع الثوب الأخير ليكشف سلمان في الجهة الأخرى يجمع الطماطم في سلات

سيارة عراوي قادمة نحوهما

تتوقف عند سلمان

هل صرتم تعرفون كيف تكتبون سيناريو؟

حين طرحنا هذا السؤال على بعض المشاركين بعد انتهاء الجلسة الأخيرة. أجاب أحدهم بأنه بات يعرف كيفية كتابة السيناريو أكثر بكثير مما كان يعرفه قبل هذه الورشة. صديقه الواقف معه، قال: كنت أعتقد أنني أعرف ما هو السيناريو، لكن الآن بات لي صورة أشمل وأوسع ومحددة لدور السيناريو في الفِلم.

وأجابت إحدى المشاركات بأنها لا تعرف ما إذا كانت ستكتب سيناريو أم لا، «ولكنني استمتعت بهذه الورشة، ومنذ الآن وصاعداً حين أشاهد فِلماً سأنتبه للسيناريو فيه، أي لحوار الممثلين وللموسيقى المرافقة والمكان الذي يُصوَّر فيه المشهد والديكور وكل ذلك، لم يعد يمر فِلم مرور الكرام كما كان قبل مشاركتي في ورشة كتابة السيناريو».

واقترنا من مجموعة من الأصدقاء في حلقة دائرية خلال الاستراحة لشرب القهوة وكان يدور بينهم نقاش. ما هو تعليقكم على هذه الورشة؟ سألناهم. أجاب أحدهم بأننا نتناقش في سيناريو كنا قد كتبناه لفِلم مشترك بيننا، ونفكر بأن نعيد كتابته على هدي ما تعلمناه خلال الأيام الثلاثة الماضية.

سنعيد كتابة سيناريو لفلم مشترك كنا قد كتبناه



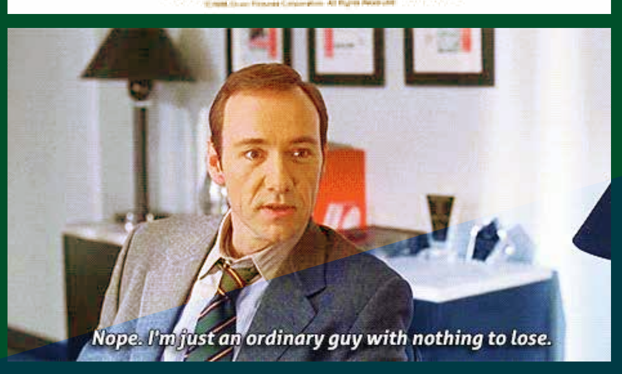
من بين أفضل مقاطع سيناريو أفلام عالمية حتى العام 2000 هذا ما انتقاه مخرجون وكتَّاب سيناريو:

- «أنا رجل تعيس، مملوء بالألم، وأشعر بالتمزّق عندما أدرك أنني لست لي». (كاري جرانت، فِلم سيئ السمعة، سيناريو بين هيكت - 1946م).
- «نحن الناس الذين يستحقون الحياة، في هذه الحياة». (جين داروِيل في فِلم عناقيد الغضب، إخراج جون فورد، سيناريو نونالي جونسن - 1940م).
- «أمي ...أخبريني ما هو المغزى بالضبط ؟». (أنطوني بيركنز، فِلم «سايكو»، إخراج ألفرد هيتشكوك، سيناريو جوزيف ستيفانو، 1960م).
- «نحن ذاهبون إلى هناك ... ليس فقط لقتل أولئك الأوغاد، بل لقلعهم من جذورهم واستخدامهم لتزييت دباباتنا». (جورج سي سكوت، فِلم «باتون»، إخراج فرانكلين شافلر، سيناريو فرانسيس فورد كوبولا وإدموند نورث - 1970م).
- «أنت الفائز ...أنت الفائز ...حتى لو خسرت تبقى أنت الفائز». (جو بسكي في فِلم «الثور الهائج»، إخراج مارتن سكورسيزي، سيناريو بول شرايدر - 1980م).
- «يالها من أمسية عظيمة أمضيتها ...إنها أشبه بمحاكمات نورمبرج». (وودي آلن في فِلم «حنًّا وأخواتها»، سيناريو واخراج وودي آلن - 1986م).
- «سامحني يا صاحب الجلالة، فأنا رجل أهوج، أما موسيقاي فليست مثلي». (توم هلس في فِلم «أماديوس موزار»، اخراج ميلوس فورمان، سيناريو بيتر شايفر – 1984م).
- «أنا لست سوى إنسان عادي ليس لديه ما يخسر». (كيفن سبيسي في فِلم «جمال أمريكي»، اخراج سام مينديس، سيناريو الآن بال - 1999م).
- «إن كوني لا أتذكر أشياء محددة لا يعني أن أفعالي ليست ذات معنى، العالم لا يختفي عندما تغلق عينيك، أليس كذلك؟». (غي بيرس في فِلم «ميمنتو» سيناريو وإخراج كرستوفر نولان - 2000م).

Forgive me, Majesty. I am a vulgar man! But I assure you, my music is not.

Wolfgang Amadeus Mozart



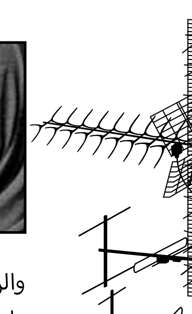








ما هو مكانك المفضَّل للتأمل؟



1 تهاني البريكي
فنانة تشكيلية معاصرة

تشدني المناظر المتغيرة التي تتبدَّل بفعل الرياح والهواء وعوامل التعرية، الكثبان الرملية في الصحاري وصوت الرياح فيها، ذلك الصفير الساحر. كما أن حركة السحب وتشكلاتها وتلاشيها تجعلني أفتح عيني على وسعهما وأغوص في ثنايا الغيوم، رقصات الأمواج و«طشيش» صوتها والزبد المتكون عند نهاياتها.. هذه المناظر المتغيرة تأسرني كثيراً، كأنها توجد مع الزمن معزوفات موسيقية طبيعية تقول الكثير وتُغني قصائد مبهمة. ولذلك أعشق الأفلام التي تصور هذه التغيرات، وأشعر معها باستمرارية الحياة في غير رتابة.

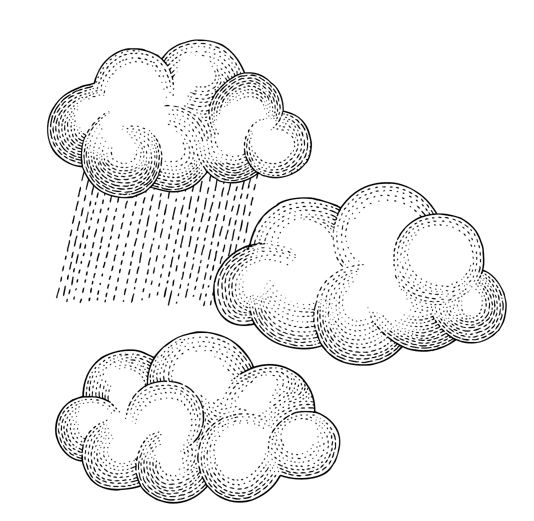
غير أن أكثر مايشدني في حياتي اليومية سطح منزلنا والحمامة التي دائماً تفي بوعدها وتأتي لتقف على ركن السطح باتجاه الشرق.. في سطح منزلنا أشعر أني في منفى آمن وحميم. وعندما تأتي الحمامة يتكون مشهدي الخاص الذي من خلاله أذهب بعيداً.. أحياناً أعود وأحياناً كثيرة أتأخر عن العودة.



2 محمد رضا
ناقد سينمائي

يشدني كثيراً منظر الماء.. الماء الجاري في وادٍ أو في بحر أو نهر أو جدول أو حتى في حوض السباحة. الماء يسحرني كثيراً. إنه يستغرق مني ساعات وأنا أتأمله. أراقب بقعة بعينها ولا أزيح بصري عنها، بينما يشرد ذهني في البعيد. أضع كرسياً أو أجلس على الأرض عند حافة النهر أو البحيرة وأتأمل الماء وأتساءل: يا هل ترى من أين أتت تلك القطرة من الماء؟، كيف ولدت؟ هل أتت من السماء مع الأمطار وسقطت هنا؟ أم أنها خرجت من النبع؟ كم عمرها وما مصير حياتها؟ هل ستتبخر أم ستسافر إلى مصب آخر ومنه إلى بحر آخر؟ تستمر الأسئلة بداخلي: هل ستتنفس هذه القطرة سمكة وتحولها إلى أوكسجين؟ أين ستمضي بها الحياة؟.. ماذا لو كنت أنا قطرة الماء تلك؟





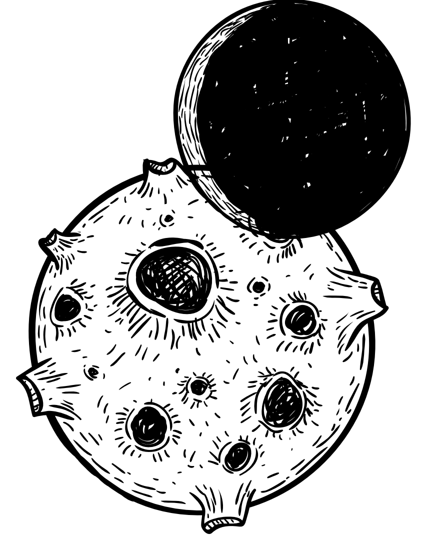


3 ← عائشة محمد الكاف

معلِّمة رسم وفنون تشكيلية للأطفال

أحب النظر والتأمل في السماء والغيوم، ما إن أجد نفسي في مكان هادئ حتى أرفع رأسي إلى الأعلى. فإن وجدت غيوماً فإنها ستسرقني من واقعي لبضعة دقائق، أتأمل أشكالها وحركتها البطيئة ولونها الأبيض الناصع مع خلفية زرقة السماء، إنها تبدو مثل القطن المنثور على صفحة زرقاء. أحياناً تكون الغيوم محملة بالمطر ولونها داكن وهذا يثير خيالي كثيراً، فأين ستهطل هذه الأمطار؟ هل ستهطل علينا أم في مكان آخر.. السماء الزرقاء الصافية أيضاً تستهويني وتجعلني أنظر إليها ولا أزيح عنها بصري، ويدور في عقلي الكثير الكثير.

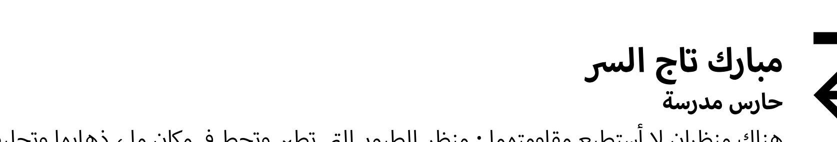




4 ← مليكة حمدي الفاسي

سيدة منزل

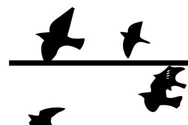
لم أتوقع أن يسألني أحد هذا السؤال من قبل، لذلك أخذني السؤال إلى التأمل في ذاتي، أولاً للبحث عما يثير فضولي في الترقب والتأمل، ووجدت أنني مفتونة بالنظر إلى السماء والسحب. فهي تأخذني في رحلة تأمل قد تستغرق دقائق عديدة. وأكثر ما أحب، منظر السماء عندما تلتقي البحر، حيث ينقسم المنظر أمامي إلى درجتين من اللون الأزرق، الفاتح للسماء والغامق إلى البحر. هنا أجدني مأخوذة بالتحديق فيما يضمه الكون. هناك في البعيد، الكوكب والمجموعات الشمسية التي أشاهدها في أفلام التلفزيون وتتناول موضوع الكون والمجرات والفضاء الكوني الشاسع. وفي الوقت نفسه، يجعلني ذلك أتمتم بيني وبين نفسي: سبحان الله، سبحان الله، إنه منظر يذهب بعقلي إلى تخوم سحيقة وإلى تأمل عميق لدرجة أنني أصاب بالخدر والغياب عن واقعي. هذا الأمر يتكرر معي كثيراً عندما أكون في حالة صفاء نفسي وذهني.

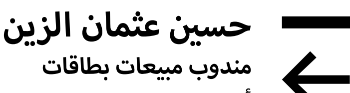


5 ← مبارك تاج السر

حارس مدرسة

هناك منظران لا أستطيع مقاومتهما : منظر الطيور التي تطير وتحط في مكان ما ، ذهابها وتحليقها ثم عودتها. والأجمل عندما يكون هناك جمع لطيور كثيرة ثم فجأة تفزّ وتطير عشوائياً في اتجاهات مختلفة وهي تطلق أصواتها في سعادة أو نداءات أو غناء. أجد في ذلك إثارة وفضولاً ما بعده فضول. لذلك ما أن أجد تجمعاً للطيور حتى أتوقف وأراقب وأشرد بخيالي معها. والمنظر الآخر الذي يجذبني منظر الأطفال، مجموعات الأطفال عندما يلعبون أو لحظة خروجهم من المدرسة، ركضهم وفوضاهم وحركتهم وصرخاتهم، إنهم تماماً مثل الطيور، أحرار وسعداء ويستجيبون للانطلاق بلا أية كوابح أو شروط.



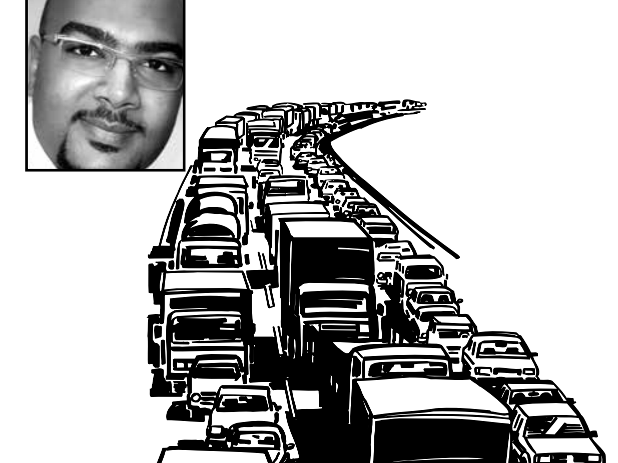




6 ← حسين عثمان الزين

مندوب مبيعات بطاقات

أحب مراقبة السيارات. منذ كنت طفلاً، وأنا مأخوذ بمراقبة السيارات، ومنذ سبعة عشر عاماً وأنا أسكن في شقة بالدور التاسع. وهذا ما أتاح لي ممارسة هوايتي الأثيرة في مراقبة السيارات. أقف على الشرفة المطلة على الشارع الرئيس وأروح أتأمل السيارات الذاهبة والآتية. أفعل ذلك عدة مرات في اليوم، لا سيما عندما يكون هناك ازدحام بسبب مباراة كرة قدم ويعج الشارع بالسيارات. فأظل أراقبها من الطابق التاسع، وأشرد معها وأنسج قصصاً عن شخصيات السيارات. نعم شخصياتها، هكذا أتخيل أن لكل سيارة صفات إنسانية يحددها شكلها ولونها وحجمها وصوت بوقها. أراقبها كل يوم تقريباً وأسرح معها وأفكِّر في أشيائي تارة، وفي همومي تارة، وفي السيارات تارات وتارات.





الشخصية الروائية

تأليف: هيثم حسين

الناشر: دار نون للنشر - الإمارات العربية المتحدة، 2015

يتطرق المؤلف في هذا الكتاب إلى بعض أسرار الروائيين في ابتكارهم لشخصيات أبطالهم، ورسمهم الملامح المميزة لهم، واقتفائهم آثارهم في الروايات وفي الحياة، حيث إنّ كلّ ما يحيط بالروائي يظلّ مرشحاً للنهوض بدور البطولة في إحدى رواياته.

ويوضِّح أن كل إنسان هو مشروع شخصية روائية، وأنّ حياته هي مادة خصبة للرواية، يمكن الانطلاق منها لكشف بعض الألغاز وتفكيكها، من خلال سبر الأعماق، وتظهير الصور المخبأة في عتمة الدواخل.

كما يحاول الإجابة عن عديد من الأسئلة، من قبيل: كيف يبدع الروائي شخصياته؟ هل هي محض خيالية أو فيها شيء من عالمه؟ وما هي مشاعره تجاهها؟ هل يحبّها أم يكرهها أم يخفي مشاعره؟ وما هي مشاعره تجاه قسوة مصائرها؟

يحتوي الكتاب على مقدّمة بعنوان: «الشخصية الروائية وسلطتها النافذة»، ومن أبرز عناوين فصوله: بعض أطوار الشخصية الروائية، التداخل بين شخصية الروائي وشخصياته الروائية، مقاربات في السِيَر والمذكرات، مرونة الشخصية وتفاعلها المستمر، التأثير والتأثر في الرواية.

مهارات القيادة الإدارية وأخلاقيات الأعمال

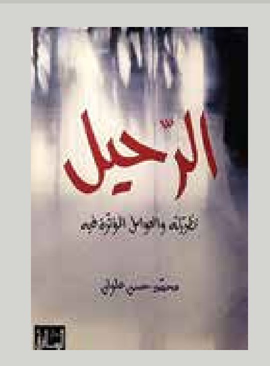
تأليف: ناصر زيدان

الناشر: الدار العربية للعلوم ناشرون 2014

تطوّر العلم الإداري تطوّراً كبيراً في الحقبة الأخيرة. وارتبط هذا التطور بما عاشته المؤسسات المنتجة في القطاعين العام والخاص من زيادة في حجم مهماتها، واتساع دورها وابتكارات في أساليب عملها. إن أهم ما يحتاجه العمل الإداري هو الإبداع، ومواكبة التطوّر، وابتكار الجديد في أساليب التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة. وعلى هذا، فإنّ القيادة هي ركن أساسي من أركان نجاح أي وحدة إدارية، مهما كان حجمها، كبيراً أم صغيراً، وسواء أكانت وحدة تابعة للقطاع الحكومي، أم للقطاع الخاص. فكلاهما يحتاجان إلى أشخاص إداريين، يتمتعون بكفايات قيادية، تستند إلى مهارات ضرورية في مهامهم.

وفي الوجه الآخر، فإنّ ممارسة الأعمال الإدارية بمهارة عالية، يترابط عملياً وموضوعياً مع الأخلاقيات التي تتناسق مع المهارات التقنية والتنفيذية. فأخلاقيات الأعمال سمات راقية، يُفترض توافرها في الأداء الناجح في القطاعات الإنتاجية - الصناعية والزراعية والسياحية، وفي التجارة والتسويق، وفي الأعمال المالية، وفي الخدمة الاجتماعية، وفي ممارسة الوظائف العامة، وهذه الأخلاقيات ركيزة المواطنة الصالحة.

ولعل أهم هذه المهارات التي يحتاجها القائد الإداري تتركز على مهارة رسم الأهداف والتفاوض والتواصل وإدارة فريق العمل والتحفيز وإدارة الوقت وإدارة التغيير وحلّ المشكلات.



الرحيل: نظرياته والعوامل المؤثرة فيه

تأليف: محمد حسن علوان

الناشر: دار الساقي 2014

بعد روايات جعلت من محمد حسن علوان واحداً من الروائيين الشباب المؤثرين في المشهد الثقافي السعودي والعربي، مثل «سقف الكفاية» و«صوفيا» و«القندس»، أصدر علوان أول كتاب نظري له في عنوان «الرحيل: نظرياته والعوامل المؤثرة فيه».

يقول الكاتب إن في عالم اليوم أكثر من مائتي مليون مهاجر، لو قُدِّر لهم أن يجتمعوا في دولة مستقلة لصارت خامس أكبر دولة في العالم سكاناً، ولو أضفنا إليهم أولئك الراحلين بشكل مؤقت، فهذا يعني أن خُمس سكان كوكب الأرض قيد الرحيل بينما تقبع الأخماس الأربعة الأخرى في انتظار فرصتها. أفواج غفيرة من البشر هم في حركة دائمة ورحيل مستمر، وهو شأن خليق بأن يترك آثاراً هائلة في كل بقعة يرحلون منها ويفدون إليها. وهذا ما دفع الكاتب إلى التركيز على ظاهرة الرحيل باعتبارها ظاهرة شديدة التأثير وبحاجة ماسة إلى إجابات عميقة لأسئلة مثل: من يرحل؟ وكيف؟ ولماذا؟ وما أثر هذا الرحيل؟



جبران خليل جبران... الأعمال الكاملة في مجلدين

الناشر: دار نوفل، 2015

صدرت مؤخراً الأعمال الكاملة للأديب اللبناني المهجري جبران خليل جبران، في مجلدين يضمّان «المؤلفات العربية الكاملة» و«المؤلفات الإنجليزية الكاملة» التي عرَّبها وقدَّم لها الدكتور نديم نعيمة، وتضمُّ رسومات جبران الملوّنة الأصلية.

يضمّ المجلد الأول «جبران خليل جبران: المؤلفات العربية الكاملة»، الكتب التالية: الموسيقى، عرائس المروج، الأرواح المتمردة، الأجنحة المتكسرة، دمعة وابتسامة، المواكب، العواصف، البدائع والطرائف.

أمّا المجّلد الثاني: «المؤلفات الإنجليزية الكاملة معرّبة»، فيضمّ ترجمات محدَّثة لمؤلفات جبران خليل جبران الإنجليزية الكاملة أعدّها الدكتور نديم نعيمة. تضم هذه المؤلفات: المجنون، السابق، رمل وزبد، التائه، لعازر وحبيبته، الأعمى، بالإضافة إلى ترجمة جديدة كلياً لكتاب «النبي». كذلك يضم المجلد الثاني الرسوم الأصلية الملونة التي أرفقها جبران بهذه المؤلفات منذ الطبعة الأولى. واستغرق جمع هذه الرسوم عامين ونصف العام، وذلك بعد التواصل مع لجنة جبران الوطنية ومتحف «Telfair» الأمريكي للحصول عليها.



الجامع الأزهر الشريف (مجلدان)

تأليف: محمد السيد حمدي وشيماء السايح

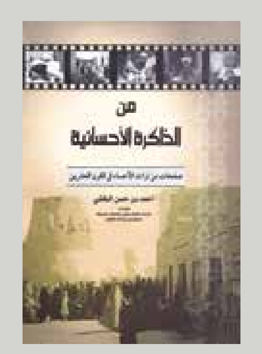
الناشر: مكتبة الإسكندرية 2013

يوثق هذا الكتاب تاريخ وعمارة وفنون أعرق مسجد في مصر في ألف عام، تحوَّل خلالها من مسجد للصلاة إلى أحد أبرز الجامعات الإسلامية في العالم وأشهرها.

ويذكر الكتاب أنّ أعمدة الجامع «جُلبت من مبانٍ سابقة على الإسلام امتازت بتيجانها المزخرفة» وأنّ بناءه تأثر بتخطيط مسجد عقبة بن نافع بمدينة القيروان التونسية ومسجد الزيتونة بالعاصمة التونسية، ولكن الجامع الأزهر شُيد بأيدي بنَّائين مصريين ومواد وتقنيات مصرية. وتنفيذاً لأمر المعز لدين الله الفاطمي بدأ القائد جوهر الصقلي تشييد جامع الأزهر عام 970 ميلادية في العام التالي لوضع حجر الأساس لمدينة القاهرة، واستغرق بناؤه نحو 28 شهراً.

ويقول الكتاب، إنّ المسجد في البداية لم يحمل اسم «الجامع الأزهر» وإنمّا نسب إليه اسم بنت النبيّ محمد -صلى الله عليه وسلم- السيدة فاطمة الزهراء -رضي الله عنها- التي ينتسب إليها الفاطميون، وحمل بعد ذلك اسم «الأزهر» تفاؤلاً بما سيكون له من الشأن والمكانة بازدهار العلوم فيه.

وقد قال شيخ الأزهر في مقدمة هذا الكتاب، الذي هو ثمرة مشروع بحثي قامت به مكتبة الإسكندرية بالتعاون مع مشيخة الأزهر، إنّ الأزهر عبر تاريخه ظلّ منارة تعليمية وثقافية أسهمت في «تنوير الأمة... واستعصائها على الذوبان والتلاشي أمام تقلبات التاريخ واضطراب الحضارات».



من الذاكرة الأحسائية

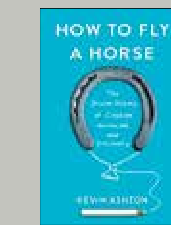
تأليف: أحمد بن حسن البقشي

الناشر: الجواد للطباعة والتغليف 2014

يتضمَّن هذا الكتاب مجموعة كبيرة من الفصول التي لا يربط بين عناوينها أي رابط غير أنها تتكامل في رسم صورة الأحساء بكل ما فيها من زخارف ثقافية وحياتية في العصر الحديث. فالكتاب ليس موسوعة بالمعنى التقليدي للكلمة، ولكنه يكاد أن يكون كذلك لمن يريد أن يعرف أكثر عن الأحساء ومن داخلها.

فما بعد عنوان الفصل الأول «الحرب العالمية الثانية وصداها في الأحساء»، تطالعنا مجموعة فصول تتناول مختلف أوجه الحياة الزراعية، من البقرة إلى البرَّاد مروراً بالحمار والبقالة. ومعالم المنطقة والحياة اليومية مثل الخنجر الحساوي وعين أم خريسان، وتاريخها من الرق والعبودية إلى مسيرة الشرطة.. ومع التوقف طويلاً أمام انتشار الأحسائيين في مناطق المملكة والدول العربية، لا يخلو الكتاب من صفحات أدبية وثقافية مثل أنشودة من التراث المحلي، ولا من الحديث عن الحِرف والمهن، ما هو قائم منها، وما انقرض.

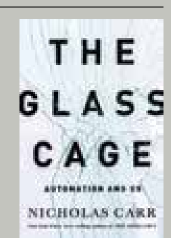
يقع هذا الكتاب في 300 صفحة من القطع الكبير، وقدَّم له الباحث التراثي وخبير الصناعات الحِرفية المهندس عبدالله الشايب.





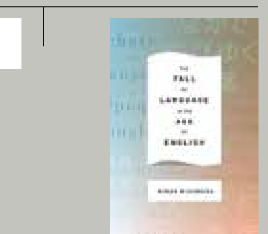
كيف نطيِّر الحصان: التاريخ السريّ للإبداع والاختراع والاكتشاف
How to Fly a Horse: The Secret History of Creation, Invention and Discovery
تأليف: كيفن أشتون
الناشر: Doubleday (يناير 2015)

استطاع كيفن أشتون، من خلال كونه رائداً في مجال التكنولوجيا في «معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا» وكأحد مؤسسي ثلاث شركات من أنجح الشركات الناشئة، أن يختبر عن كثب تجربة ابتكار الأشياء الجديدة. وفي كتاب «كيف نطيِّر الحصان» يختصر أشتون تجربته على مدى عشرين عاماً ويأخذنا في رحلة تمرّ بأعظم الاكتشافات التي قدّمتها الإنسانية لكشف الحقيقة المفاجئة لمن يكتشف وكيف يكون ذلك. وفي هذه الرحلة التي امتدّت من مختبر البلورات حيث تمّ اكتشاف أوّل أسرار الحمض النووي من قبل إحدى النساء المنسيات، إلى إحدى الغرف الكهرومغناطيسية حيث تمّ ابتكار أهم الطائرات المقاتلة نتيجة شرط بين شخصين، إلى متجر الدرَّاجات في ولاية أوهايو الأمريكية حيث انطلق الأخوان رايت لكي «يطيّروا حصاناً». يتطرق أشتون إلى الأفراد غير المعروفين، والخطوات التدريجية، والإخفاقات المتعدّدة، والأعمال العديدة التي عادة لا يُعترف بأهميتها وتؤدي إلى تلك الاكتشافات المدهشة.
يقول أشتون إنّ المبدعين هم الأشخاص الذين يستطيعون، بطرق معيَّنة، تطبيق التفكير اليومي الاعتيادي الممكن لأي شخص، واتخاذ آلاف الخطوات الصغيرة والعمل في دائرة هائلة من المشكلات والحلول. كما يستكشف كيف يستطيع المبتكرون مقاومة الصعوبات وكيف يتغلبون عليها. ويستطلع الأسباب التي تدفع بمعظم المؤسسات إلى خنق المبدعين، ويظهر كيفية عمل أكثر المؤسسات المبدعة. ومن خلال الأمثلة المستمدة من الفنون والعلوم إلى عالم الأعمال والابتكارات، من موزارت إلى الدمى المتحركة، ومن أرخميدس إلى شركة آبل، كتاب «كيف نطيِّر الحصان» هو عبارة عن رحلة أخّاذة في كيفية ولادة الاكتشافات الجديدة.



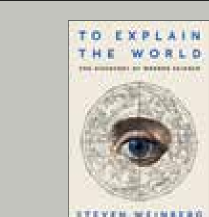
القفص الزجاجي: التشغيل الآلي ونحن
The Glass Cage: Automation and Us
تأليف: نيكولاس كار
الناشر: Brilliance Audio (سبتمبر 2013)

في كتابه «القفص الزجاجي»، يذهب نيكولاس كار أبعد من العناوين الكبرى لمصانع الروبوتات والسيارات ذاتية القيادة وأجهزة الكمبيوتر التي يمكن وضعها على معصم اليد والأدوات الرقمية، ويقوم باستكشاف الأثمان الغالية التي ندفعها جرّاء القبول بتحكم البرمجيات الآلية بحياتنا، إنْ كان في مجال العمل أو اللهو، أو عندما تسهِّل تلك البرمجيات حياتنا وتسلب منا كثيراً من الأمور الأساسية.
فبالاعتماد على الدراسات النفسية والعصبية التي تشدِّد على العلاقة الوثيقة بين القيام بالأعمال اليومية الصعبة والشعور بالسعادة والاكتفاء، يظهر كار أنّ اهتمامنا وانشغالنا بشاشات الكمبيوتر يمكن أن يولِّد لدينا الشعور بالغربة وعدم الرضا.
من مصانع النسيج في القرن التاسع عشر إلى قمرات القيادة في الطائرات الحديثة، إلى الخرائط العقيمة لأجهزة تحديد المواقع، يستكشف كتاب «القفص الزجاجي» تأثير التشغيل الآلي من منظور إنساني عميق، وهو يلقي الضوء على التأثيرات الشخصية والاقتصادية على اعتمادنا المتزايد على أجهزة الكمبيوتر.



سقوط اللغة في عصر الإنجليزية
The Fall of Language in the Age of English
تأليف: ميناي ميزومورا
الناشر: اليابان 2008 ترجم إلى الإنجليزية ونشر من قبل Columbia University Press, 2015

يعرض هذا الكتاب للصراع الذي يتخبط فيه عديد من اللغات العالمية للمحافظة على تألقها وخصائصها الفريدة في هذا العصر الذي تسيطر عليه اللغة الإنجليزية.
وتعترف الكاتبة المولودة في طوكيو التي نشأت وترعرعت في الولايات المتحدة، بأهمية وجود لغة عالمية في السعي وراء المعرفة، ولكنّها، في الوقت نفسه، تشدّد على الطرق المتعدّدة للفهم التي تقدّمها اللغات المختلفة. وتحذّر ميزومورا من فقدان التنوع الفريد.
فطالما لعبت اللغات العالمية دوراً محورياً في تقدّم المجتمعات الإنسانية. ولكن من خلال جوّ العولمة الذي فرضته شبكة الإنترنت ستصبح اللغة الإنجليزية، وبسرعة، اللغة الرئيسة الوحيدة للإنسانية جمعاء. وتؤكد الكاتبة أن هنالك صعوبة كبيرة في التصدّي لهذه الموجة الجارفة، وأن المحافظة على المساواة في أهمية اللغات أمر مستحيل، وإنّما هناك أنواع معينة من المعرفة لا يمكن الحصول عليها إلا من خلال الكتابة بلغات معينة. وأكثر ما يبرز ذلك من خلال الكتابة الأدبية التي يمكنها أن تغذي وتغني الإنسانية. بالإشارة إلى تجربتها الخاصة ككاتبة ومحبّة للغة، لاسيّما اللغة اليابانية، تقدّم ميزومورا دراسة معمقة للظاهرة المتعلقة بالتعبير الفردي والمجتمعي.



من أجل تفسير العالم: اكتشاف العلوم الحديثة
To Explain the World: the Discovery of Modern Science
تأليف: ستيفن وينبرغ
الناشر: Harper (فبراير 2015)

يقدّم هذا الكتاب دراسة حول تاريخ العلوم ابتداءً من الحضارة الإغريقية إلى العصر الحديث. وفي هذا التاريخ الغني والمؤثر يأخذنا ستيفن وينبرغ، العالِم الحائز جائزة نوبل بالفيزياء والذي يُعد من أبرز المفكرين في العالم، في رحلة عبر القرون من اليونان القديمة إلى بغداد في القرون الوسطى وأوكسفورد، ومن أكاديمية أفلاطون إلى متحف الإسكندرية إلى الجمعية الملكية في لندن. ويظهر كيف أنّ العلماء في العصور القديمة والوسطى، بالإضافة إلى عدم إدراكهم لما نعرفه اليوم عن أسرار الكون، لم يكونوا على وعي لما يجب عليهم معرفته أو كيفية فهمه بطريقة صحيحة. وإنّما، عبر العصور، من خلال الكفاح لتفسير بعض الأمور الغامضة مثل حركة الكواكب وارتفاع الأمواج وانخفاضها، نشأت مبادئ العلوم الحديثة بطريقة تدريجية. ومن خلال هذا الكتاب، يستكشف وينبرغ نماذج التضارب والتعاون بين العلوم والمجالات الأخرى مثل التكنولوجيا والشعر والرياضيات والفلسفة وغيرها.
باختصار، إنه كتاب يلقي الضوء على الطريقة التي نفهم بها الكون الذي نعيش فيه.



عند تلاشي الضوء
In Tijden Van Afnemendlicht
تأليف: يوجين روج
الناشر: GeusUitgeverij (يناير 2012)

تسرد رواية «عند تلاشي الضوء» التي حازت جائزة الكتاب الألماني، قصص أربعة أجيال ألمانية من عائلة واحدة ووقائع تمتد من العام 1952 إلى العام 2001م. ومنذ صدورها في ألمانيا، أحدثت الرواية ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية والسياسية والإعلامية بصفتها ملحمة التاريخ الألماني الحديث.

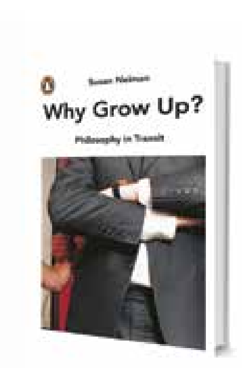
تدور أحداثها الأساسية فيما كان يُعرف بألمانيا الشرقية، لتتابع في المكسيك وسيبيريا وذلك مع تشتت أفراد العائلة الذين شهدوا تحوّلات سياسية وجغرافية واقتصادية واجتماعية، قلبت نظام حياتهم، وبدّلت كثيراً من معتقداتهم الاجتماعية الفكريّة، التي تمثّلت في ردود أفعالهم حيال جملة من الأحداث المتلاحقة، كان أقواها انهيار جدار برلين وتوحيد ألمانيا من جديد.

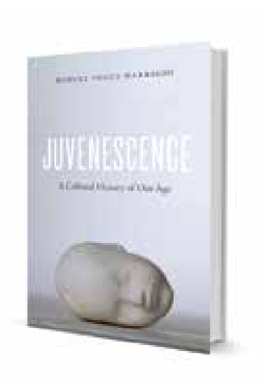
تأخذنا الرواية إلى الأمام، ومن ثمّ تعود بنا إلى الوراء، وهي ترسم صورة بانورامية لتاريخ العائلة من عودة أجداد ألكسندر إلى ألمانيا لبناء دولة اشتراكية، إلى السنوات التي أمضاها والده في السجن، إلى رغبة ابنه بترك جميع صراعات الماضي والتطلع إلى المستقبل.

وهي رواية تحمل كثيراً من الحكمة والفكاهة والتعاطف التام مع شخصيات تلك العائلة الألمانية التي ستدخل التاريخ وتحفر فيه اسمها مثل عائلة بوينديا للكاتب اللاتيني غبريال غارسيا ماركيز وعائلة لو غيبار للكاتب الإيطالي جوزيبي توماسي دي لامبيدوزا.

بين كتابين

أعمارنا الهاربة..





(1) لماذا نكبر؟ الفلسفة في المرحلة الانتقالية. تأليف: سوزان نيمان
Why Grow up? Philosophy in Transit, by Susan Neiman
الناشر: Penguin (سبتمبر 2014)

(2) الشباب: تاريخ ثقافي للعمر. تأليف: روبرت بوغ هاريسون
Juvenescence: A Cultural History of Our Age, by Robert Pogue Harrison
الناشر: University of Chicago Press (نوفمبر 2014)

في المجتمعات الحديثة كلّ ما حولنا يشير إلى عشق للصبا والشباب، من عمليات التجميل الرائجة إلى انتشار استخدام المكملات الغذائية وتشجيع الرياضة إلى شتى الأمور التي تعد بالمحافظة على الشباب الدائم. ولكن من خلال هذا التشبث العنيد بالشباب والصبا، يتمّ إفقار الشباب والنضج معاً من معناهما الحقيقي.

تقول سوزان نيمان في كتابها «لماذا نكبر؟» بأنّ التقدم في العمر في عصرنا الحالي يبدو مشروعاً قاتماً. مع التقدّم في العمر يُطلب من الأشخاص التخلي عن معظم آمال وأحلام الطفولة، والاستسلام لحياة شاحبة تختلف عن الحياة الممتعة المملوءة بالمغامرات التي نتخيلها في مرحلة الطفولة. ومن الذي يريد ذلك؟ ليس من المستغرب أن نعيش في ثقافة عدم النضج المستشري عندما تبدو الحياة الناضجة مملة لهذه الغاية. فهناك ميل سائد في العصر الحديث لوضع الشباب والتقدم في العمر في مواجهة صعبة مع بعضهما بعضاً. وهو الميل الذي يؤدي، حسب نيمان، إلى ظهور أبرز التشوهات في عصرنا الحديث. ففي المجتمع الاستهلاكي المعاصر يتمّ الخلط بين البلوغ والقدرة على تجميع الممتلكات الباهظة الثمن، بينما تُصوَّر «الأفكار حول عالم أكثر عدالة وإنسانية كمجرد أحلام طفولية».

وفي كتاب «الشباب» الذي هو تحليل ثاقب للتاريخ الثقافي لمعنى العمر، يقوم الكاتب روبرت هاريسون بتحديد التناقض نفسه في النزعة الجماعية لجعل أنفسنا أكثر شباباً إن كان من ناحية المظهر أو السلوك أو طريقة التفكير أو أسلوب الحياة وأكثر من أيّ أمر آخر من ناحية الرغبات. فمن أكثر الأمور التي تلحق بمجتمعاتنا نوعاً من الهزيمة الذاتية، إعطاء الأجيال الشابة السيادة على ثقافتنا، بينما نحرمهم من الحكمة التي يمكن أن نزوِّدهم بها كأشخاص راشدين نتوق للتشبه بهم. يقول هاريسون إنّ العالم الذي نعيش فيه أصبح غنياً بالعبقرية، من خلال ازدهار الاختراعات التكنولوجية العملية، بينما هو فقير بالحكمة التي تعبِّر عن جدارة بأنّها من أهم العناصر في ضمان استمرارية العالم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، كيف يمكن الدفاع عن التقدّم في العمر، بينما تصطف جميع قوى الثقافة المعاصرة ضده؟ ما يتشاركه هذان الكتابان أكثر من أي شيء آخر هو الاهتمام بالنضج كعلاقة داخلية مستمرة بدلاً من كونها رفضاً لذواتنا الفتية. تلجأ نيمان إلى الفلسفة التي تقدِّم لنا الحلّ للمساعدة على النضج بطريقة سليمة، وتقول إنّه لطالما كان العمل والترحال، سواء أكان بمعناه الحرفي أو المجازي، خطوة أساسية بالنسبة لكثير من المفكرين مثل كانط وروسو وهيوم وسيمون دو بوفوار، خطوة تجعل من عملية النضج عملية تدريجية، وتجعل الاعتراض على الواقع أبعد من أن يكون طفولياً بل يتبع قانون العقل الذي يجعل الواقع مفهوماً ومقبولاً.

أما هاريسون فيقترح حلاً يعتمد على ثقافة يتم فيها إحياء قوى الحكمة. فنحن نكبر بيولوجياً ونفسياً واجتماعياً ضمن إطار ثقافي معيّن في ظلّ تاريخ قد سبقنا وسوف يستمر من بعدنا. والتاريخ لا يتكشف حقيقة إلَّا من خلال حوار طويل بين مبادئ الشباب والتقدّم بالعمر أو بين العبقرية والحكمة، وإنّ المجتمعات المزدهرة هي التي يتم فيها تزويد الثقافة الإبداعية بحكمة الماضي ويجري إحياء التقاليد القديمة من خلال الاختراعات الحديثة. ويؤكد هاريسون أنّه «في الوقت الذي تفتح فيه العبقرية النافذة على اكتشافات المستقبل، تحمل الحكمة موروثات الماضي وتقوم بتجديدها من خلال تسليمها إلى الأجيال الجديدة».

قول في مقال

أن تكتب عن المرأة

محمد العصيمي

أن تكتب عن المرأة في عالمنا العربي وأنت رجل يعني أنك دخلت عش الدبابير من الجنسين: رجل يرفض تدخلك في شؤون (نسائه) وامرأة ترفض تعاطيك في شأن يخصّها. أي إنك ملسوع في كل الحالات ومهما كانت ظروف وملابسات ما تكتب، حتى لو كنت تنتصر للمرأة إثر قرار رسمي صدر لصالحها الشخصي والحياتي العام.

يقع هذا، من وجهة نظري، في خانة ثقافة التصنيف الشائعة والراسخة على كل نطاق، إذ طالما طُرحت مسائل فكرية وثقافية على أساس من ذكورتها وأنوثتها وليس على أساس إنسانيتها، التي يفترض أنها المنطلق الأصلي لكل من يفكر أو يكتب أو يتناول الشأن العام، سواء كان رجلاً أم امرأة.

وُجد ولا يزال، رغم الممانعة والرفض القاطع أحياناً، أدب وشعر عربي رجالي وأدب وشعر عربي نسوي. وهناك دراسات وأبحاث مطولة في الرواية والقصة والقصيدة والمقالة النسوية العربية، باعتبارها، نتاجاً أو إفرازاً متغيراً أو مختلفاً بتغير أو اختلاف الجنس.

العلة، كما أتصور، تكمن فيما يستبطنه العقل العربي من اعتبار الذكر، صاحب الحضور والحظوة المجتمعية، المصدر الأول للأفكار والنصوص والمشاريع التقدمية. وحين تُقبل المرأة في هذا البلاط فإنها تُقبل باعتبارها تابعة أو ثانوية. والدليل ظاهرة نسبة بعض نصوص النساء، في الرواية والشعر وغيرهما من صنوف الأدب، إلى مراجع ذكورية مباشرة، مثل ما قيل من أن سعدي يوسف كتب رواية أحلام مستغانمي ذاكرة الجسد وأن نزار قباني يكتب قصائد سعاد الصباح، ما يشي برسوخ الاعتقاد (الباطني) بأن المرأة لا تملك القدرة على إبداع ما تنسبه لنفسها، بالشكل الذي ظهرت به تلك الرواية أو تلك النصوص الشعرية.

سعاد الصباح نفسها قالت بغضب في حديث صحافي قبل عشر سنوات تقريباً إنها ملَّت من أسطوانة نزار قباني المشروخة وقالت وقتها: «اسألوا ديوك القبيلة الذين أطلقوا هذه الشائعة وصدقوها، فلا صوت يعلو فوق صوت الرجل الذي يخاف من ثقافة المرأة!».

يصعب فيما يبدو، حتى على المثقف العربي، فضلاً عن الإنسان العادي، أن ينظر إلى نص مكتوب دون أن يعرف جنس الكاتب ليحكم على هذا النص. وكانت نتيجة هذه الممارسة، التي لا يمكن تجريدها من التقصّد أحياناً على مستوى ما يسمى النخبة، إلى حالة عزل فكرية اجتماعية بين الجنسين في الحالتين: إرسال النص من الكاتب واستقباله من الجمهور.

لم يكن هذا الجمهور، وهو يستقبل النص، بحاجة إلى من يوصيه بممارسة التمييز الفكري والثقافي على أساس الجنس، فهو سلفاً، في غالبيته العظمى، نصير لحالة الفرز بين الجنسين على كل مستوى في حياتنا، من أكبر الأشياء إلى أصغرها. وبالتالي ليس من الحصافة أن يلام هذا الجمهور، في قسمه الذكوري، على مواقفه السلبية من نص يكتبه رجل عن المرأة المحسوبة حياتياً على رجل بعينه ليس لغيره حق التحدث عنها أو عن حقوقها الإنسانية من رجل آخر. كما لا يمكن أن تُلام امرأة تطالب بعدم تدخل الرجل الكاتب في شؤونها لأنها أيقنت، تبعاً لحالة الفرز الطويلة والضاغطة، أن ما يخصها شأن داخلي بحت باعتبارها امرأة ومن المفترض أن تكتب عنها أنثى مثلها لأنها، بحكم الجنس، الأعلم بشؤونها.

وما بين المطرقتين، مطرقة الرجل والمرأة نفسها، ستظل، باعتبارك من كتاب شؤون المرأة، محسوباً على غير عالمك؛ لأن عالم الشخص في ثقافتنا العربية هو جنسه وليس إنسانيته.

يتداول بعضهم أخباراً حول العلاج بالشرب من وعاء ماء يحتوي على «جنيه فضة»؛ حيث أخذ الموضوع مساحة إعلامية!
فما هي حقيقة هذا الاعتقاد؟ وما هو عنصر الفضة وما علاقته بالجانب الصحي؟ وماذا يقول الطب الحديث بعدما قاله الطب قديماً؟

د. محمد آل محروس

الفِضة الغَرَوِية

العدوة الكبَرى للميكروبات



الفضة من العناصر الطبيعية الموجودة بكميات قليلة في التربة، وتُعَدُّ معدناً ضرورياً لمعظم الكائنات الحية المُعقَّدة؛ ومضاداً حيوياً واقياً من الميكروبات؛ والأمر الذي لا يوجد عليه خلاف البتة.

وقبل البدء في مناقشة المراجعات، حريٌ بنا أن نُعرِّف مصطلح «الغَرَوِية» الذي يعني: «المادة الذائبة في مادة أخرى، والمتوزعة بين جزيئاتها -مجهرياً- بالتساوي». ويجب أن نُميِّز خلال النقاش بين: «الفضة» وَ«الفضة الغروية» وَ«نترات الفضة» أو أي عبارة تحوي كلمة «فضة». حيث إنها كلها تُشير إلى مستحضر من الفضة يختلف في خصائصه ومزاياه.



استخدامات الفضة في العلاج معروفة منذ القِدم وفي كل الحضارات

و«الفضة الغَرَوِية المُتَجَانِسة» هي من مستحضرات الفضة. فعندما يتم تصنيعها بطريقة صحيحة فإنها تصبح غير سامة وبدون طعم. وتكون حينها صالحة للتطبيق طبياً على الإنسان؛ حيث تعمل على كامل طيف الميكروبات، وتكون صالحة للاستخدام كمطهر يقلل من طول مدة كثير من الأمراض وحِدَّتها. ولهذه الأسباب وغيرها، أثبتت «الفضة الغَرَوية المُتَجَانِسة» أنها أحد الاكتشافات المُثلى في عالم الوقاية من الأمراض، وكأحد المواد الطبيعية في مجال العناية الصحية (كما ينقل علماء وباحثو هذا التوجه العلمي). فما هو أصل وحقيقة ذلك؟



الفضة في الحضارات القديمة

حينما نُراجع التاريخ، سنُلاحظ أن الفضة قد استُخدمت من قبل عديد من الحضارات التي تشكَّلت عبر العصور؛ ونذكر منها اليونانيين القدماء الذين كانوا يزخرفون أوعية طعامهم وشرابهم بالفضة، وكان أطباؤهم يستخدمون زهرة الفضة (غبار الفضة الناعمة) لتطهير الجروح؛ وهو الأمر الذي نُقِلَ عن أبقراط. فهل كان هذا من باب الترف؟ أم أن له مغزى اعتقادياً آخر؟

المقدونيون أيضاً استخدموا أباريق الفضة لنقل المياه. وتبعهم بعدها العرب في علاج بعض الأمراض. كما استخدم الصينيون الوخز بالإبر منذ 7000 سنة؛ ولكنهم سرعان ما فضلوا الإبر الفضية. ولا تزال الفضة تُستخدم في الطب الهندي (الأيورفيدا). ونُشير إلى أن التاريخ قد سجل لبعض شعوب الدول الغربية أنها وضعت عملة فضية في أوعية الحليب لحفظها (دون تبريد)؛ وهو ما قد يُربط بموضوع التحقيق، كحقيقة تاريخية نستشهد بها دون تأييد أو معارضة لها، ولا يُقصد بها (خلال هذه المرحلة) لا التوجيه السلوكي ولا الإرشاد الطبي، ما لم نتحقق من ذلك من خلال بنائنا للمعلومات الآتية تفاصيلها لاحقاً!

اكتشاف المضاد الحيوي الشامل

حينما يتم استخدام الشكل «الفضة الغَرَوية المُتَجَانِسة»، فإنها تكون مُناسبة لعديد من التطبيقات الطبية؛ وتكون غير سامة. ولقد ثبتت فاعليتها ضد المئات من الأمراض المُعدية؛ علماً بأنَّ ميكانيكية تأثيرها لم تُفكك بالكامل، إلا أن النظرية الأكثر قبولاً هو تعطيلها لأنزيم عمليات البناء الذي تستخدمه الكائنات البكتيرية والفيروسية والفطرية. وبحثياً نُشير إلى أنه لا يُكتفى بالأخذ بتأثير المواد على العوامل المُمرضة، بل يجب أيضاً التأكد من عدم سمّيتها للإنسان.

بحوث ودراسات أولية

ذكر العالم ريفلين في عام 1869م أن لجرعات الفضة الضئيلة فَاعلية ضد الميكروبات. وفي عام 1881م، كان العالِم بليبزيغ يوصي بوضع نترات الفضة المُخففة في أعين حديثي الولادة لمنع الالتهابات الميكروبية؛ وكان حينها يُحقق نتائج مبهرة، حيث ساعد ذلك على خفض الالتهابات؛ مما أدى لتعميد التطبيق رسمياً في أمريكا ومعظم أوروبا. وفي عام 1893م، اكتشف عالم النبات السويسري كارل فون نجالي أن تركيز 0.0000001% من «الفضة الغَرَوِية» قاتل لطحالب المياه العذبة.

إعادة اكتشاف «الفضة الغَرَوِية المُتَجَانِسة»

بدأت فكرة الرجوع إلى العلاج بالفضة في الطب الحديث في السبعينيات من القرن العشرين، فشرارة هذا اللهيب لم تشتعل إلا حينما تسلَّم كارل موير، في جامعة «سانت لويس» في واشنطن، دعماً مالياً



من مزايا «الفضة الغَروِية المُتَجَانِسة» أنها لا آثار جانبية لها، بل وتُعد آمنة، خصوصاً حينما تُعطى في الحدود المنصوص عليها.. ونظراً لمقدرة الجسم على معالجة جزيئاتها الصغيرة، فلا قلق من تراكمها في الجسم، حيث يُطرح الفائض منها خلال عمليات الإخراج، على عكس غيرها من مركبات الفضة

لتطوير علاج مناسب لضحايا الحروق؛ وشارك معه (من نفس الجامعة) هاري مارجراف، بالتعاون مع مجموعة من الجرَّاحين. وعمد الفريق البحثي إلى إيجاد مطهِّر فعَّال وآمن عند تطبيقه على الجسم المُتأثر بفعل الحروق. وقام مارجراف بمراجعة شملت 22 مطهراً، ووجد بأنها لم تكن مناسبة لأسباب مُتعددة. فالزئبق -مثلًا- ملائم كمطهر، إلاَّ أنه سام. وعَلَّق مارجراف على ذلك قائلًا: «نستطيع استخدام المطهرات المعروفة على مساحات صغيرة من الجسم فقط». وأضاف:«إن الميكروبات الممرضة تستطيع أن تبني مقاومة ضد كثير من المضادات والمطهرات الحيوية، مما قد يؤدي إلى نشوء سلالات متطورة ومقاومة لكثير من العلاجات، وهو أمر في غاية الخطورة». ويُضيف: «إن هذه المُطهِّرات ليست فَعَّالة تماماً ضد كثير من الميكروبات، التي تشمل كثيراً من السُلالات القاتلة لمرضى الحروق، لا سيما البكتيريات المُخضرة المُسماة بـ «البكتيريا الهوائية الكاذبة»، التي غالباً ما تظهر على الجلد المُتآكل أثناء الحروق مطلقةً سموماً خطيرةً».

ومن خلال مراجعة النشرات، وجد مارجراف مصادر متعددة عن الفضة. حيث وُصفت فيها: «بالمُعيقة لتنفس الميكروبات من خلال حرمانها من أنزيماتها الاستقلابية فتقتلها». ولقد بقيت هذه النظرية الأكثر قبولًا في عملية قتل الميكروبات.

ومع كل هذا، فلقد كانت «نترات الفضة» المُرَكَّزة حارقة للأنسجة ومؤلمة جداً (ربما لكبر حجم جزيئاتها). وعليه، قام مارجراف بتخفيف «نترات الفضة» فوجد أنها تقتل «البكتيريا الهوائية الكاذبة»، فينتج عنها التئام الجروح وشفائها؛ بل ولاحظ أن معظم الميكروبات الشرسة المقاومة للمضادات الحيوية تختفي تماماً. إلا أنه لم يغِب عن باله بأن «نترات الفضة» لم تكن المركَّب المثالي في التطبيقات الطبية؛ حيث كانت: «تسبب اضطراباً في التوازن العام لأملاح الجسم، كما أنها كثيفة وثقيلة عند الاستخدام، وتصبغ كل شيء تلامسه». وعلى إثر هذه النتائج، قام مارجراف بالبحث عن مُستحضر آخر من مستحضرات الفضة قابلة للطبابة. ونظراً لجهوده، ظهرت مئات الاستعمالات الطبية للفضة.

لقد وجد مارجراف أن المجلات الطبية - المنشورة منذ مطلع عام 1900م - استعرضت المستحضر الأفضل للفضة، وهو «الفضة الغَروِية المُتَجَانِسة»، والموصوف بأنه محلول الفضة الوحيد الذي لا يترسب تحت الجلد مهما كانت كميته وعدد مرات تطبيقاته المستخدمة.

إلا أن تلك النتائج لم تحجب هجوم المشككين في صلاحية الفضة كمطهر، مصطادين تلك النتائج البحثية في مستنقع الأخطاء. إذ إن ما ساعد على إثارة تلك الانتقادات، هو أن ما كان يُطلق عليه بـ «الفضة الغَروِية المُتَجَانِسة» في تلك النشرات كانت غير «غروية ومُتَجَانِسة» بمعناها الحقيقي. وما أن تم التعرف على أن ما سُمي بـ «الغَروِية المُتَجَانِسة» كانت متأثرة بفعل عوامل التحضير المُختلفة، حتى تمت معالجة الأمر. وعلى إثرها ظهرت «الفضة الغَروِية» المُحضرة تحضيراً مُتجانساً.

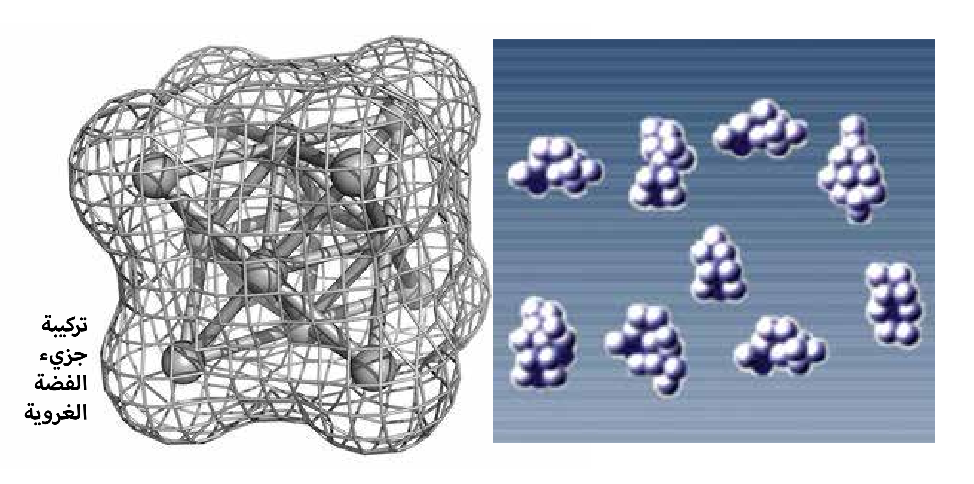
ذكر العالِم ثومبسون في سبعينات القرن الماضي، والمُشار له في كتاب «الكيمياء العضوية الموسعة» أن: «فعالية الفضة بمقاديرها القليلة، لا تختلف عن أقوى أنواع المطهرات الكيميائية؛ ولا تكون مؤذية للإنسان ولا للحيوانات الثديية؛ وهذا ما يجعلها مناسبة كمطهر ومضاد».

وجاء في تقرير لاري فورد - من جامعة كاليفورنيا (لوس أنجلوس)، حول أبحاثه عام 1988م، ما مفاده: «بحث في محاليل الفضة مستخدماً مقاييس فحوص المضادات الحيوية المُعْتَمَدَة؛ ووجدت أنها كانت فَعَّالة ضد عديد من الميكروبات الإكلينيكية الممرضة».

أما أبحاث «جم بول» - التي نشرها في «ساينس دايجست» عام 1978م - بعنوان «ميكروباتنا المحاربة والمقتدرة»، فقد جاء فيها: «أن عنصر الفضة الثمين يطل على الطب الحديث كعلاج مدهش؛ فهو يُعد مُضاداً قاتلاً لما يُعادل نصف الأمراض التي تسببها الميكروبات، بل إنه يقتل ما يُعادل 650 سلالة مقاومة وشرسة؛ في الوقت الذي لا نُلاحظ بروز أي سلالات جديدة مقاومة من الميكروبات له؛ وهو غير سام للإنسان». لَخَّص مارجراف كل تلك العبارات في عبارته المُسجلة: «الفضة أفضل محارب ميكروبي نملكه».

لماذا «الفضة الغَروِية المُتَجَانِسة»؟

بالابتعاد عن العمومية والبدء في الحديث عن المركبات الخاصة (آخذين بعين الاعتبار الآثار الجانبية على المدى البعيد والقريب، لا سيما حينما نعرف أن أعداد مركبات الفضة المُسجلة على قائمة الأدوية في القرن التاسع عشر قد وصلت إلى 60 مركباً)، فإن هذا يستدعي مُعاودة التأكيد على أن محور الحديث هو «الفضة الغَروِية المُتَجَانِسة»، القاتلة للميكروبات على اختلافها خلال دقائق وبتركيزات تصل لأجزاء من مليون؛ التي عُرفت بصفاتها المضادة للأمراض المُعدية عند الإنسان، والمُستخدمة بكثرة عند الأطباء قبل تطوير المضادات الحيوية، لا سيما في الأربعينيات من الألفية السابقة. أما حالياً، فلقد بقيت عند البعض تُستخدم كُمطهر، خصوصاً في عيون حديثي الولادة؛ واتسعت دائرتها لتضعها على قائمة مضادات الحروق، وفي مصافي الماء، وغيرها من استخدامات مُشابهة. بل إنها بدأت تداعب أفكار الباحثين بعد أن زادت مقاومة البكتيريا للمضادات الحيوية.

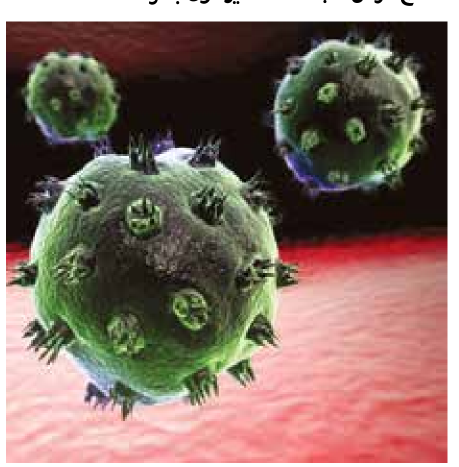


تركيبة جزيء الفضة الغروية

هناك من يتحسَّس من الفضة لأسباب غير معروفة. إذن، يجب أخذ احتمالات التحسس بالحسبان مقابل الفائدة المتوقعة من العلاج بالفضة

من مزايا «الفضة الغَرَوِية المُتَجَانِسة» أنه لا آثار جانبية لها، بل وتُعَّد آمنة، خصوصاً حينما تُعطى في الحدود المنصوص عليها. ونظراً لمقدرة الجسم على معالجة جزيئاتها الصغيرة، فلا قلق من تراكمها في الجسم (حيث يُطرح الفائض منها خلال عمليات الإخراج)، على عكس غيرها من مركبات الفضة؛ وهذا ما أكده مركز السيطرة على المواد السامة في وكالة الوقاية البيئية الأمريكية (EPA). ومن هنا نفهم، أن ما تقدّمنا به مفاده أن الأحياء المُعقَّدة (أكثر من خلية) لا يبدو أنها تتأثر سلباً بها، على عكس وحيدات الخلية. أما حينما ترتبط بعناصر أخرى، فإن ذلك لا يلغي تأثيرها ضد الميكروبات، إنما يجعل منها مركبات ذوات حجم كبير (كما هو الحال في «نترات الفضة») ذات الآثار غير المرغوبة التي تصبغ الأنسجة بلونها. ويشير تقرير الحكومة الكندية الصادر في عام 1986م إلى ذلك. إلا أن الكنديين لم ينتبهوا لحقيقة أن كبر جزيئات مركب الفضة كان هو السبب، ويُدلِّل على ذلك قولهم في التقرير نفسه: «إن نوعية الفضة التي تصبغ الجلد غير معروفة تماماً». ولكن العالِمين هيل وَبيلسبري قد لاحظا بعد ذلك أن الحقنة لم تكن بسبب «الفضة الغَرَوِية» الصغيرة في الحجم، بل بمركب من الفضة جزيئاته كبيرة.


بول كاراسون، الذي تغيَّر لون بشرته على مدار 15 عاماً حين بدأ باستخدام جزيئات الفضة المعلّقة في السائل. وقيل إنه استخدمه داخلياً وخارجياً على وجهه لعلاج مرض الجلد، مما غيَّر لون بشرته.


الفضة الغروية تدعم خلايا T في قتالها ضد الكائنات الغريبة في الدم

وللتوضيح، فـ «الفضة الغَرَوِية المُتَجَانِسة» هي نتاج لعملية كهرومغناطيسية، تُسحب فيها جزيئات مجهرية من قطعة أكبر من الفضة إلى سائل يحملها كالماء. والفضة بجزيئاتها الصغيرة- كـ «الغَرَوِية المُتَجَانِسة»- لها فوائد كثيرة، منها:

1 - أنها تستطيع اختراق الجسم والتجول فيه بسهولة
2 - تعمل كمادّة محفزة
3 - تثبط الأنزيم الذي تستخدمه كل أنواع الميكروبات أحادية الخلية لأجل استقلاب الأكسجين فيها
4 - لم يعرف عنها أنها تطور سلالات مقاومة

والشيء بالشيء يُذكر، فإن المضادات الحيوية ربما تكون فَعَّالة فقط ضد مجموعة محددة من أشكال البكتريا والفطريات، لكنها لا تؤثر أبداً على الفيروسات!

أينطبق ما تقدَّم على «جنيه الفضة الموضوع في ترمس الماء»؟

لقد كتب لفريد سيرال، مؤسس تكتل الصيادلة في عام 1919م، ما فحواه: «تستمر قوة الفضة بإثبات نفسها عبر العالم في التطبيقات الحديثة، حيث يَستعملُ الأطباء مركبات الفضة في مراكز علاج الحروق». وتعتمد معظم الخطوط الجوية على الماء المعالج بالفضة؛ وتستخدم «ناسا» نظاماً لمُعالجة الماء بها في مركبات الفضاء، كما فعل السوفييت ذلك قبلها؛ بل حتى الشركات اليابانية تزيل مركبات السيانيد وأكسيد النتريك المنبعثة في الهواء باستخدام الفضة. وفي عام 1928م، قام كراوس بوضع طلاء من الفضة في أنظمة تنقية المياه المنزلية، لتتوالى تعزيزات استخدامها. وهنا نُبين أن النقود الأمريكية الفضية التي استعملت حتى عام 1964م، كانت تحتوي على الفضة الخالصة بنسبة 90%، وَ9% نحاس، وَ1% زنك، وكلها مواد تتمتع بخواص مفيدة إذا استخدمت بالشكل الغروي. وكان البعض يُنظفها حتى تلمع، ويضعها في خزانات الشرب (وهذا للتوثيق، ولا ينبغي تطبيقه). وعلى كلٍ، يبقى السلك الفضي - المدروسة مكوناته وتأثيراته - المادة الآمنة، بل والأسهل عند الاستخدام.

حساسية الإنسان للفضة

في عام 2001م، نشرت وزارة البيئة في كولومبيا البريطانية تقريراً، ذكرت فيه أن البعض يتحسس من تأثيرات الفضة السمية، مثل الذين يعانون نقصاً في فيتامين «إي»، أو نقص في السيلينيوم، أو من تحتوي أغذيتهم على نسب عالية من السيلينيوم، أو من يعانون أمراضاً وراثية تؤثر على عملية استقلاب السيلينيوم أو فيتامين «إي»، أو من لديهم تلف كبدي. يُضاف إلى ذلك، أن هناك من يتحسس من الفضة لأسباب غير معروفة. إذن، يجب أخذ احتمالات التحسس بالحسبان مقابل الفائدة المتوقعة من العلاج بالفضة.

احتياج الإنسان اليومي للفضة

تُشير الدراسات إلى أن حاجة الإنسان البالغ من الفضة هي في حدود 400 مليجرام يومياً. وقد ربط بعضهم بين المناعة القوية للجسم والفضة. وعليه، فإن الإنسان (على حد قولهم) في حالات عوز الفضة يكون عرضة للأمراض؛ ولو احتوى الجسم على كفايته منها لكان كمن امتلك جهازاً مناعياً إضافياً.

خلاصة البحث

مما تقدَّم يتضح أن التحضير المُتجانس والصحيح لـ «الفضة الغَرَوِية»، يجعل منها محلولًا غير سام، وقابلة للتطبيق الآدمي؛ بل ومضادة لِطَيْفٍ كبير من الميكروبات، وأثبتت جدارتها كأحد الاكتشافات العلاجية للوقاية والعناية بالصحة، على الرغم من ردود الفعل النقدية تجاه ما استُعمل في العقود الماضية بسبب سوء تحضيرها وعدم استقرارها، وقد بدأت تعود -تدريجياً- كمضاد ومطهر في المجالات الطبية، إلا أنها تحتاج لبعض المراجعات الأخيرة من أجل تعميدها بصورة نهائية.

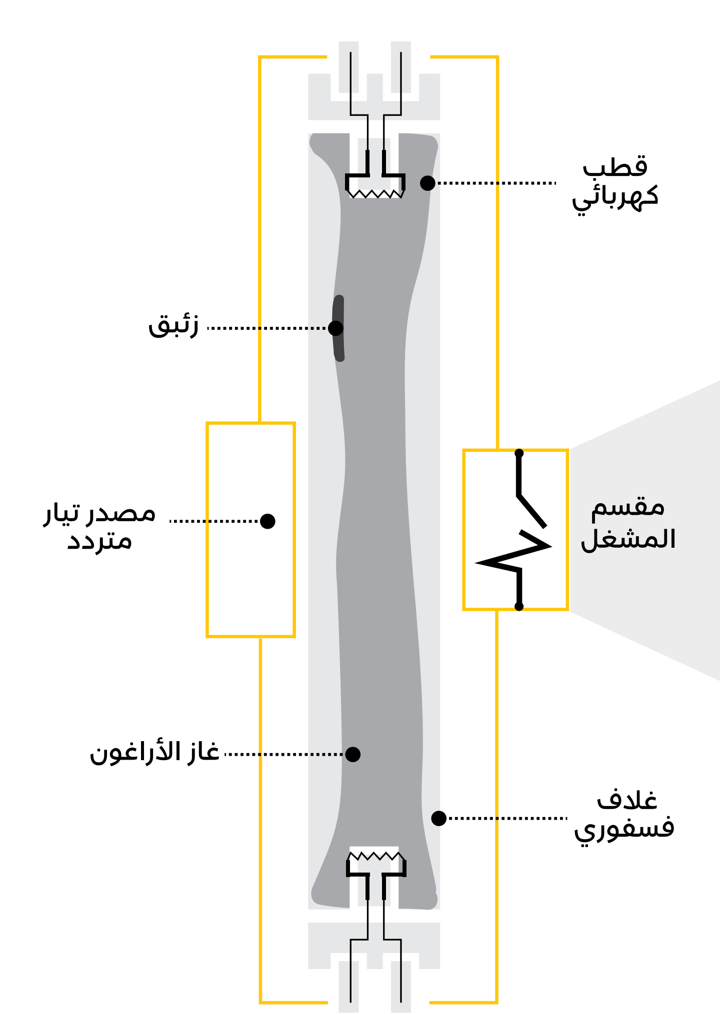
وأخيراً، كما يظهر عند التأمل في مجمل الملاحظات البحثية والدراسية، فإن فعالية وأمان استخدام «الفضة الغَرَوِية» في علاج العشرات من الأمراض الميكروبية المعروفة ما زال محصوراً في نظريات وخيال وتصور العلماء والباحثين والأطباء المُشار لهم في هذا التحقيق، كون تطبيقاته الطبية المُختلفة والمُتعددة لم تُعتمد بشكل كامل ونهائي رسمياً من قبل المُنظمات الصحية العالمية! ولذلك يبقى استخدامها كعلاج خاضع للتشخيص الطبي.



كيف يعمل...

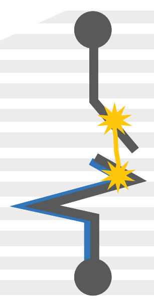
مصباح الفلورسنت

يمكن تقسيم مصباح الفلورسنت إلى جزأين: الأنبوبة الزجاجية المفرَّغة من الهواء والمطلي سطحها الداخلي بالفوسفور، ودارة كهربائية ثانوية اسمها المشغّل أو الـ Starter. وتحتوي الأنبوبة على غاز خامل عنصر (الأراغون). ويوجد على طرفيها قطبان للتوصيل الكهربائي. لكن الغاز لا يعدّ موصلاً ناجحاً إلّا إذا تم نزع بعض الإلكترونات من ذراته (وهذا ما يعرف بالتأيّن). والمسؤول عن هذه العملية هو المشغّل.



1

عند ضغط مفتاح الإضاءة، يبدأ التيار الكهربائي في المرور من خلال المشغّل لتحفيز الغاز الذي يظل وقتها عازلاً للتيار.



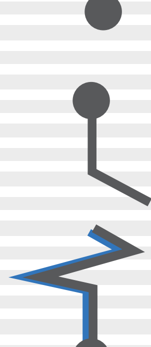
2

يحتوي المشغّل على سلك مُقسَّم إلى نصفين ذوَي طرفين متباعدين. ويحدث تفريغ كهربائي ينتج عنه بريق ضوئي يعمل على تسخين الطرفين فيتمددان باتجاه بعضهما إلى أن يتلامسا فيمر التيار الكهربي من خلالهما.



3

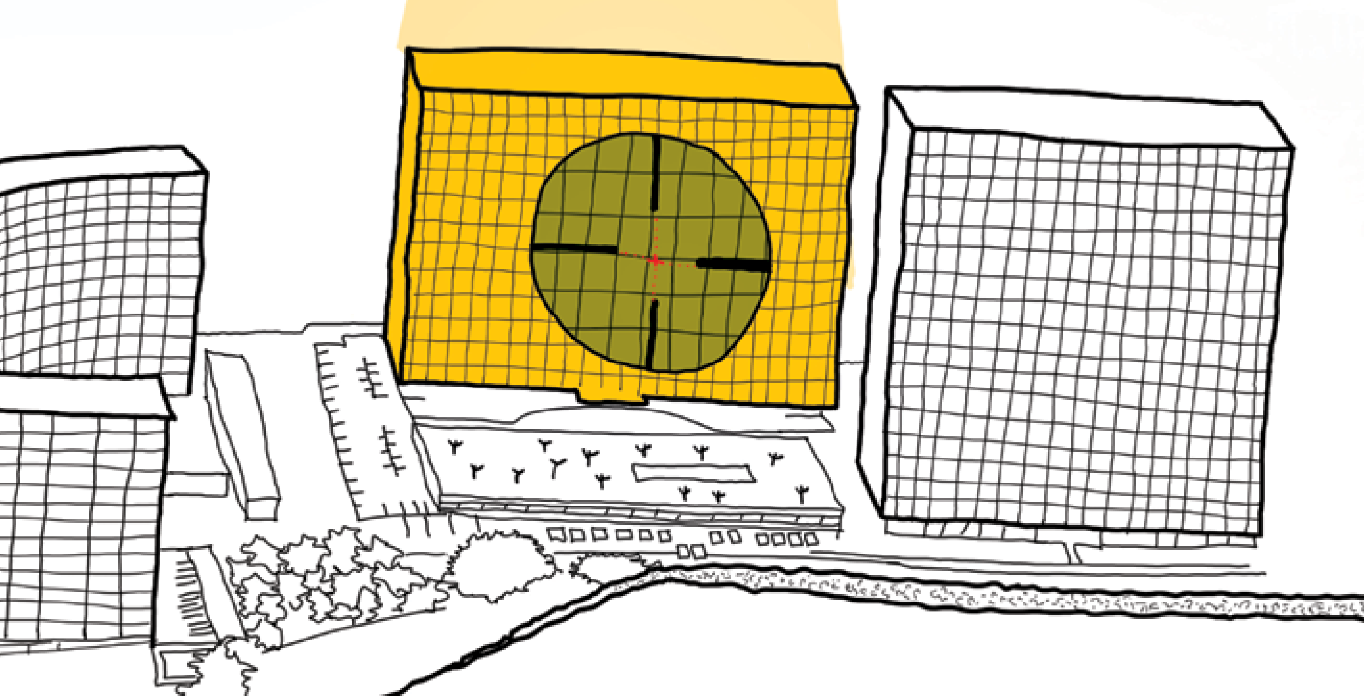
يستمر مرور التيار في المشغّل إلى أن يتأين غاز الأراغون، ويجد التيار الكهربائي مقاومة أقل في الوسط المتأين فيتوهج أنبوب المصباح بأكمله. عندها يتوقف مرور التيار في المشغّل الذي سيبرد فينكمش طرفا السلك ليتباعدا. وينتهي دوره، إلى أن يعاد تشغيل المصباح في المرة المقبلة.





قد تكون طائرات «درون» التي تطير بلا طيار، أهم اختراع بعد الهاتف الذكي لجهة التأثير في الحياة المعاصرة، استناداً إلى تعدد استخداماتها رغم حداثة عهدها. والمؤسف أن صورة هذه الطائرات لا تزال مرتبطة في الوجدان العام بجانب استخداماتها الحربية، رغم أن الواقع مختلف تماماً عن ذلك. فحضور طائرات «درون» في فضاءات الحياة المدنية هو أكبر من ذلك بكثير. فكيف ستغيِّر هذه الطائرات حياتنا اليومية، وما مدى خطر انتشارها على سلامة استخدامها وسلامة الطيران المدني. أسئلة كثيرة تواجه قصة لا تزال في فصولها الأولى.

الطائرات بلا طيار في الأفق



كم هو عدد الطائرات بلا طيّار، التي باتت اليوم تحلّق في أجواء العالم؟ مليون؟ مليونان؟ عشرة ملايين؟ لا أحد يعلم! مع أن المعروف بلا شك أن المبيعات تتخطى مئات الألوف كل سنة، على نحو يبدو أنه خرج عن السيطرة. فالمحترفون والهواة، سواء بسواء، يجدون في الأسواق بسهولة كافة التقنيات والأدوات اللازمة لتجميع أساطيل من الطائرات بلا طيار، في مُحترفَاتهم وورشهم ومرائبهم وحتى بساتينهم.

إنهم الآن مثل أولئك الذين سبقوا الناس إلى امتلاك الهاتف الخلوي، روَّاد يحرّكون لدى الآخرين غريزة الفضول، وربما ابتسامة الاستغراب أيضاً. فالثورات التقنية حين تبدأ، يقابلها معظم الناس بعدم التصديق وربما بالتجاهل، لكنها تكسب الرهان في النهاية، وتُحدث التغيير العميق في المجتمع. وطائرات «الدرون»، ليست ألعاباً بسيطة، بل إنها تنتشر الآن انتشار النار في الهشيم، والأمور إلى تصاعد يوماً بعد آخر. تلك «الروبوتات» الطائرة باتت تحتل الأجواء!

ففي كل أنحاء الكرة الأرضية، صرت ترى هذه الطائرات الصغيرة تحلِّق، من باب التسلية، أو لأغراض قياس الريح ومراقبة الطقس، أو حتى لتوصيل البيتزا أو مبيعات شركة (أمازون). لقد بلغت تقنيات تطوير هذه النماذج من الطائرات سن الرشد، حتى إنها صارت الآن في متناول الناس العاديين، من حيث التكلفة. وهذا عنصر حاسم ينبئ باكتساح تجاري لابد آت.

العنصر الثاني للنجاح المحتم، هو تعاظم الأداء التقني نفسه: محرّكات فعّالة وصغيرة، وبطّاريات كهربائية قوية وطويلة العمر، مصنوعة من مكوّنات خفيفة للغاية، ولواقط لاسلكية منمنمة ودقيقة، ومعالِجات رقمية سريعة لا تحتاج إلى كثير من الطاقة، تماماً مثل ما نجده في الهواتف الذكية.

لا شك إذن في أن طائرات «درون» المدنية سوف تنتشر بسرعة. وتشير النشرة السنوية التي تصدرها المؤسسة الدولية لنظم المركبات بلا طيّار (Unmanned Vehicle Systems International) إلى أن في الأجواء الآن ما لا يقل عن 1708 نماذج مختلفة من نماذج الدرونات تحلّق على ارتفاعات تتراوح بين البضعة أمتار والبضعة كيلومترات، لأوقات تتراوح ما بين بضع دقائق وبضعة أيام. وهذه الطائرات تقوم بمهام مدهشة في تنوّعها.

عيون على العالم لمهام لا حصر لها

تُستخدَم طائرات بلا طيّار لمراقبة الحقول الزراعية. ففي ديسمبر 2013م، اشترت مجموعة برنار ماغريز الزراعية طائرات «درون»، من أجل مراقبة صحة المزروعات في حقولها، في منطقة بوردو الفرنسية.

وتراقب بعض الحكومات حدودها بواسطة «الدرون». فمنذ سبتمبر 2010م، تستخدم وزارة الأمن الأمريكية هذه الوسيلة، لتطيير دوريات على الحدود مع المكسيك، لضبط عمليات التهريب وتسلل المهاجرين.

وفي فرنسا، أعلنت الشركة الوطنية للسكة الحديد، في ديسمبر 2013م، عزمها على استخدام هذه الطائرات من أجل مكافحة سرقة كابلاتها، وهي ظاهرة تزداد انتشاراً وتصيب الشركة بخسائر متنامية.

وفي تشيلي، اشترت الحكومة طائرات كندية بلا طيّار من طراز «سيرينيتي» مزوّدة بعدسات مراقبة بصرية ودون الحمراء، من أجل اكتشاف الحرائق في الغابات، ووضع خرائط بهذا الشأن من أجل تحسين المكافحة والإطفاء.

في تشيلي، اشترت الحكومة طائرات كندية بلا طيّار من طراز «سيرينيتي» مزوّدة بعدسات مراقبة بصرية ودون الحمراء، من أجل اكتشاف الحرائق في الغابات، ووضع خرائط بهذا الشأن من أجل تحسين المكافحة والإطفاء..

وفي يونيو 2012م، اختبرت منظمة «الصندوق العالمي للحياة البرية» طائرات «درون» من أجل تعزيز مكافحتها صيد وحيد القرن المحظور، في اثنتين من المحميّات الوطنية في النيبال.

وقبل ذلك في 2011م، اختبر «المركز الفرنسي لأبحاث الطيران والفضاء» بنجاح، ملاحقة سفينة في البحر، بطريقة آلية. وقد تفيد هذه التجارب جهود مكافحة التهريب البحري والتسلل عبر البحار.

بل إن شرطة دبي، تجهّزت في سنة 2013م بطائرات «درون»، لمراقبة أحداث الشغب في الملاعب الرياضية. وقررت البرازيل فعل الشيء نفسه في مباريات كأس العالم لكرة القدم في 2014م.

وفي الأرصاد الجويّة، تستخدم وكالة الطيران والفضاء الأمريكية «ناسا» طائرتين «درون» من أجل ملاحقة العواصف الاستوائية، ومنشأ الأعاصير، في المحيط الأطلسي.



الدرون يسهم في إطعامنا

يمثل المزارعون فئة ذات ثقل اقتصادي، باتت تستخدم الدرونات أكثر من ذي قبل لإحداث نقلة نوعية في تخصصها الحيوي.

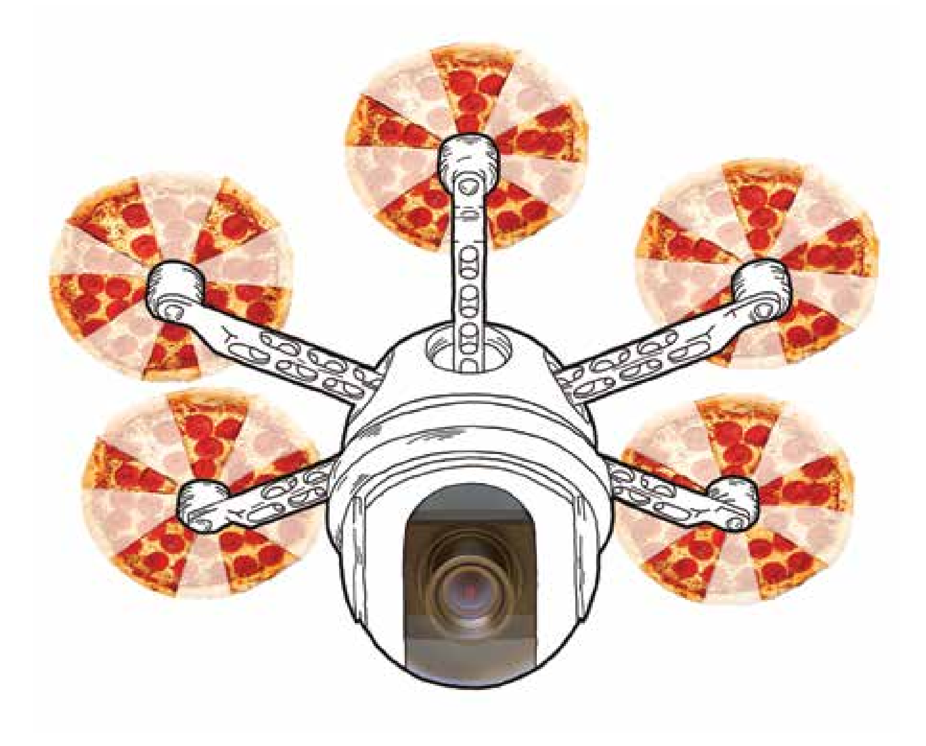
فهذه الدرونات تمكِّن المزارعين من الحصول على صور جوية للمحصول الزراعي بتكلفة زهيدة، إما بواسطة طائرات صغيرة ذات جناحين ثابتين، أو طائرات طوّافة «هيليكوبتر» ذات مراوح متعددة. وهذه الطائرات مجهزة بطيّار آلي، يَستخدم نظام الاستشعار العالمي «جي بي إس» وعدسة مصوّرة يتحكّم بها الطيّار الآلي. وعلى الأرض، برنامج حاسوبي، «يخيط» الصور العالية الدقة معاً، ليكوّن خريطة للحقل الزراعي.

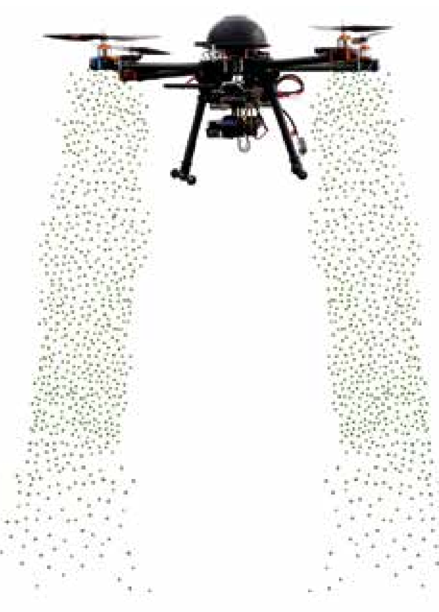
في حالة المراقبة الجوية التقليدية، تحتاج الطائرة إلى طيّار محترف، أما في حالة استخدام «الدرون»، فيستطيع صاحب المزرعة قيادة العملية كلها من مكتبه الصغير، بدءاً من الإقلاع، حتى الهبوط. ويتولى البرنامج الحاسوبي برمجة الرحلة، حسب رغبة المزارع الموجِّه. ففي هذه الحال يغطي تصوير الحقل كل أرجائه بلا استثناء، وفقاً للخريطة المبرمجة، ويلتقط الصور اللازمة لتحليل وضع الحقل المجمل.

وتوفِّر وسيلة استخدام الطائرات بلا طيار، صوراً دقيقة جداً للحقول، لم يحصل على مثلها المزارعون من قبل. فهذه الصور أرخص كثيراً من تلك التي يحصل عليها المزارع من الأقمار الصناعية، وهي فوق ذلك أدق من غيرها. وأرخص بكثير من الصور التي يوفرها التصوير الجوي بطائرة عادية. فالطيار المحترف يتقاضى 1000 دولار في كل ساعة طيران. أما الطائرة «الدرون»، فثمة نماذج منها لا يزيد سعرها الآن على 1000 دولار.

أما الصورة التي يحصل عليها المزارع في نهاية الأمر، بعد جولة المراقبة الجوية الشهرية أو الأسبوعية أو اليومية حتى، فهي على ثلاثة أنواع: فمشاهدة الزرع من الجو يمكن أن تميط اللثام عن حال الرطوبة في التربة ومشكلات سقاية الأرض. كذلك يمكنها أن تبيّن للمزارع مواضع إصابة الزراعات بالفطر والأمراض المختلفة التي تُرى بالعين المجردة فيعدّل خطته لرش المبيدات. أما نوع التصوير الثاني، فيمكن أن يكون بمختلف أطوال موجة الطيف، مثل التصوير بالأشعة تحت الحمراء، من أجل تكوين صورة مركّبة، تبيّن مواقع الزراعة السليمة، وتلك التي أصابها مرض قد لا يكون مرئياً بالعين المجرّدة. وثمة نوع ثالث من التصوير، هو التصوير الدوري، فالبرنامج الحاسوبي يستطيع أن يكوّن صورة متحركة للتطوّر الذي يحدث في الحقل الزراعي، مستعيناً بالصور التي تُلتقَط أسبوعياً مثلاً، فيتنبه المزارع إلى ما يجري في حقله، من أسبوع لآخر.

إن فائدة مثل هذه المراقبة لحقول الزراعة الواسعة، هي إخضاع المحاصيل لإدارة علمية تمتلك كل المعلومات اللازمة للسيطرة على الوضع الزراعي. فلم يعد العصر عصر الزراعة البدوية، التي لا تستفيد من التقدم الهائل في الأدوات والآليات التي وفّرها العلم، من أجل زيادة المحاصيل وتحسينها، بعدد أقل من اليد العاملة. فقد صارت آلات البذر الآلي للحبوب تعمل بدقة كبيرة، لا تتجاوز السنتمترات. وتوفر شبكات اللاسلكي الكثيفة سيطرة تامة على رطوبة الأرض، لمعرفة الأماكن التي تفتقر إلى الماء، وتلك التي تكتفي. فإذا أضيف إلى هذه، القدرة على رؤية كل ما يمكن أن يحدث للمحاصيل والتربة، بمراقبة جوية مستمرة على مدار الموسم، فإن النتيجة لا شك فيها.





إن فائدة مثل هذه المراقبة لحقول الزراعة الواسعة، هي إخضاع المحاصيل لإدارة علمية تمتلك كل المعلومات اللازمة للسيطرة على الوضع الزراعي..





يقدّر عدد البشر أن يبلغ عام 2050م، ما لا يقل عن 9,6 مليار نسمة. وهم يحتاجون جميعاً إلى الطعام. وأي تقدم في مضمار زيادة الإنتاج، في مساحة زراعية باتت محدودة، هو تقدم في الاتجاه الصحيح، لمواجهة مشكلة هائلة، لا يصح غض النظر عنها، ولا بد من التحسب لها بكل وسيلة ممكنة.

هندسة وآثار وكرة قدم

لا يسعنا أن نحصر مجالات استخدام الدرونات، لكننا سنأتي بمزيد من الأمثلة. ففي أواخر سنة 2011م، صوّر «درون» من صنع شركة «دياديس» 3000 صورة لجسر ميلو، في جنوب فرنسا، من أجل مراقبة أي تفسخ أو كسر في الأعمدة السبعة. وبذلك أمكن الاطمئنان إلى حسن سير بناء الجسر وسلامة بنيته.

وفي 2011م أيضاً استخدم جغرافيون من جامعة غان البلجيكية، طائرة «درون»، من أجل وضع خريطة ثلاثية الأبعاد لحقل حفريات أثرية، عمرها بين 2300 و2800 سنة، في مناطق نائية من ألتاي، على الحدود المشتركة بين روسيا والصين ومنغوليا.

وفي أواخر العام 2013م، أعلن عملاق التجارة الإلكترونية الأمريكي «أمازون»، مشروعاً لتسليم البضاعة إلى المشترين، بواسطة طائرات «درون»، تستطيع حمل 2,3 كيلوغرام، وهو وزن نسبة 86% من مبيعات الشركة.

وفي الصين، تختبر السلطات البلدية في بكين طائرة بلا طيار صممتها شركة «أفيك»، تبث في الجو مواد تقطّر الغازات الملوّثة للهواء، وتجعلها تسقط على الأرض. وتستطيع الطائرة المختبَرة أن تحمل 700 كيلوغرام من المواد المعالجة للتلوث.

وفي بداية العام 2014م، اشترى مطار جنيف في سويسرا، طائرة «درون»، من أجل مراقبة مدارج المطار والتيقن من عدم وجود عوائق عليها.

أمن الطيران المدني ومتاعب ستوجب حلولاً

ولعل مثال المطار السويسري هو من الأمثلة النادرة التي تُقدم فيها سلطات طيران مدني على استخدام «درون»، في الوقت الذي تطرح فيه «ثورة الدرون»، معضلة أساسية هي معضلة أمن الطيران المدني، مع تنامي عدد الطائرات الصغيرة بلا طيّار في الأجواء، ومنافستها الطائرات المدنية حاملة الركاب.

فالأرقام تتحدث، وهي بالغة: عدد الطائرات التي تطير بلا طيّار، سيفوق قريباً عدد الطائرات المدنية التجارية. فهل العالم مستعد لتنظيم الأمر من الناحية الأمنية والإدارية والقانونية؟

لقد تخطت التقنية المتطوّرة والتكلفة الزهيدة العتبة، وجعلت الآن من «الدرون» أداة «ديموقراطية» في متناول مزيد من الناس. ولا يبدو أن الأمور يمكن أن تعود إلى الوراء بعد اليوم. فالمصممون والصناعيون والمحترفون والهواة، يُقبلون كل يوم على صنع مزيد من النماذج البسيطة والصغيرة والخفيفة، مستفيدين باستمرار، من التقدم الذي يحرزه عدد من القطاعات التي تسهم في رواج الطائرة بلا طيار، مثل التقنيات الرقمية، وتقنيات النانو، التي تساعد في نمنمة المحركات، وتقنيات تحسين جدوى البطاريات الكهربائية الخازنة لمزيد من الطاقة في حيّز أصغر وأخف.

وخطر التقاء طائرة بلا طيار في الجو، مع طائرة ركاب مدنية، خطر داهم ومتعاظم. فمحركات الطائرات المدنية مصنوعة لكي تتحمل الاصطدام بعصفور أو حتى طائر كبير، لكنها ليست مصممة للاصطدام بجسم معدني.

ومطيّرو «الدرون» ليسوا جميعاً رسميين يعرفون القوانين التي تحكم إشغال الأجواء، واستخدام المجالات الجوية المفتوحة لهم، وتجنب تلك المجالات التي تختص فقط بالطائرات المدنية.

وقد بدأت تُطرَح على القضاء في عدة بلدان قضايا تتعلق بهذه المسألة الحساسة. فالأجواء لمن؟ وما هو مصير استعمال الأجواء في الأحياء القريبة من المطارات، وما هو حكم طائرات «الدرون» التي تستطيع أن تحلّق عالياً في الجو، إلى الارتفاع الذي يجعلها تنافس الطائرات المدنية التجارية على خطوط طيرانها؟ بل ما هو حكم طائرة «درون» تسقط لخلل ما، أو لفراغ بطاريتها، فتهوي على بشر وتلحق الأذى بهم، أو حتى تقتلهم؟

إنه السباق بين مطوّري «الدرون»، ومطوّري القوانين والنظم الإدارية، قبل وقوع الحوادث، أو حتى قبل وقوع الكارثة.



شاركنا رأيك

www.qafilah.com

لابد أن نغادر الأرض يوماً.. ولكن!

لقد فقست البيضة، وكبر الطائر في العش، واستنزف موارده، وازدحم به المكان، لا بد له من المغادرة. ريشه بدأ بالنمو، وسيصبح له جناحان يوماً ما، وسيغادر. مغادرة الطائر للعش ليست مجرد رغبة منه في الطيران، أو تباهياً منه بقدرته عليه، أو حتى شعوره بحريته، إنما هي دعوة تأتيه من حاجته للبقاء حياً أيضاً، إنها دعوة للتكاثر ولنقل جيناته إلى الجيل الذي يليه، إنه سيغادر مرغماً يوماً ما. ذلك الطير هو الإنسان، والعش هو الأرض.

د. محمد قاسم



الأرض، قد لا تكون الخيار الأوحد للبشر من حيث الموارد التي عليها. فالموارد محدودة، والبشر في ازدياد، وعلى سبيل المثال تدل المؤشرات على أنه سيأتي اليوم الذي لا يغطي فيه الماء العذب حاجة البشر، وحتى إن وجدت أساليب للتحلية، فإنها قد تكفي لشربهم، ولكنها لن تكفي للري وللكائنات الحية الأخرى. وكذلك بالنسبة للطعام، قد يبدو أننا في عصر ذهبي طورت فيه أساليب إطعام 7 مليارات نسمة، ولكن مهما تعاظمت هذه التقنيات إلا أنها لن تستطيع مواكبة الأعداد المتضاعفة أُسّياً، فالشخص الواحد يحتاج لأراضٍ شاسعة بما فيها من نباتات وحيوانات لاستخراج طعام كافٍ له هو فقط.

الأرض ليست الخيار الأوحد للبشر من حيث المساحة أيضاً، فلو جُمع كل البشر منذ بدء الخليقة -يُقدَّر عددهم بحوالي 108 مليارات نسمة- ووضع كل منهم في رقعة متر واحد طولاً وعرضاً، لاحتوتهم جميعاً مساحة المملكة العربية السعودية. فهذا العدد من البشر سيحتاج إلى 108 مليارات متر مربع. ومساحة المملكة العربية السعودية هي 2,149 مليار متر مربع. أي إنه ستبقى مساحة 2041 مليار متر مربع لبشر لم يولدوا بعد!

ولكن المساحات التي يحتاجها الإنسان للعيش تشتمل على أراضٍ تحتوي على الحيوانات والنباتات التي يتغذى عليها، وكذلك على المصانع التي تنتج جميع مستلزماته، بالإضافة لاشتمال تلك المساحات على مقار ضخمة مجهزة لتوفر بيئة مناسبة للحياة، فلا يمكن للإنسان العيش في مساحة قدرها متر مربع واحد، إذن، المساحة هي أيضاً مورد في حد ذاتها، يتصارع عليها البشر في دور القضاء كحد أدنى، وفي الحروب حتى الموت كحد أقصى.

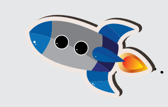
تلك كلها أسباب تدفع البشر للخروج مرغمين. ولكننا نجد على الطرف الآخر من كفة ميزان الحركة لترك الأرض الرغبة المُلِحَّة للاستكشاف أيضاً، أصبحنا ندرك أن الكون حاضن لكواكب أخرى قد تكون مناسبة لحياة الإنسان عليها، بل قد تكون مأهولة حالياً بكائنات أخرى.

كم عدد تلك الكواكب؟ تقول الإحصاءات إن عدد الكواكب القابلة للحياة قد تصل إلى 10 مليارات كوكب، وهذا العدد هو فقط في مجرة درب اللبانة، ناهيك عن المليارات من الكواكب الأخرى في المجرات المحيطة بها ثم التي تليها، أي لو أننا أعطينا لكل إنسان كوكباً واحداً، لتمكنت الكواكب من استيفاء البشر فرداً فرداً، ولبقيت لدينا كواكب غير مأهولة ومستعدة لاستقبال مزيد، وهذا فقط في مجرتنا مجرة درب اللبانة.

اجمع هذه الحاجة للموارد مع الرغبة في الخروج، وستجد سهماً مؤشراً إلى الفضاء الخارجي، وإلى طريق وعر لم يعبَّد بعد. ذلك الطريق يحتاج إلى علم هائل للقفز بالإنسان إلى ارتفاعات كونية.. إلى المجموعة الشمسية، ثم إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير.

كيف الوصول إلى هناك؟

تتضح مشكلة قطع المسافات بعقد مقارنة مع أقرب نجم للأرض: بروكسيما سنتوري (القنطور)، فهو يبعد عنا حوالي 4.25 سنة ضوئية، أو 40,000 مليار



كيلومتر، لو أننا قررنا السفر إليه باستخدام أسرع مركبة فضائية بدفع ذاتي لاستغرقتنا الرحلة مليار ساعة، أو 114 ألف عام. وإن كنا كسلالة بشرية قد استغرقنا 5 آلاف عام لنهتدي إلى ابتكار الصاروخ، فإننا سنحتاج إلى 100 ألف عام للوصول إلى سرعات توازي نسبة سرعة الصاروخ إلى سرعة المشي، ويكبر المأزق حينما نعلم أن النجم القنطور قد لا يمتلك كواكب قابلة لتسكين البشر. وبالتالي، سنحتاج للسفر إلى مسافات أكبر بكثير للوصول إليها، إنها مشكلة حقاً!

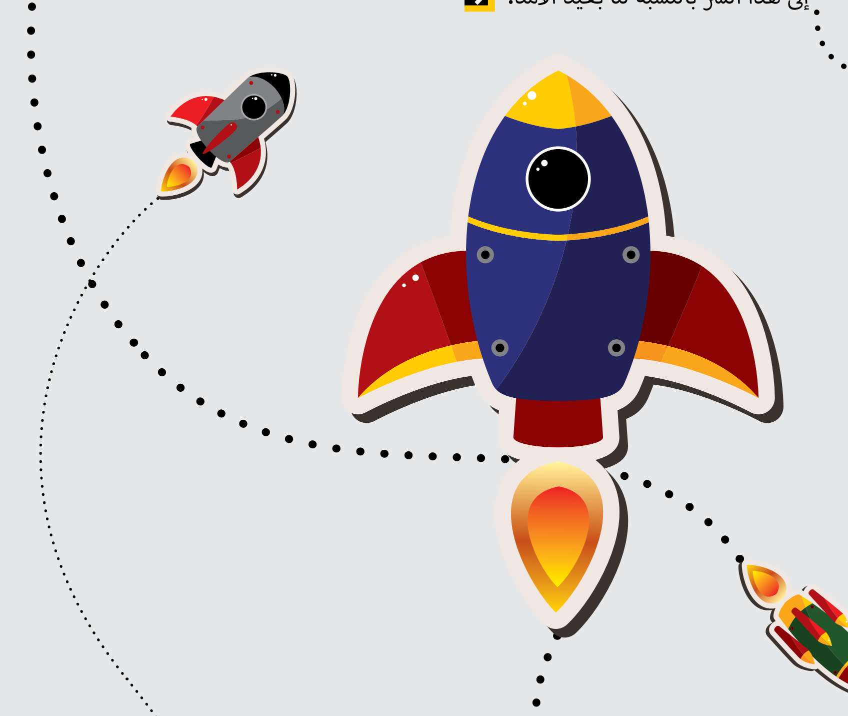
البُعد الأخلاقي والتكنولوجي

أضف إلى ذلك مشكلة أخرى، وهي التطور التكنولوجي المتسارع. فلنفترض أن العلماء اكتشفوا طريقة للسفر بسرعات مناسبة، ثم أطلقوا رواد الفضاء إلى كوكب بعيد، وفي أثناء سفرهم طور العلماء دفعاً أفضل بكثير من الدفع السابق، ذلك يعني إن أطلقوا المركبة الأحدث فإنها ستجتاز الأولى بسرعة أكبر، وستصل إلى الكواكب البعيدة في وقت أقصر، وسيتأخر عنها الفريق الذي أرسل أولاً، فيصبح التساؤل: متى يحق لنا أن نطلق البشر؟ وبأي تكنولوجيا؟ وهذه هي مشكلة أخلاقية تحتاج لنظر فلاسفة الأخلاق.



تتفاقم المشكلة حينما نأخذ بعين الاعتبار الطاقة الهائلة المستهلكة في دفع الصاروخ، كلما احتاجت المركبة لطاقة أكبر كلما ثقلت أكثر، وذلك لحملها وقوداً أكثر. أضف إلى ذلك أن أي رحلة ستحمل معها البشر ستكون مكلفة للغاية، فالإنسان يحتاج لموارد كثيرة وتجهيزات كبيرة لإبقائه على قيد الحياة لفترات سفر طويلة، عوضاً عن حمايته من الأشعة الكونية وحبيبات الغبار، حيث بإمكانها التسبب بأضرار بالغة في المركبة إن اصطدمت بها، وهذا خلاف ما نراه من أفلام الخيال العلمي من قتال المراكب الفضائية التي تتحطم بالانفجارات التوربينية الصاروخية، ثم تخرج سالمة، فمراكب «ناسا» تتأثر تأثراً بالغاً بمجرد اصطدامها بذرات بسيطة من الغبار.

بعد سرد الإحباطات المتتالية، قد نصل إلى نتيجة أن السفر إلى الكواكب البعيدة وتسكين البشر فيها هو أمر بعيد المنال، أو يطل على شرفة الاستحالة. على العكس من ذلك، فهذه الإشكالات لم تُحبط العلماء، فهم يعملون على حلها اليوم. ولديهم بعض الاقتراحات الجادة لصناعة مراكب تصل سرعاتها إلى ما يقارب سرعة الضوء، بل إن هناك سراً في نظرية النسبية الخاصة لآينشتاين قد تسمح للمسافر الوصول في زمن بسيط إلى الكواكب البعيدة، حتى وإن كان الوصول إلى هذا السر بالنسبة لنا بعيد الأمد.



β

الرمز بيتا (β) هو الحرف الثاني في الأبجدية الإغريقية، وهو -كما نلاحظ- جدّ الحرف الإنجليزي B.. وجد الصوت «ب» في لغات أخرى كثيرة. بعيداً عن اللغويات، فإن «بيتا» هو رديف للرقم 2 كذلك.. مثلما هو «ألفا» رديف للرقم 1 كما ذكرنا في العدد الماضي.

ويتجلَّى ذلك في عوالم البرمجيات. فالنسخة «بيتا» من أي برنامج هي النسخة التجريبية الثانية، وما قبل الأخيرة، التي اجتازت قسوة الاختبارات الابتدائية فسُمح لها بأن توزع على الجمهور ليجربها قبل إطلاق النسخة النهائية.

في مجال المالية والاقتصاد، هناك ما يُعرف بـ «معامل بيتا»، وهو مقياس لحساب المخاطرة على عائدات الاستثمار مقارنة بالمعتاد في تغيّر عائدات السوق.

في الفيزياء هناك (جسيمات بيتا) المنبعثة عن المواد المشعة. وجسيمات بيتا لها القدرة على اختراق المادة الحية لمدى معين بحيث يستخدمها خبراء الطب الإشعاعي في تغيير ترتيب الجزيئات. في معظم الحالات يكون لهذا التغير نتائج خطرة كالسرطان وحتى الموت، ولعله من المدهش أن التحكم في جرعة هذه الجسيمات تحديداً هو في حد ذاته علاج مقترح للسرطان! ويبحث العلماء اليوم في ابتكار خلايا بيتا الفولتية لتوفير الطاقة للأجهزة الإلكترونية كالجوّالات دون الحاجة لإعادة شحنها مدى الحياة.

وكثيراً ما يستخدم بيتا للدلالة على متغيرات أو مجاهيل في الرياضيات والإحصاء. (β) هو رمز معامل الانحدار الجزئي. أما في الذاكرة الشعبية فيحضر بيتا على أكثر من صعيد. فهو كان اسم الإعصار المدمر الذي ضرب سواحل الكاريبي في 2005م، وقبل ذلك بثلاثين عاماً كان الرمز حاضراً في كل منزل حين اختارته شركة (سوني) لتسمية طرازها المعياري من أشرطة الفِديو المنزلية (بيتا-ماكس).



منتج

المنظار الثلاثي الأبعاد.. مَن يشتري الوهم؟

بالرغم من أن براءة الاختراع الأولى لهذا المنتج تعود لعام 1975م، إلا أن المنظار الملبوس على الرأس (Head-Mounted Display) أو المنظار الغمري (Immersive Display) قد شهد إعادة انبعاث خلال السنوات الماضية، والفضل يعود لشركة غوغل.. ولاستثمارات صناعة الألعاب الإلكترونية كذلك.

ولا بدَّ هنا من أن نفرِّق بين نوعين من المناظير على الأقل، كلاهما يعتمد على التقنيات الملبوسة. فنظارات غوغل الشهيرة تعتمد على إسقاط الصورة، التي يفترض أن نشاهدها عبر الشاشة التقليدية، على كرة العين مباشرة، بحيث تغدو النصوص والصور متكاملة مع المشهد الطبيعي من حولنا. ونظارات غوغل ستسمح لك بأن تقابل زيداً أو عمراً من الناس لتظهر لك -ولك وحدك- مربعات حول هذا الشخص تحدد لك بياناته الشخصية والمهنية ومدخلات حساب فيسبوك الخاص به ومدى ازدحام جدوله اليومي إلى آخر ما سيسمح هو بعرضه للعامة ضمن بيئة تفاعلية متكاملة اسمها (إنترنت الأشياء) يغدو الناس فيها وتغدو بياناتهم عناصر إنترنتية قابلة للزيارة والاستكشاف.

التقنية الثانية لا تتكامل مع البيئة المحيطة.. بل تغمرك بعينيك وكافة حواسك في بيئة صناعية مستقلة عن الواقع. ونظاراتها غير زجاجية ولا شفافة، بل هي أقرب للخوذات التي تبتلع وجه مرتديها لتخلق وهماً بالغ الدقة والإقناع. وهي -كما أسلفنا- تشهد انتعاشاً منقطع النظير بفضل تسخيرها في تجارة الألعاب الإلكترونية، من دون أن يوقف ذلك مدّها في تطبيقات أخرى أكثر جدية.

واقع افتراضي.. أم افتراض واقعي؟

شهد مصطلح «الواقع الافتراضي – Virtual Reality» رواجاً كبيراً إبان التسعينيات. وكان ذلك بفضل التطور الكبير في تقنيات تصغير الشاشات في ذلك الوقت. وتعتمد هذه التقنية على تصميم شاشات تُلبس أمام الوجه مباشرة لتعرض رسومات ذات أبعاد ثلاثية تحاكي الواقع لكنها لا تتصل به مباشرة. بحيث يسعك وأنت في الرياض أن تمشي في شوارع ريو دي جانيرو.. أو حتى على سطح القمر. ولا مانع من تعزيز هذا الوهم الإلكتروني بالصوت والرائحة الإلكترونيين كذلك!



وبطبيعة الحال، فإن كل ما تم تقديمه في هذه الصدد في التسعينيات هو محض هراء تقني اليوم! فتطبيقات الواقع الافتراضي الحالية تخلق بيئات رقمية وهمية شديدة المقاربة للحقيقة وذات جودة أعلى بأضعاف مضاعفة. ويعود الفضل في ذلك إلى تقدم تقنيات الرسوميات الحاسوبية، وإلى تطور اعتمادنا على التقنية الرقمية كذلك. لأن خوذات الواقع الافتراضي اليوم باتت مربوطة بشبكة الإنترنت -الأمر الذي لم يكن مؤكداً تماماً قبل عقدين- وبهذا فهي متصلة بمخزن لا نهائي من المعلومات وبيانات حقيقية عن الأفراد والطقس واللهجات وصور وفيديوهات محدّثة آنياً وستسهم في جعل التجربة الافتراضية أكثر واقعية.

قد يبدو من المزري أن ثمة تقنية معقدة وواعدة تشهد رواجاً عبر سوق الألعاب الإلكترونية بالذات. لكن هذا الرأي سيخالفه مليار ونصف المليار إنسان يمارسون ألعاب الفِديو الإلكترونية، وستزعزع نظرتنا الفوقية أكثر إذا عرفنا أن سوق ألعاب الواقع الافتراضي وحدها يتوقع لها أن تكسر حاجز المليار دولار بحلول العام 2018م.

أكثر من مجرد ألعاب

ولاستخدامات الشاشات الملبوسة أبعاد عدة أخرى، في مجالات الصناعة، والطب، وعسكرياً بطبيعة الحال. فلأن هذه الشاشات هي في الواقع حواسيب مدمجة يمكن ربطها سلكياً أو لاسلكياً بأجهزة ومستشعرات أخرى عبر الإنترنت، يمكننا أن نتخيل كافة أنواع القراءات الممكنة، التي يتم عرضها أمام ناظري مرتدي إحدى هذه العدسات وفقاً للحاجة.

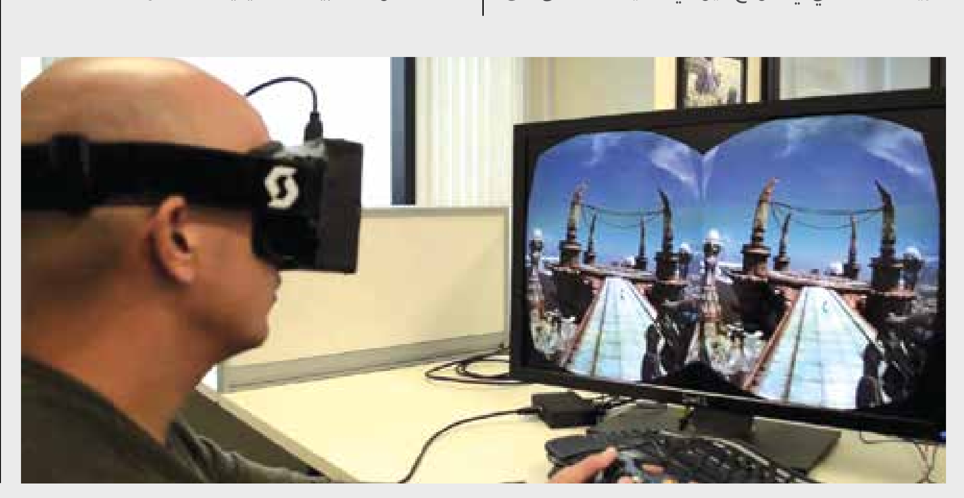
في مجال الطب مثلاً، فإن الطبيب قد يمارس جراحته عن بُعد. بمعنى أن الصور ستنتقل له عبر القارات إلى خوذته الملبوسة. سيتم نقل حركة أصابعه الخبيرة بواسطة مستشعرات بالغة الحساسية (يرتديها كالقفازات حول أصابعه) لتنتقل إشارات هذه الحركة عبر القارات أيضاً إلى أصابع روبوت آلي سيمارس العملية بالنيابة.

وبالنسبة للطبيب أيضاً، فستوفر له خوذة الواقع الافتراضي مشهداً واقعياً للحالة الجراحية بالفعل مدعمة بقراءات جانبية لها علاقة بالعلامات الحيوية (النبض والضغط إلخ) فضلاً عن مراجع تفاعلية ستساعده أكثر على اتخاذ القرار الصحيح.

في المجالين الهندسي أو الصناعي، فإن هذه الخوذات ستكون كمراقيب أشعة إكس التي ستسمح لمرتديها بمعاينة هياكل المباني أو المركبات الحيوية -مايكروسكوبياً- مع عرض نتائج التحاليل آنياً على الشاشة الملبوسة نفسها والمربوطة حاسوبياً ببرامج الأوتوكاد والماتلاب وسواها. حينها سيكون المهندس كالخبير الذي سيستعين بكل هذه القيم المضافة كي يتخذ القرار الأفضل في الوقت الأقصر.

أمنياً، فقد بتنا نشاهد بوادر الخوذات المدعمة بمناظير الرؤية الليلية، ومراقيب المتابعة الحرارية لأجساد الخصوم، فضلاً عن توفير قراءات تكتيكية للبيئة المحيطة على شكل خريطة ثلاثية الأبعاد تحذر من مواقع الألغام والكائنات المفترضة وتقترح أقصر الطرق لتطويق المنطقة أو الوصول للهدف.

كل هذا التقدم في عوالم الشاشات الملبوسة موعود بالمزيد من الدعم من ظهور طرق أكثر فعالية لعرض وتبادل المادة البصرية على أسطح أكثر وضوحاً ومرونة.. وأكثر قابلية للتمدد كذلك طالما يدور كلام أكثر عن إمكانية الاستعاضة عن الواجهات الزجاجية للسيارات والطائرات بشاشات تفاعلية ذكية قد لا تسمح برؤية العالم الخارجي، لكنها ستمنح قائد المركبة البصرية اللازمة للتقدم عبره بأمان.

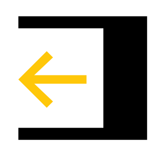


يعتقد البعض للوهلة الأولى أن هناك تناقضاً أو تعارضاً بين توجهات الشركات البترولية فيما يتعلق بإنتاج الوقود التقليدي من جهة، ودعم الاستثمارات البحثية للطاقة المتجدِّدة من جهة أخرى. غير أنه وعلى أرض الواقع فإن عدداً من الشركات البترولية حول العالم تقوم بدور فاعل بدعم تطوير تقنيات جديدة للطاقة المتجدِّدة وحتى المساهمة في إنشاء شركات للطاقة لتنويع مصادر الطاقة المتوافرة لديها. ويمكن أن تستفيد الصناعة البترولية وقطاع الطاقة المتجددة من العمل سوياً خاصة مع سهولة تركيب أجهزة الطاقة الشمسية في الأماكن التي يصعب إيصال الكهرباء أو نقل وقود الديزل إليها.

د. عبد الله محمد عيتاني

الاستثمارات البحثية

للشركات البترولية في الطاقة المتجدِّدة



لا يزال الوقود الأحفوري من نفط وغاز وفحم يمثِّل أهم مصادر الطاقة الرئيسة في العالم، حيث يستحوذ على 81% من إجمالي مصادر الطاقة الأولية، تليه مصادر الطاقة المتجددة بنسبة 13% والطاقة النووية بنسبة 5%، وذلك بحسب تقديرات الوكالة الدولية للطاقة للعام 2014م. وفي السنوات السابقة، شهد العالم ارتفاعاً غير مسبوق في الطلب على الطاقة بكافة أنواعها لتلبية احتياجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بالنمو السكاني والتوسع الصناعي. وعلى الرغم مما تشهده السوق العالمية للبترول حالياً من تذبذب في الأسعار نتيجة عدد من العوامل، وفي مقدمتها الركود الاقتصادي، فمن المؤكد أن يستمر الوقود الأحفوري في الاضطلاع بدور ريادي بين مصادر الطاقة الأخرى على مدى العقود المقبلة نظراً لتوفر الاحتياطات وقدرة الشركات البترولية على تلبية الاحتياجات العالمية. ويُعد ارتفاع الطلب على الطاقة من التحديات الرئيسة التي يواجهها العالم من حيث استدامتها والحد من تأثيراتها البيئية. ونظراً للاعتبارات البيئية والاقتصادية وحفظاً لمصادر الطاقة الأحفورية النفيسة، يتجه العالم إلى تطوير مصادر الطاقة المستدامة، الشمسية والرياح وغيرها. ويسعى كثير من الدول حول العالم إلى خفض استهلاك الوقود الأحفوري وزيادة التنوع في منظومة الطاقة لديها بإضافة مصادر جديدة من الطاقة المتجددة. ولذلك تبذل عديد من شركات البترول العالمية والوطنية جهوداً للمحافظة على الطاقة الأحفورية الناضبة وزيادة كفاءة استخدامها. وخلال العقدين الماضيين، استثمرت هذه الشركات مبالغ ضخمة في البحث والتطوير في مجال تقنيات جديدة لمصادر طاقة بديلة ترفد الوقود الأحفوري، حتى إن بعض الشركات البترولية دخل في تحالفات لإنشاء شركات للطاقة المتجددة غير الناضبة.

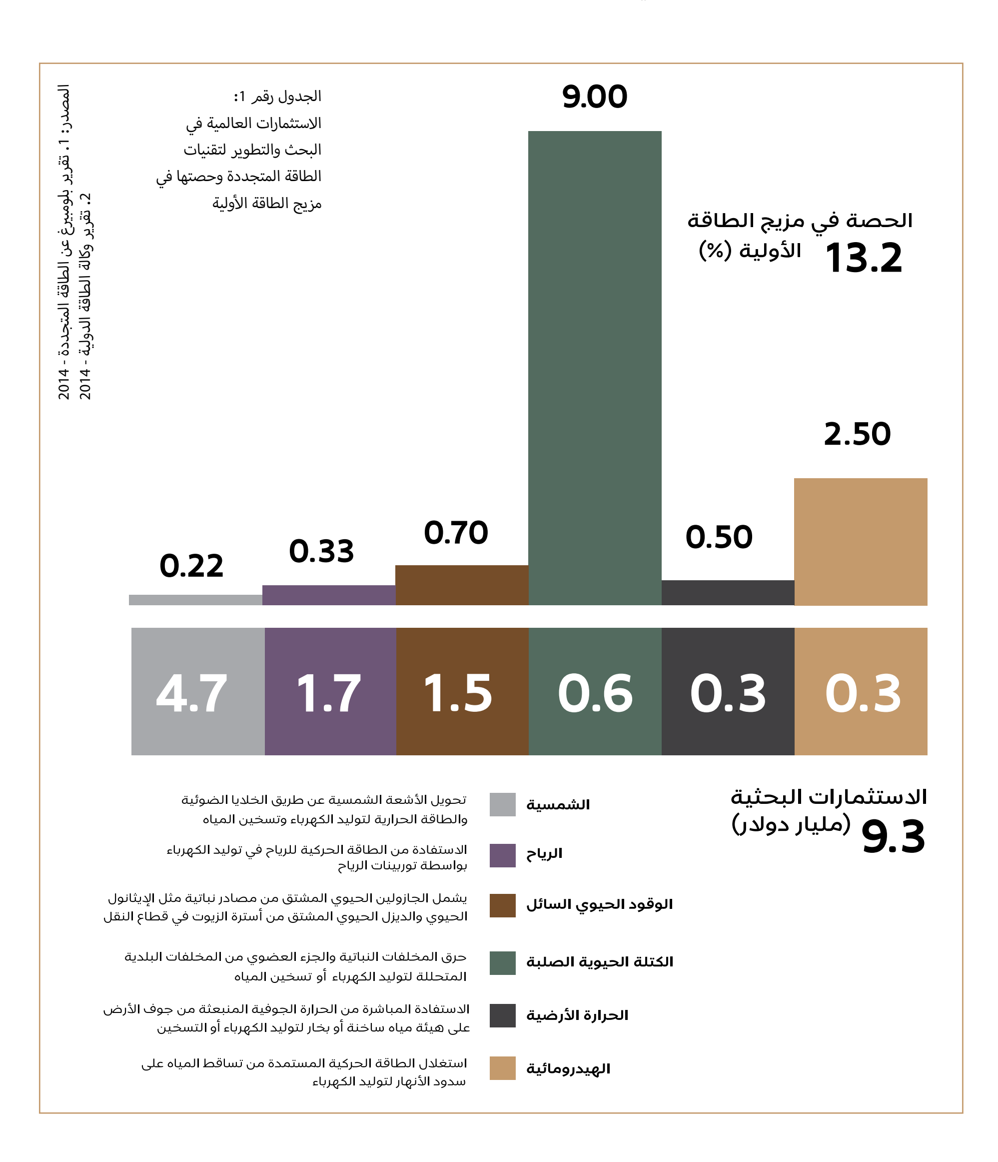
الاستثمِارات البحثية في الطاقة المتجدِّدة

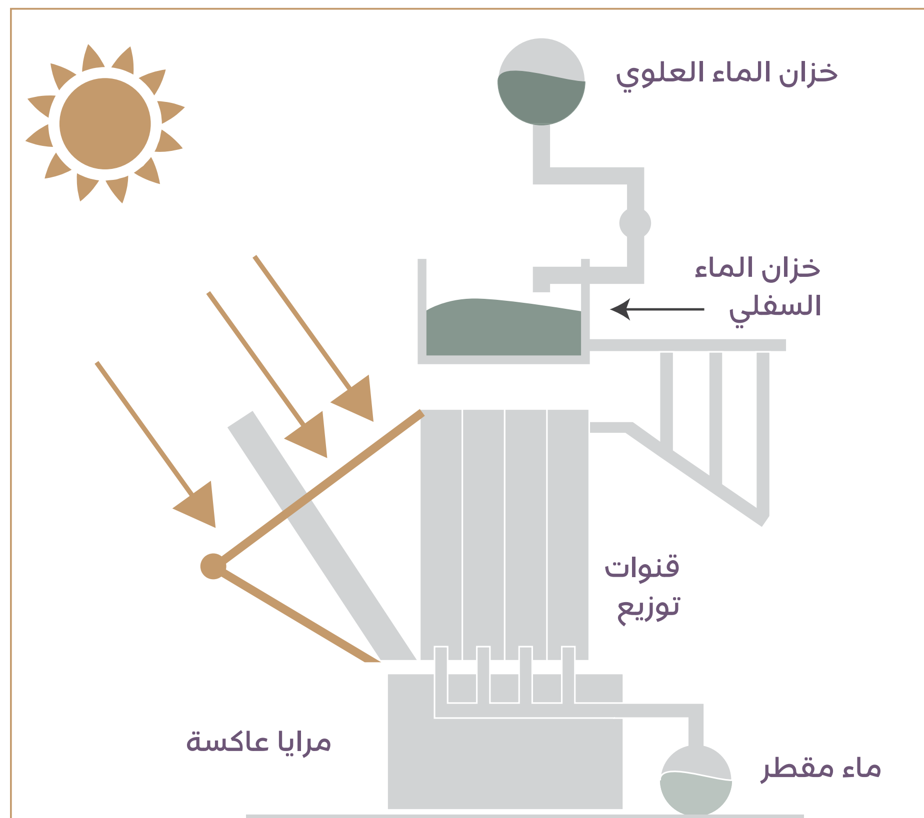
أشار استطلاع أجرته شركة «باتيل» الأمريكية ونشرته مجلة البحث والتطوير، إلى أن حجم الإنفاق العالمي على البحث والتطوير في كافة القطاعات بلغ أكثر من 1.6 تريليون دولار في العام 2013م. واستحوذت الولايات المتحدة الأمريكية على 31% من إجمالي الإنفاق (465 مليار دولار). ويشير إحصاء باتيل إلى أن القطاع الصناعي هو المصدر الرئيس لتمويل وتنفيذ البحوث تليه القطاعات الحكومية والجامعات التي تركِّز على مشاريع بحث أساسية ممولة بمعظمها من مصادر حكومية.

ويشمل قطاع الطاقة في هذا الاستطلاع الشركات العاملة في مجال تطوير تقنيات إنتاج الكهرباء ونقلها وتخزينها، والوقود المنتج من حقول النفط والغاز التقليدية، والطاقة المتجددة وتوربينات الرياح أو الألواح الشمسية، والوقود الحيوي والتقنيات الجديدة لاستخلاص النفط والغاز الصخري. وتجدر الإشارة إلى أن الاتجاهات البحثية لصناعة الطاقة تتأثر بصورة كبيرة بالسياسات الحكومية التي تشمل تقديم الدعم والحوافز والإجراءات المتعلقة بتغير المناخ والاعتبارات الاستراتيجية الاقتصادية. وتمثل تكاليف الإنتاج والمواد والبحث والتطوير دوراً مهماً في تحديد توجهات صناعة الطاقة ونموها. كما نشير إلى أن كثافة الأبحاث (معدل الإنفاق على البحث بالنسبة للمبيعات) في الطاقة المتجددة تفوق 4%، بينما لا تتعدى في الصناعة البترولية 1% نظراً لضآلة الابتكارات والتقنيات الجديدة.

وفي المقابل بلغ حجم الاستثمارات العالمية في نشاطات البحث والتطوير لتقنيات الطاقة المتجددة بكافة أنواعها 9.3 مليار دولار في 2013م بحسب تقرير بلومبيرغ عن الاتجاهات العالمية للاستثمار في الطاقة المتجددة. ويشير الجدول رقم 1 إلى حجم الاستثمارات البحثية على الطاقة المتجددة وحصتها في مزيج الطاقة الأولية حول العالم. فقد استحوذت أبحاث الطاقة الشمسية على نسبة 50% من التمويل، تلتها طاقة الرياح والوقود الحيوي. وحالياً تتركز النشاطات البحثية العالمية في هذه المجالات على خفض تكاليف التقنيات وزيادة كفاءتها في توليد الطاقة الكهربائية.

ومنذ العام 2000م، أنفقت الشركات البترولية الكبرى حوالي 71 مليار دولار على أبحاث الحد من انبعاثات الكربون وتطوير الطاقة المتجددة. كما حققت شيفرون المركز الأول في إنتاج الطاقة المتجددة مقارنة بالشركات البترولية الأخرى. وبالنسبة لجهود المملكة العربية السعودية في مجال الطاقة النظيفة، نشير إلى دعم أرامكو السعودية لبحوث التقنيات النظيفة للبترول





بما في ذلك فصل وتخزين الكربون وإعادة استخدامه. ولقد زادت أرامكو السعودية حجم الإنفاق على أعمال البحث والتطوير بنسبة خمسة أضعاف، كما زاد عدد الباحثين في هذا القطاع بنسبة ثلاثة أضعاف. وتستعرض الفقرات التالية الاتجاهات البحثية لتقنيات الطاقة المتجددة وتطبيقاتها في الصناعة البترولية، والاستثمارات العالمية في توليد الكهرباء بالطاقة المتجددة.

الطاقة الشمسية

تُعد الطاقة الشمسية من أفضل التقنيات المتقدمة للطاقة المتجددة في استغلال الإشعاعات الشمسية وتحويلها إلى طاقة كهربائية. وتتركز الأبحاث التي تلقى دعماً وتحفيزاً متزايداً من الحكومات في تطوير تقنيات لإنتاج الخلايا الضوئية عبر تفاعلات كيميائية وفيزيائية، بالإضافة إلى إيجاد تركيبة فعَّالة من عنصر السيليكون النقي أو مركبات من المواد النانوية الأخرى من أشباه الموصلات.

وخلال عام 2013م بلغ الإنفاق العالمي للبحث والتطوير على تقنيات الطاقة الشمسية 4.7 مليار دولار متخطية بذلك كافة التقنيات الأخرى من الطاقة المتجددة. وتضاعف الإنفاق الحكومي الصيني على أبحاث الطاقة الشمسية خلال العقد الماضي ليصل حالياً إلى مليار دولار متفوقاً على إنفاق الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. وتجدر الإشارة إلى أن معظم الأبحاث الأساسية في الصين ينفذها عديد من الجامعات ومعاهد البحث المتخصصة.

وتتوقع «الجمعية الأوروبية للصناعة الكهروضوئية الشمسية» أن تتضاعف القدرة الإنتاجية العالمية من الطاقة الشمسية إلى حوالي 200 جيجاوات في السنوات الثلاث المقبلة، نظراً للنمو الكبير الذي تشهده الأسواق في أوروبا والصين والولايات المتحدة ومنطقة الخليج العربي. وشجعت الأوضاع المميزة للطاقة الشمسية مصنِّعي المعدات الشمسية وخاصة في الولايات المتحدة وسويسرا بالحفاظ على الإنفاق البحثي لتحسين المنتجات، لتلبية الطلبيات الجديدة من الصين. وتستثمر الشركات العاملة بالطاقة الشمسية مبالغ طائلة في البحث والتطوير والتطبيق التجاري بهدف خفض التكلفة النهائية للخلايا الشمسية وتعزيز كفاءتها وتبسيط طرق الإنتاج. وخلال العام 2013م، أنفقت شركة المواد التطبيقية الأمريكية 1.3 مليار دولار على البحث والتطوير على الرغم من أن الطاقة الشمسية تشكِّل نسبة صغيرة من أعمالها. ويواصل المصنِّعون الإنفاق على الابتكار للوصول إلى وحدات أفضل وأرخص، خاصة فيما يتعلق بتطوير رقائق سيليكونية أرق وخلايا ضوئية أكثر كفاءة. ويتم حالياً تنفيذ أبحاث لتطوير تقنية مجدية اقتصادياً لاستخدام الطاقة الشمسية في تحلية المياه المالحة مما يخفض كثيراً من استهلاك الوقود التقليدي من غاز ومشتقات بترولية.

وفي الولايات المتحدة يعمل عدد من شركات الطاقة الشمسية مع الصناعة البترولية فريقاً واحداً، لتوفير الألواح الشمسية والخلايا الفولتضوئية المخصصة لتوليد الطاقة في المواقع النائية لإنتاج النفط والغاز، بهدف تقليل تكاليف الوقود، وبالتالي الاستغناء عن استخدام مولدات الديزل أو خطوط نقل الكهرباء. وقامت شركة «سولار كاست» بتطوير ألواح شمسية محمولة مع بطاريات قابلة لإعادة الشحن لاستخدامها في تخزين الكهرباء من قبل الشركات البترولية في مواقع التنقيب عن الغاز الطبيعي. وأضحى استخدام تطبيقات الطاقة الشمسية في مواقع الحفر أكثر شيوعاً باستخدام أنظمة الطاقة الشمسية في مواقع الآبار لضخ الغاز أو لتزويد الأجهزة ونظم التحكم بالكهرباء وفي تشغيل المعدات الإلكترونية المثبتة على كل بئر عندما يتم تشغيل الآبار للإنتاج.

طاقة الرياح

بلغ الإنفاق البحثي على تطوير تقنيات لطاقة الرياح 1.7 مليار دولار في 2013م. غير أنه وفقاً لتحليل أجرته وكالة الطاقة الدولية يبقى هذا التمويل متدنياً نظراً للاحتياجات المرتفعة للبحث والتطوير في هذا القطاع. وتستثمر الشركات والجهات الحكومية مبالغ ضخمة في أبحاث تقنيات طاقة الرياح لخفض التكاليف وخاصة في الرياح البحرية. ولدى شركة «كربون تراست» في المملكة المتحدة برنامج مسرّع لطاقة الرياح البحرية بميزانية قدرها 40 مليون جنيه إسترليني للبحث وتطوير التقنية. وفي كثير من مناطق العالم بما فيها أوروبا، تُعد طاقة الرياح البرية من أهم المصادر المنافسة لتوليد الكهرباء.

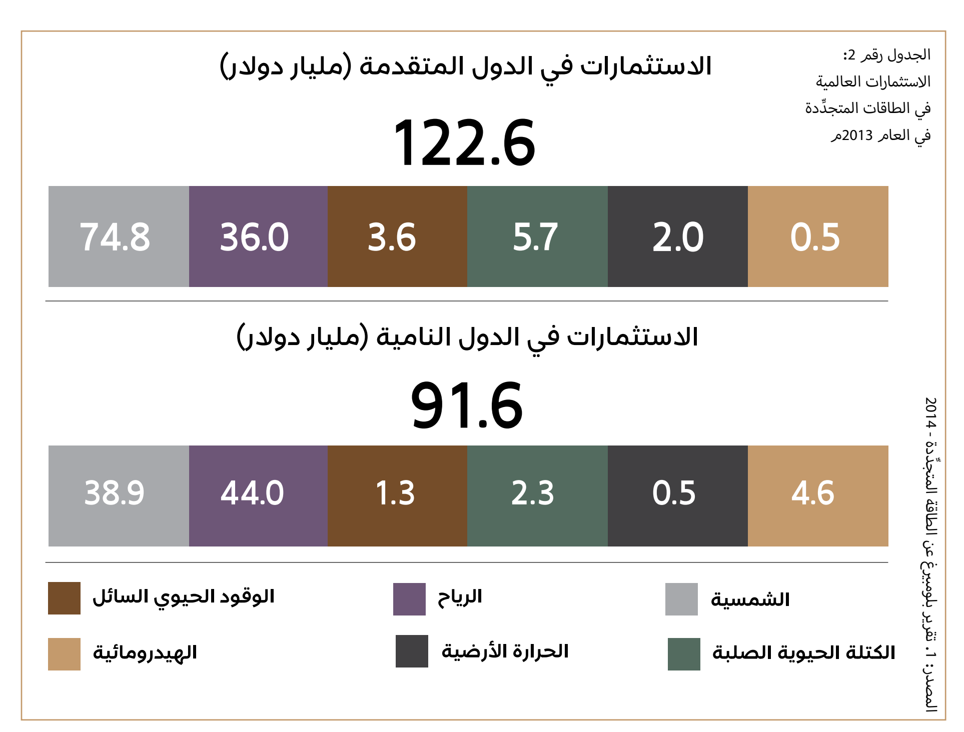
ويتم حالياً العمل على تطوير تصاميم مبتكرة للتخلص من استخدام الأساسات، للحد من التكلفة واستبدالها بالتوربينات العائمة التي تطفو على سطح البحر مثل تقنية منصات إنتاج النفط والغاز في الحقول البحرية. وفي هذا الإطار تنفذ شركة «ستات أويل» النرويجية للزيت والغاز مشروع الرياح لتطوير مفهوم التوربين العائم. وحصلت على عقد لإقامة مزرعة تجريبية لطاقة الرياح بقيمة 120 مليون دولار قبالة ساحل ولاية ماين الأمريكية. وهناك مشاريع بحث أخرى لتصاميم مختلفة لدعم أبراج التوربينات على سطح البحر تهدف إلى خفض التكاليف بتمويل شركات أوروبية مثل شركة «ريبسول» الإسبانية للطاقة وعدد آخر من الشركات الفرنسية والبرتغالية والبريطانية والأمريكية.

طاقة الكتلة الحيوية

وعلى الرغم من أن الوقود الحيوي المستخدم كمواد إضافية في الجازولين والديزل لا يزال يواجه تحديات للوصول إلى مستويات إنتاجية منافسة اقتصادياً، فإن البعض لا يزال ينظر إلى هذه التقنية باعتبارها مجالاً لإجراء مزيد من البحث والتطوير. وخلال العقدين الماضيين، تركزت أبحاث الوقود الحيوي بصورة رئيسة في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث السوق الأكبر لاستهلاك وقود النقل، وخاصة الإيثانول الحيوي المشتق من الذُرة وقصب السكر والسليولوز العشبي، إضافة إلى الديزل الحيوي المشتق من الزيوت النباتية. وبلغ حجم الإنفاق العالمي على البحث والتطوير في هذا القطاع 1.5 مليار دولار في عام 2013م. وتلزم الوكالة الأمريكية لحماية البيئة مصافي البترول بمزج الوقود الحيوي في الجازولين والديزل بنسب محددة قبل توزيعه على المستهلكين. وفي عام 2014م، بلغ الإنتاج العالمي للإيثانول الحيوي 24 مليار جالون أنتجت الولايات المتحدة 55% منه والبرازيل 33%. وبالنسبة للديزل الحيوي بلغ الإنتاج العالمي 7 مليارات جالون، أنتج الاتحاد الأوروبي 75% والولايات المتحدة 13%.

وتتركز الأبحاث الحالية، التي تمولها بعض الشركات البترولية على التفاعلات الإنزيمية لإنتاج الجيل الثاني من وقود الإيثانول الحيوي الذي طال انتظاره بإجراء تجارب مخبرية لتخمر المواد النباتية غير الصالحة للأكل مثل حطب الذرة والعشب ورقائق الخشب. وعلى سبيل المثال، استخدمت شركة «أبينجوا» وهي أكبر شركة للوقود الحيوي في إسبانيا عملية جديدة لإنتاج الإيثانول من النفايات البلدية الصلبة في مصنع تجريبي في وسط إسبانيا. كما تحالفت شركة «بويت» أكبر منتج أمريكي للإيثانول المشتق من أكواز الذرة مع شركة «رويال DSM» في مشروع مشترك لبناء مصنع بتكلفة 275 مليون دولار في ولاية أيوا لإنتاج 25 مليون جالون من الإيثانول. وافتتحت شركة «بيتا» للطاقة المتجددة مصنعاً لإنتاج الإيثانول من محاصيل الكتلة الحيوية في إيطاليا. وتحتاج عملية التخمر الإنزيمي لمزيد من الأبحاث لخفض تكاليف الإنتاج إلى مستويات تنافسية.

وبدلاً من استخدام المحاصيل الزراعية الغذائية مثل الذرة وفول الصويا، تدعم بعض الشركات البترولية وخاصة «إكسون موبيل» أبحاثاً لاستخلاص الجيل الثاني من الديزل الحيوي ووقود الطائرات (الكيروسين) من معالجة الطحالب النباتية البحرية بواسطة تفاعلات أسترة المواد الدهنية المستخلصة من هذه الطحالب. وتجري الآن تجارب في عدد من المختبرات حول العالم لتحديد النوعية الأمثل من الطحالب الخضراء وتقليل تكاليف الإنتاج.



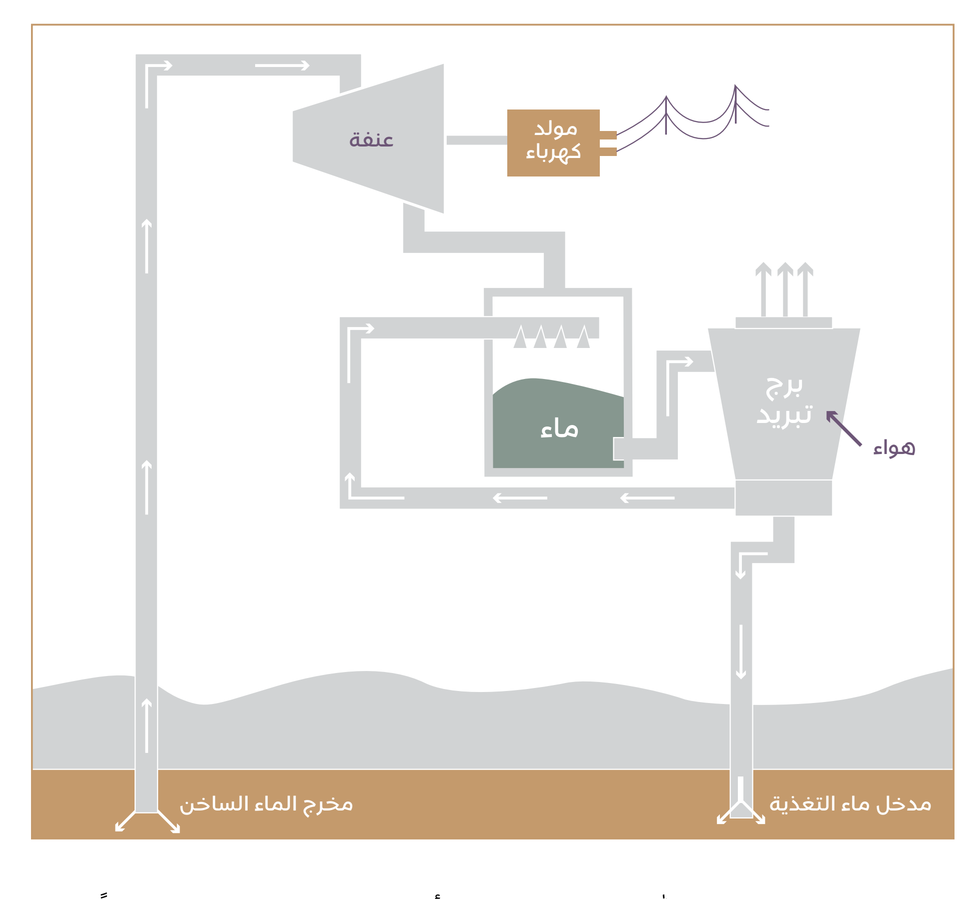
الطاقة الحرارية الأرضية

تتوافر الطاقة الحرارية في جوف الأرض بصورة مباشرة، ولا تحتاج إلى عمليات تحويل مثل الطاقات المتجددة الأخرى. وتتم الاستفادة من هذه الحرارة إما عن طريق إنتاج البخار أو المياه الساخنة لتدفئة المباني أو في توليد الكهرباء.

تُعد شركة «شيفرون» أكبر منتج للطاقة الحرارية الأرضية في العالم. إذ بلغ إجمالي الإنفاق على البحث والتطوير 0.3 مليار دولار في العام 2013م. وتُستخدم هذه التقنية البسيطة في عدد من الدول التي تتمتع بخاصية ارتفاع درجة الحرارة الجوفية والقريبة من مناطق الزلازل والبراكين وخاصة في الفلبين وكاليفورنيا في الولايات المتحدة وإيسلندا وألمانيا والصين وإندونيسيا. وتوفر الطاقة الأرضية مصدراً متجدداً ودائماً لتوليد الكهرباء والحرارة تستفيد منها المنازل والشركات. وتعتمد هذه التقنية على المضخات المستهلكة للطاقة في سحب المياه الساخنة من جوف الأرض، حيث تصل درجات الحرارة إلى أكثر من 250 درجة مئوية بحسب الموقع والعمق. وفي بعض البلدان تشكِّل المياه الجوفية ينابيع ساخنة وعيوناً حين تصل إلى سطح الأرض. وللتغلب على أي هبوط أو انخفاض في الأرض نتيجة سحب المياه أو البخار، ينبغي إعادة حقن المياه للحفاظ على ضغط الماء ومستوى البئر تحت الأرض. ويركز الباحثون حالياً على دراسات الحفر لطبقات أعمق وأسخن في جوف الأرض لاستخلاص مزيد من الحرارة الأرضية والحفاظ على آبار الإنتاج المتدفقة لسنوات عديدة.

توليد الكهرباء بالطاقة المتجدِّدة

أدت المخرجات البحثية خلال السنوات الثمان الماضية إلى تراجع كبير في تكلفة توليد الكهرباء في عدد من تقنيات الطاقة المتجددة إلى مستوى مكافئ من تكلفة الوقود الأحفوري في مناطق مختلفة حول العالم، وذلك حسب التقرير السنوي لعام 2014م لـ «الوكالة الدولية للطاقة المتجددة» (إيرينا) ومقرها مدينة أبو ظبي. وأصدرت عديد من الدول قوانين ومعايير تتعلق باستخدام الطاقة المتجدِّدة في توليد الكهرباء بحيث يتوجب توليد جزء محدَّد من الكهرباء باستخدام الطاقة المتجددة. وزادت حصة الطاقة المتجددة في توليد الكهرباء من 5% في 2007م إلى 8.5% في 2013م. وعلى سبيل المثال تسهم الطاقة المتجددة بحوالي 13% من إجمالي توليد الكهرباء في الولايات المتحدة، نصف الكمية تزودها الطاقة الهيدرومائية ومعظم النصف الآخر يأتي من طاقة الرياح وجزء بسيط من الطاقة الشمسية والكتلة الحيوية والحرارة الجوفية. ولقد حدَّدت ولاية كاليفورنيا العام 2010م لتصل نسبة الطاقة المتجددة في منظومة توليد الكهرباء لديها إلى 33%. أما في ألمانيا التي أوقفت عمل مفاعلاتها الذرية، فإن حوالي 30% من الكهرباء يتم إنتاجها من الطاقة المتجددة (10% وقود حيوي والباقي طاقة شمسية ورياح). وكما يشير الجدول رقم 2 بلغ إجمالي الاستثمارات العالمية في الطاقة



المتجددة 214 مليار دولار في عام 2013، منها 43% في الدول النامية و53% للطاقة المتجددة. وحصدت تقنيات الطاقة المتجددة لتوليد الكهرباء 90% من إجمالي الاستثمارات أو ما يعادل 192 مليار دولار، منها 48% للطاقة الشمسية و 38% لطاقة الرياح. وبلغت قدرة التوليد بالطاقة المتجددة 81 جيجاواط من أصل 176 جيجاواط تمت إضافتها في 2013م حول العالم، أي ما يعادل 46% من الإجمالي. وبحسب تقرير بلومبيرغ عن الطاقة المتجددة، ساهمت محطات توليد الكهرباء بالطاقة المتجددة بمنع انبعاث حوالي 1220 مليون طن من غاز ثاني أكسيد الكربون في العام 2013م.

الطاقة المتجدِّدة في المملكة

بالنسبة لجهود المملكة في مجال الطاقة المتجددة، نشير إلى كلمة معالي وزير البترول والثروة المعدنية، المهندس علي النعيمي خلال الاجتماع الوزاري الخامس للطاقة النظيفة (سيئول، 2014) والتي حدَّد فيها خمسة مجالات تتيح للمملكة استخدام تقنيات الطاقة النظيفة للمحافظة على أنواع الوقود الأحفوري ذات القيمة العالية، وتأتي الطاقة الشمسية وطاقة الرياح كواحدة من هذه المجالات الخمسة والتي تشمل كذلك كفاءة استهلاك الطاقة واستخلاص الكربون والتحول إلى استخدام الغاز والأبحاث والتطوير في مجال الطاقة النظيفة. ولقد أنشأت المملكة مدينة الملك عبدالله للطاقة الذرية والمتجدِّدة للعمل على تنويع منظومة الطاقة المحلية، ولتشجيع استخدام مصادر طاقة بديلة ومتجددة لتوليد الكهرباء وتحلية المياه المالحة. ويؤدي هذا التوجه إلى تقليل الاعتماد على الوقود الأحفوري (نفط وغاز) وتقليل الانبعاثات الغازية وتوفير كميات كبيرة من المشتقات البترولية المعدة للتصدير مما يطيل أمدها في المستقبل.

وبحسب خطة مدينة الملك عبدالله للطاقة الذرية والمتجددة يتوقع أن تنخفض حصة الوقود الأحفوري في توليد الكهرباء بالمملكة إلى 45% بحلول عام 2040م، بحيث تصل مساهمة الطاقة الشمسية إلى 31% والطاقة الذرية 13% وطاقة الرياح 7% والكتلة الحيوية 2% والحرارة الأرضية 1%. وفي هذا السياق، نشير إلى الجهود البحثية الكبيرة التي بذلتها مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية والمؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة والجهات المتعاونة في نجاح المشروع البحثي لتحلية المياه بالطاقة الشمسية. وتم مؤخراً إبرام عقد لتصميم وتنفيذ محطة لتحلية المياه بطاقة 60 ألف متر مكعب من المياه المحلاة يومياً إضافة إلى بناء محطة الطاقة الشمسية بسعة 20 ميغاوات من الطاقة الكهربائية لتزويد محطة التحلية في مدينة الخفجي.

ملاحظات ختامية

أشار هذا العرض السريع إلى المساهمة الكبيرة لنشاطات البحث والتطوير في خفض تكاليف تقنيات الطاقة المتجددة التي أصبحت جزءاً من منظومة توليد الكهرباء ووقود النقل في بعض البلدان. وانخفضت تكلفة توليد الكهرباء من الألواح الشمسية بنحو 50% خلال السنوات السبع الماضية. غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن الانخفاض المطوّل لأسعار الوقود الأحفوري سيكون له بعض التأثير على أداء الطاقة المتجددة، ويمكن أن يؤدي إلى «تغيير قواعد اللعبة» فيما يتعلق بتمويل الشركات البترولية لأبحاث الطاقة المتجددة على المدى الطويل. كما يمكن أن يؤدي هذا الانخفاض إلى تغيير «التوازن» القائم بين مختلف مصادر الطاقة وأن تنأى الشركات البترولية بنفسها بهدف التركيز على عملها الأساسي في ظل ارتفاع تكاليف التنقيب والإنتاج.



أكبر محطة طاقة حرارية في العالم افتتحت مؤخراً عام 2012م في جامعة الأميرة نورة بالرياض



أحبار متقدِّمة تقنياً لأقلام غير اعتيادية الاستخدام

طوَّر فريق من مهندسي النانو في «جامعة كاليفورنيا - سان دييغو» جهازاً بسيطاً جديداً، سيفتح الطريق إلى حقبة يستطيع فيها أياً كان، وفي أي مكان أن يصنع جهاز استشعار حسب حاجته؛ الأطباء في عياداتهم، المرضى في بيوتهم، والجنود في ثكناتهم.

يعتمد هذا الاكتشاف على تطوير حبر حيوي عالي التقنية بإمكانه التفاعل مع كثير من المواد الكيميائية، بما فيها المادة السكرية الغلوكوز. ويتم حشو قلم حبر جاف عادي بهذا الحبر، لاستعماله كجهاز استشعار لقياس مستوى السكر في الدم بمجرد رسمه على الجلد، أو ورق الأشجار لقياس مستوى التلوث بها. كما يمكن تطبيقه في كثير من الاستعمالات كقياس الغازات السامة على جدران الأبنية الخارجية، وتبيان وجود مواد كيميائية صناعية ضارة مثل «الفينول»، الذي يمكن أن يوجد أيضاً في مستحضرات التجميل ومراهم الشمس، والكشف عن المتفجرات وغاز الأعصاب في ساحات المعارك.



ويقول «جوزيف وانغ» قائد الفريق إن تكنولوجيا القلم المعتمدة على محفزات حيوية بواسطة أنزيمات حبرية جديدة، لها استعمالات لا تحصى في المواقع والميادين. وإنها ليست مضرة للناس والنباتات، وإنها موصلة للكهرباء وتعمل كأقطاب لجهاز الاستشعار.

وكان الفريق نفسه قد طوَّر حديثاً طريقة لقياس مستوى السكر في الدم من خلال جهاز استشعار على شكل أوشام غير مضرة على الجلد.

أما الخطوة التالية فهي ربط جهاز الاستشعار هذا لاسلكياً إلى أجهزة كشف أخرى للتحقق من كيفية عمل هذا الجهاز في أوضاع صعبة كالحرارة المرتفعة والتقلب في مستويات الرطوبة والتعرض لأشعة الشمس.

http://www.sciencedaily.com/releases/2015/03/150302130752.htm

«الشيشة» تثير قلق العالم

ارتفعت التحذيرات من مخاطر تدخين «الشيشة» إلى مستويات غير مسبوقة، ويصف الباحثون تفشيها في العالم بأنه «وباء حقيقي».

فعلى هامش المؤتمر الدولي السادس عشر لمكافحة التدخين الذي عُقد مؤخراً في أبوظبي، تعاون باحثون من الجامعة الأمريكية في بيروت مع «مركز ماسي للسرطان»، ومعهد أبوظبي التابع لجامعة نيويورك أبوظبي، وجامعة كومنولث فرجينيا على إعداد دراسة حول تفشي الشيشة ومخاطرها. وقد أظهر المسح العالمي لاستخدام التبغ بين الشباب GYT الذي يغطي الحقبة 1999-2008 ويشمل نصف مليون مشارك حول العالم، أن تدخين السجائر قد استقرّت نسبته أو تراجعت، ولكن أنواعاً أخرى من التدخين آخذة في الانتشار وأهمها تدخين الشيشة.

وتشير الأبحاث حول العالم إلى حقائق مقلقة، إذ تُظهر دراسة من العام 2011م في لبنان أن ما يقرب من 35% من الفتيان والفتيات الذين تتراوح أعمارهم بين 13 و15 عاماً يدخّنون بانتظام الشيشة، التي قد تختلف تسمياتها (أرجيلة ونارجيلة). وبالإضافة إلى ذلك، فإن ما يقارب 60% من المراهقين من الفئة العمرية ذاتها جرَّبوا تدخينها مرة واحدة على الأقل، في تلك السنة.

أما في الأردن فقد ارتفعت نسبة تدخين الشيشة بين المراهقين بمقدار 72% بين الفتيان و136% بين الفتيات، ما بين العامين 2008 و2011م، بحسب دراسة نُشرت في العام 2013م في المجلة الأوروبية للصحة العامة.

وفي الولايات المتحدة أيضاً، تشير البيانات من المسح الوطني للشباب حول التبغ في العامين 2011-2012م، الذي شمل 43,524 من طلاب المدارس الثانوية، أن تدخين الشيشة ارتفع بنسبة 32%، فيما انخفضت نسبة تدخين السجائر.

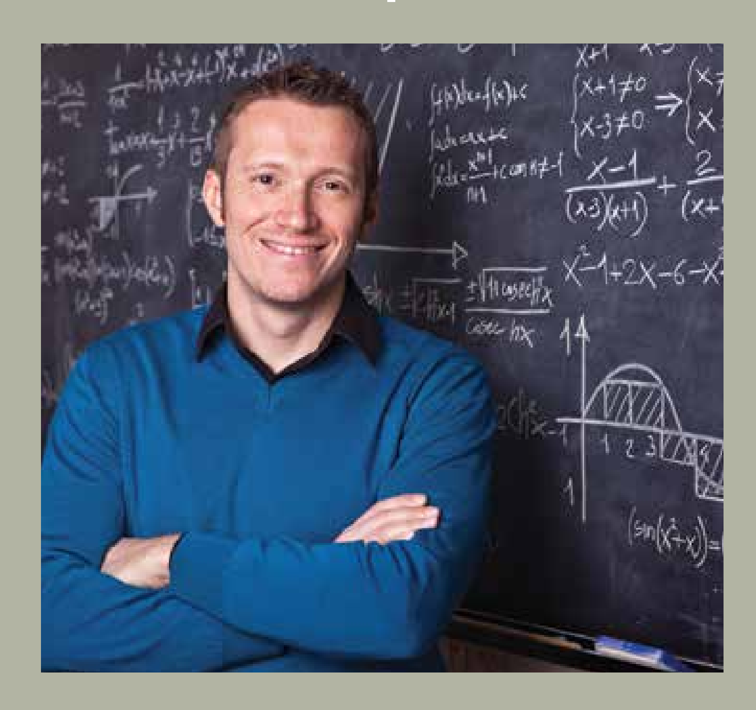
وقال البروفسور توماس أيسنبرغ، الأستاذ المشارك في دائرة علم النفس في كلية الإنسانيات والعلوم ومدير مركز دراسة المنتجات التبغية في جامعة فرجينيا كومونولت: «إن تدخين الشيشة شعبي جداً في العالم العربي. وأردنا أن نُصدر الملحق للفت النظر خلال «المؤتمر العالمي حول التبغ أو الصحة» إلى أن هذا النوع قد انتشر بشكل بتنا نعرف أنه خطير، لكن الحكومات لا تفعل شيئاً لإيقافه».

وتتناول المقالات البحثية في هذه الدراسة مجموعة من المواضيع المتعلقة بتدخين الشيشة، التي عادة ما تُحشى بالتبغ المحلّى والمنكّه، المعروف باسم المعسّل. وتشير البحوث إلى أن المعسّل هو أحد أهم الأسباب الرئيسة التي حوّلت تدخين الشيشة إلى إدمان في صفوة الشباب».



وكشفت الأوراق المقدَّمة في المؤتمر أن ستة ملايين شخص في العالم سيموتون خلال العام الجاري بسبب التدخين، وهو رقم يفوق إلى حدٍّ بعيد أعداد ضحايا الكوارث الطبيعية، وحتى الأوبئة الفيروسية والجرثومية.

أداة تقييم بإستطاعتها توقع مَنْ هو المعلّم الناجح



من المعروف أن تطوير العملية التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية يمر بمرحلة تقييم حادة، بسبب عدم الرضا عن المخرجات التعليمية المدرسية عموماً، ولتلبية تحديات عديدة يواجهها وضع الطفولة والتعليم في خضم التغيرات الاجتماعية الكبيرة.

ولهذه الغاية اجتمع عدد من الباحثين من عدة جامعات أمريكية، واتفقوا على أن التركيز المتزايد في عملية الإصلاح والمساءلة، ينبغي أن يكون على (كيفية اختيار المعلمين الناجحين).

«إننا بحاجة إلى أدوات لتتبع تقدُّم المعلمين خلال تحضيراتهم وبداية عملهم، للتأكد من أنهم يطورون فهمهم وممارستهم للتعليم الفعَّال. ولتحقيق ذلك، على هذه الأدوات أن تساعدنا على توقع سلوكهم في الصف مستقبلاً» تقول فايزة جميل، المحررة الرئيسة للدراسة.

هذه الأداة هي «فِديو تقييم التفاعل والتعلم». ويشمل التقييم عرض مقاطع فِديو وسؤال المرشحين عن ماهية الاستراتيجيات التي استخدمت من قبل المعلمين للوصول إلى جوانب محددة من التعليم والتنمية.

وتضيف جميل: «أعطينا هذا الفِديو إلى 270 من معلمي المرحلة الابتدائية في أنحاء مختلفة من البلاد، وسجلنا تعليمات المعلمين الفعلية في الصف، وقيَّمنا نجاح تفاعلهم مع التلامذة باستعمال بروتوكول مراقبة موحَّد معروف وهو «نظام تقييم الفصول الدراسية».

وتنص الورقة المنشورة على أن مهارة المعلمين في اكتشاف وتحديد التفاعلات الناجحة على الفِديو توقعت بشكل جيد سلوكياتهم التعليمية.

ويقول الباحثون إن نتائج الدراسة واعدة؛ نظراً لأن الفِديو يقيم المهارة بغض النظر عن العمر أو الانتماء العرقي.

http://www.sciencedaily.com/releases/2015/03/150302130825.htm



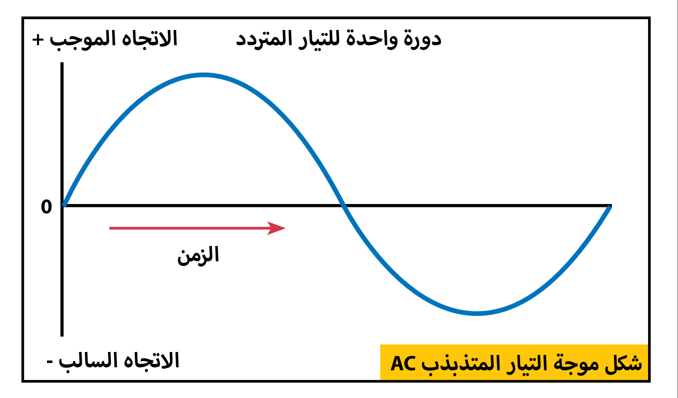
الاسم المعياري

هيرتز


هاينريش رودلف هيرتز

يعرف المستمعون إلى الراديو أن إذاعتهم المفضَّلة تبث على موجة ترددها «كذا كيلو هيرتز». كما أن الذي يكون بصدد شراء جهاز كمبيوتر جديد، يكون مهتماً جداً بسرعة المعالج التي تقاس بالـ «غيغا هيرتز». هذا الـ (هيرتز)، منسوب إلى الفيزيائي الألماني هاينريش رودلف هيرتز (1857-1894م) الذي غدا اسمه معياراً لقياس معدل تردد -أو تذبذب- الموجات خلال الثانية الواحدة. لكن عن أية موجات نتحدث؟ وما أهمية إنجاز هيرتز بالضبط؟ فيزيائياً، ثمة كثير من الظواهر من حولنا التي تحدث بشكل تيَّاري، أو ترددي، أو موجي. فالضوء يتحرك موجياً، وكذلك الصوت. وهناك نوع آخر أكثر تعقيداً من الموجات هو الموجات الكهرومغناطيسية. هذه الموجات تفسر ظواهر كونية عديدة. ولها سمات من قبيل قدرتها على نقل الطاقة والمعلومة عبر المسافات. وهذا الفهم لطبيعة الموجات قادنا لابتكار شبكات الكهرباء والراديو والهواتف الجوالة وسواها.

حين نشرح الموجة الفيزيائية فإننا نعتمد الشكل أدناه:



شكل موجة التيار المتذبذب AC

تبدأ الموجة من النقطة «صفر»، تتصاعد في مداها حتى تصل إلى أقصى قيمة لها فيما يعرف بالقمة، ثم تنحدر في قيمتها إلى أن تصل إلى القاع قبل أن تصعد مجدداً في طريقها إلى القمة مارّة بالنقطة صفر. وفي رحلتها من الصفر إلى الصفر تكمل الموجة ما يعرف بـ «الدورة». إذا كانت الموجة تكمل دورة واحدة خلال ثانية واحدة فإننا سنقول إن معدل ذبذبة (أو تردد) هذه الموجة يساوى 1 هيرتز. أما إذا كانت هذه الإشارة الموجيّة تكمل مئة دورة خلال الثانية الواحدة فسنقول إن ترددها يساوي 100 هيرتز. ولأن الساعة التي تنظّم عمل الدارات المنطقية في معالج الحاسب الآلي تتردد بمعدل يبلغ آلاف ملايين المرات في الثانية الواحدة، فإننا نقيس سرعة المعالج بالـ «غيغا هيرتز».

تاريخياً، بدأ استيعاب النظريات الخاصة بالموجات يتبلور منتصف القرن التاسع عشر بفضل علماء أبرزهم البريطاني جيمس كلارك ماكسويل، الذي خلّف معادلات رياضية مدهشة في تفرّدها مثلت تحدياً للفيزيائيين التجريبيين الذين أخذوا على عواتقهم مهمة التحقق ممَّا أثبته ماكسويل على الورق أو هدمه.

أحد هؤلاء كان هيرتز الذي نجح بين عاميّ 1886 و1889م في إرسال واستقبال الموجات الراديوية لأول مرة، مثبتاً أن هذه الموجات هي ذات طبيعة كهرومغناطيسية. ويحسب لهيرتز كذلك إثباته أن بالإمكان نقل الكهرباء بين نقطتين على هيئة موجات كهرومغناطيسية، إضافة إلى تطويره لنظريات الطبيعة الكهرومغناطيسية للضوء، ما مكّن الجيل التالي من الفيزيائيين من ابتكار الراديو والرادار، ومكّن من تلاهم من ابتكار البث التلفازي.

توفي هيرتز قبل أن يتم الأربعين. لكن أبحاثه غيَّرت وجه التاريخ وأسست لحضارتنا اللاسلكية. وفي العام 1960م، تم اعتماد اسمه كوحدة معيارية مساوية لـ (دورة في الثانية) لقياس مدى تردد كل أشكال الوجود الموجي الذي يحفل به هذا الكون.

ماذا لو؟

اقتربت سرعة كرة تنس من سرعة الضوء؟

عُمير طيبة

النظرية النسبية، واحدة من أغرب النظريات التي غيَّرت نظرة العقل البشري للكون. ومن نتائجها، بعيداً عن التفاصيل، أن إدراكنا للزمن والأبعاد الحسيّة سيختلف بحسب اختلاف السرعة النسبية بين شخصين. وبمعنى آخر، فإن الأطر المرجعية التي يكون فارق السرعة بينها قريباً من سرعة الضوء، ستتفاوت قياسات الزمن والأبعاد فيما بينها.

هذا الكلام ليس سهل الاستيعاب، وهذه سمة أكيدة للنظرية النسبية نفسها. ولكن لنأخذ سيناريو تخيلياً كي نفهم أكثر. فماذا لو تمكن لاعب تنس، بطريقة ما، من إرسال كرة التنس بسرعة قريبة من سرعة الضوء؟ لنقل إنها تمثل 99% من سرعة الضوء؟

جزيئات الهواء المحيط بنا تتحرَّك بسرعة بضع مئات كيلومترات في الساعة. الكرة ستخترق هذا الهواء بسرعة تسعة مليارات كيلومتر في الساعة.. مما يعني أن جزيئات الهواء لن يمكنها الابتعاد عن طريق الكرة. وإفساح المجال لها. بالنسبة للكرة فسيبدو كل شيء ثابتاً وغير متحرك. هذا سيؤدي إلى تراكم جزيئات الهواء في مقدمة الكرة. وسيؤدي تراكم جزيئات الهواء، بعد بضعة نانو أجزاء من الثانية، إلى ضغطها إلى أن تندمج في عملية اندماج نووي. ومن المعروف أن الاندماج النووي ينتج أشعة (غاما) فائقة الطاقة.

نتيجة لهذا الاندماج -وفق السيناريو التخيلي- فإن مقدمة الكرة ستبدأ بالتآكل لدرجة أنها ستختفي كلياً قبل أن تصل إلى اللاعب الآخر الذي ينتظرها على الطرف الآخر من الملعب. صحيح أن الاندماج النووي نفسه سيقلل من سرعة الكرة، لكن جزيئات (غاما) المتكوّنة ستحيل الهواء حول الكرة إلى (بلازما) هلامية. وسيظهر هذا التحول على شكل فقاعة كروية تكبر مع الزمن بسرعة الضوء نفسه. وستنطلق أجزاء الكرة المتناثرة بسرعة كبيرة لدرجة أنها ستولِّد عدة انفجارات نووية أخرى أصغر.

ولأن الكرة تمضي بسرعة قريبة من سرعة الضوء، فإن مُستقبِل الكرة لن يستوعب تحركها أو إرسال المنافس لها. لأن الضوء المنعكس من اللاعب المنافس عند الإرسال لم يصل لعينيه بعد. هذا يعني أنه قبل أن



يستوعب مستقبِل الكرة أن الكرة قد تحركت تجاهه، فسيكون هو نفسه قد اختفى وتبخر كلياً بفعل الانفجارات النووية الحاصلة. وبطبيعة الحال فإن مرسِل الكرة سيواجه الحتف نفسه.

في الواقع -لو كان ثمة واقع مشابه- فإن ملعب التنس سيُنسف من الوجود في أقل من ثانية.. وكل ما هو حول ملعب التنس بحوالي ميل سيختفي تماماً من الوجود، وستبقى حفرة وسحابة (عش الغراب) ليشاهدها مَنْ هم في خارج نطاق الميل. وسيضطر هؤلاء المشاهدون إلى التعايش مع المخلفات الإشعاعية لهذا الحدث المدهش لأجيال مقبلة.

دور الأهل مع الأولاد يتغيَّر

حتى مطلع القرن التاسع عشر، كان دور الأهل متشابهاً أينما كان في العالم. فالعائلة هي الخلية الاجتماعية الأساسية لاستمرار الحياة. ودور الأهل هو القلب والعقل والقوة المادية الدافعة للحفاظ عليها. وكان هذا الدور، المتوارث منذ القِدم، هو الوحيد في حياة العائلة، إذ لم تكن الدولة الحديثة وبُناها المتعددة قد تكونت وأخذت كثيراً منه.

وبينما حافظت أكثر العائلات العربية على الدور التقليدي للأهل، باستثناء فئات قليلة، لم يكن الوضع كذلك في المجتمعات الغربية. فقد تعرَّض دور الأهل هناك إلى موجات عاتية من التغيرات، مما أدى إلى نشوء أوضاع مأساوية للأطفال، رافقتها آراء مثيرة للعلماء والكتَّاب هناك.



قديماً، كانت الزراعة هي المصدر الأساسي للعيش. وكان أفراد العائلة جميعهم، ما عدا الرضَّع، منغمسين في هذه الأعمال. وكانت العائلات عموماً مستقرة في المكان الواحد دون تبديل أو هجرة. وهكذا كان جميع الأقارب يجتمعون في وحدة جغرافية يكتنفها التضامن والألفة. لكن وطأة الحياة كانت ملقاة على عاتق الأم أكثر من غيرها. كان حجم العائلة كبيراً، إذ إن معدل الأولاد للمرأة الواحدة في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، كان ثمانية، كما تقول الدكتورة سوسان ويت من جامعة أكرون. والمعدل العام للعمر قصيراً، لكنه كان أقصر بالنسبة للأم؛ فأحياناً كثيرة كانت تموت عند الولادة. وكان دور الأبوين في تنشئة الأولاد يمتد طوال العمر كله.

التغيرات الاجتماعية ودور الأهل

كان لعصر النهضة، الذي امتد من القرن الرابع عشر إلى السابع عشر، وعصر التنوير الذي تبعه من منتصف القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر، والثورة الصناعية التي أعقبتهما، الأثر الكبير على وضع العائلة ودور الأهل. جميع هذه الحركات تحدَّت النظام القديم القائم على الإقطاع والعبودية وأحدثت تغيرات كبيرة في بنية المجتمعات والعائلات، وشكلت تحديات للتقاليد والأعراف والعادات والاعتقادات التي سادت خلال آلاف السنين. وظهر ما نعرفه اليوم بالدولة الحديثة والدساتير والقوانين ومفاهيم كالديمقراطية والمواطنة وحقوق الفرد المتميزة عن حقوق الجماعة.

فكان النزوح الكثيف إلى المدن للعمل في المصانع والتوسع في ظاهرة الحياة المدنية، في طليعة المؤثرات على دور الأهل. إذ تركت هذه التحولات أثراً كبيراً على وضع الوالدين ودورهما. فاضطر الأب إلى أن يعمل بعيداً عن العائلة. وكانت تلك الخطوة الأولى في إضعاف دوره المتعلِّق بتربية الأطفال. أما الأمر، في تلك المرحلة، فبقيت في المنزل ترعى شؤونه وحيدة، ولم تدخل سوق العمل المدفوع الأجر بشكل واسع حتى ستينيات القرن العشرين. وللمفارقة أنه في تلك الفترة، كانت النساء عند الحاجة يعملن لكن في أعمال يدوية وأحياناً قاسية، مثل العمل في مناجم الفحم. وكانت من علامات النجاح والفخر عند الرجال أن تتمكن الأم من التفرغ لتربية الأطفال، وأن يتحول دور الأب الأساسي إلى تأمين الموارد الاقتصادية.

في تلك الفترة بالذات، برزت حاجة المجتمع الجديد إلى العلوم في مجالات عديدة، فتوسع إنشاء المدارس والجامعات والمعاهد وازدادت أعداد الطلاب والمتعلمين. فخرج الأطفال، بالإضافة إلى الأب من المنزل وتقلص وقت العائلة المتجمعة.

في خضم هذه الحقبة المتغيرة، ظهر ما يعرف بـ «الفجوة بين الأجيال». وعبَّر عن هذه الفجوة الأديب الروسي «إيفان تورغينيف» في رواية عنوانها «الآباء والبنون» في النصف الأول من القرن التاسع عشر: صُدم الأب عند استقباله ابنه العائد من الدراسة في أوروبا الغربية بأفكاره الليبرالية. كيف لا؟ ودور الأب المقدس هو إرشاد أولاده إلى الالتزام بالروح الروسية التقليدية أو «السلافوفيليا». فمع انتشار الفكر الليبرالي في أوروبا وتسربه إلى المثقفين في روسيا، اعتبر الأهل أن هذا هو خروج عن «الروح الروسية المستقيمة» وأن دورهم في الحفاظ عليها بات مهدداً.

والحال أن التغييرات الأساسية التي طرأت على دور الأهل في هذا العصر، هو أنه لم يعد مقتصراً على القرارات اليومية التي يأخذها الأهل بشأن أولادهم. بل أصبح محكوماً بالمؤسسات الجديدة الناشئة في بُنى الدولة الحديثة كالمدرسة والجامعة والمستشفى والمخفر والقوانين والإعلام وغيرها الكثير. كما أن دُور الحضانة أخذت كثيراً من دور الأم.

العائلة العربية

هذا لم يحدث في المجتمعات العربية. فهي مجتمعات غير منتجة بالمعنى الذي شهدناه في البلاد الغربية. ودون أن نطلق أحكاماً تقييمية؛ فالمجتمعات غير المنتجة لا تنتج التغيير. إنها مجتمعات مستهلكة، واقتصادها ريعي لا يتطلب التغيرات الكبيرة في كافة بُنى المجتمع، وبالتالي على نطاق العائلة. وما يحصل من بعض التغيير يأتي بتأثير من الخارج، كما سنرى من بعض الدراسات في الجامعات العربية. والتأثير الخارجي يبقى تأثيراً هامشياً، بالرغم من الصخب الذي يمكن أن يولده من قبل بعض الأهل.

فنزوح العائلات العربية من الريف إلى المدينة لم يؤدِّ إلى حياة مدنية جديدة، كما شهدنا هناك. بل على العكس، قضى على بعض مظاهر المدنية التاريخية في مدن مثل القاهرة وبيروت ودمشق.

> **نزوح العائلات العربية من الريف إلى المدينة لم يؤدِّ إلى حياة مدنية جديدة.. بل على العكس، قضى على بعض مظاهر المدنية التاريخية في مدن مثل القاهرة وبيروت ودمشق..**



بسبب دخول المرأة سوق العمل والنزوع إلى تحقيق الذات، ضعفت غريزة التضحية تجاه الأطفال. وتوسعت كثيراً ظاهرة «أسرة الربائب» و«عائلة الربائب» وغيرهما..



دور المرأة الرئيس لم يعد رعاية الأطفال..



وأصبحت هذه نوعاً من تجمع قرى ريفية حافظت على تقاليدها وأعرافها، خاصة على البُنى الاجتماعية الأساسية، كالعائلة ودور الأهل فيها. فالنظام الأبوي كما يسميه الدكتور هشام شرابي، في كثير من كتاباته، لا يزال هو نفسه سائداً في الكتلة الأساسية والكبيرة من المجتمعات العربية.

لقد تعرضت أدوار بعض الأهل في البلدان العربية للتغيير. لكنه اقتصر على بعض الشرائح المتعلمة والمرتبطة بعلاقات عمل أو تعليم بمؤسسات غربية. أما غالبية الأهل في منطقتنا فلم تتعرض لتغييرات جذرية.

وأظهرت دراسة ميدانية أجرتها الدكتورة باسمة حلاوة من كلية التربية في جامعة دمشق، في أربع مناطق مختلفة من المدينة أن «هذه النتائج تشير إلى أن المستويات التعليمية والاقتصادية، لا تؤثر في أدوار الوالدين في تشكيل شخصية الأبناء الاجتماعية، لأنهم يعيشون ضمن منظومة واحدة من القيم والعادات الاجتماعية».

لكن دراسة قام بها الدكتور محمد ممدوح عوني من جامعة الخليج العربي في البحرين حول تأثير التقنيات الحديثة على دور الأسرة في دول العالم الثالث خلصت إلى أن «انتشار القنوات الفضائية والإنترنت وأجهزة الألعاب الإلكترونية وغيرها من وسائل الترفيه تسببت بعزلة أفراد الأسرة الواحدة عن بعضها بعضاً، وضعف مراقبة ومتابعة الآباء لأبنائهم، وزيادة مساحة الحرية المتاحة أمام الأبناء، بينما قلَّ دور الأم في توجيههم أخلاقياً وسلوكياً، وخفَّ أثر الأهل أيضاً في تحسين التحصيل العلمي».

وظهر في بحث آخر أجرته الأستاذة «فتحية باحشوان» من جامعة أسيوط عن الأسرة في اليمن أن هناك بعض التغيرات في أدوار الأهل نتيجة العيش في المدن. لكن هذا التغير لا يمكن مقارنته بتلك التحولات الحادة في البنية الاجتماعية والاقتصادية والقانونية التي حصلت في البلدان الغربية.

الموجة الثانية من التحوُّل في دور الأهل

بُعيد الحرب العالمية الثانية ازدهر الاقتصاد الأمريكي بعد كبوة الثلاثينيات، وازداد الطلب كثيراً على الوظائف والاختصاصات. فأدى ذلك إلى ازدياد حضور المرأة في سوق العمل. فكانت فترة الستينيات وما أعقبها، فترة التغيرات الكبرى على دور الأهل بعلاقتهم بأطفالهم وبالمجتمع. لأن استمرار النزوح الكثيف إلى المدن أدى إلى توسع الطبقة المتوسطة وظهور ما بات يعرف بـ «الثقافة النسوية». وازدادت المطالبة «بحقوق المرأة» وحقها في التنازل عن حضانة أطفالها إلى المؤسسات والدور التي انتشرت بشكل واسع. ولم يعد العمل الشاق هو الدافع في الحياة. فقد شعر الشباب أنه أصبحت لديهم خيارات أكثر من تلك التي لأهلهم. بدأوا يشعرون بالحاجة لمعانٍ أوسع وفرص للتعبير عن ذواتهم. وعندما أخذت أدوار الأب والأم بالتساوي تجاه الأطفال، بسبب دخول المرأة سوق العمل والنزوع إلى تحقيق الذات، ضعفت غريزة التضحية تجاه الأطفال. وتوسعت كثيراً ظاهرة «أسرة الربائب» و«عائلة الربائب» وغيرهما.

تشير الإحصاءات اليوم إلى أن حوالي 66% من الأمهات اللواتي لديهن أطفال تحت عمر السنة الواحدة يعملن خارج المنزل. و75 - 80% من اللواتي لديهن أطفال تحت سن السادسة يعملن. وهذا يعني أن دور المرأة الرئيس لم يعد رعاية الأطفال.

ففي إحصاء للدكتورة ويت، التي استشهدنا بها سابقاً، أن ثلثي الأهل الذين استُطلعت آراؤهم، في فترة سابقة من السبعينيات، رفضوا الفكرة القائلة إن على الأهل العيش سوية في سبيل الأطفال إذا لم يكونوا سعداء بعضهم بالبعض الآخر؛ وإن سعادتهم بالنسبة لهم أهم من سعادة أطفالهم، إذا خُيِّروا في ذلك. فارتفعت نسبة الطلاق، الآن، إلى أكثر من 60% بين المتزوجين. هكذا انتقل العبء الأكبر لدور الوالدين إلى أماكن أخرى غير العائلة النواة.

وتبيَّن من دراسة قادتها كيرا بيرديت من جامعة ميتشيغان أن «أكثرية الأهل والأولاد البالغين يمارسون نوعاً من العلاقات المتوترة والعدائية بعضهم مع البعض الآخر» في الولايات المتحدة الأمريكية. واللافت في الدراسة أن التوتر مع المراهقات أكبر منه مع المراهقين. كما أن التوتر مع الأم هو أكبر من الأب. وتعتقد بيرديت أن ذلك يعود إلى أن دور الأمهات هو أكثر تدخلاً وحضوراً من الآباء.

وفوجئت بيرديت بتوصل دراستها إلى أنه كلما تعطَّل دور الأهل ازداد التوتر مع تقدم الوقت. وأن إسداء النصائح، وهو الدور الأساسي للأهل، كما يعتقدون، هو العنصر الأكثر إثارة للتوتر.

واشتدت وطأة الأمر بتعرض العائلة لاحقاً، بشكل غير مسبوق، لتأثيرات خارجية قوية. مثل التلفزيون ومواقع التواصل الاجتماعي، وغيرها الكثير، التي تُولِّد رغبات وسلوكاً استهلاكياً يشكل بديلاً عن الانتماء والهوية. كما أنها تمارس توجيهات انضباطية ضمنية لأعراف جديدة، يُحكم على الأفراد وسلوكهم وفقاً لها. فأصبح دور الأهل في هذه الحالة الجديدة مأساوياً.

آراء متشائمة

في كتابها «الأم الآلة» تقول جينا كوريا إن تقنيات الإنجاب العصرية والتخصيب في المختبر وما يُعرف بأطفال الأنابيب وجميع المعاينات ما قبل الولادة، بما فيها الهندسة الجينية، تشكل خطراً حقيقياً على المرأة. لأن سلبياتها تتعدى إيجابياتها بحيث يتم التحكم بجسمها وجعله شيئاً يتلاعب به الطب. وهكذا يتم حرمانها من أهم أدوار الأمومة.

أكثر من ذلك، هو ما يتعلق بدور الأب؛ يقول دايفد بلانكهورن مؤلف كتاب «أمريكا دون أبوة»، «إن التحدي الداخلي الأهم التي تواجهه الولايات المتحدة الأمريكية هو إعادة تكوين الأبوة كدور اجتماعي حيوي للرجال. ما هو في خطر، هو ما نسميه نجاح التجربة الأمريكية. إذا لم نعكس اتجاه فقدان الأبوة، فإن أية مجموعة من الإنجازات مثل النمو الاقتصادي أو بناء السجون أو إصلاح نظام الرعاية الصحية أو مدارس أفضل، لن تنجح في وقف تدهور رفاه الطفل وانتشار العنف الذكوري. إذا تسامحنا مع هذا الاتجاه، نكون قد قبلنا حتمية استمرار الركود الاجتماعي».

ما هو الطفل؟ ما هي الطفولة؟

نتيجة هذا التردي الكبير في أوضاع العائلة وانعكاسها السلبي على أوضاع الأطفال، بدأ الاهتمام الأكاديمي والفكري بدور الأهل وعلاقتهم بالأولاد يزداد، وينفصل عن كونه جزءاً من علوم التربية، ويأخذ منحى مستقلاً لأهميته القصوى. وطرحت أسئلة جديدة حول «مَنْ هو الطفل، ما هي الطفولة؟».

وتقول الموسوعة الفلسفية لجامعة ستانفورد إنه وعلى الرغم من تعدد المفاهيم حول ماهية مرحلة الطفولة ودور الأهل، فلا تزال حتى يومنا، خاصة في العالم الغربي، تسود المفاهيم التي صاغها وكتب عنها الفيلسوف اليوناني «أرسطوطاليس»، في العقد الرابع قبل الميلاد، حول هذا الدور.

وفق هذا المفهوم الشائع شعبياً وأكاديمياً، فإن الطفل هو عينة غير ناضجة لعضو أو كائن حي يتطور مع الزمن ليصبح ناضجاً. ودور الأهل الأساسي وواجبهم هو في تأمين البيئة الضرورية التي تسمح بتحولهم إلى أعضاء بالغين.

وأدخل مؤخراً تعديلان على نظرية أرسطو. الأول يقول إن تطور الفرد من مرحلة الطفولة إلى النضج يلخص تاريخ تطور النوع نفسه. ويُعد سيغموند فرويد من أصحاب هذه النظرية. أما التعديل الثاني فهو أن هذا التطور يتم على عدة مراحل تاريخية من عمر الفرد. لقد تبنى هذه النظرية وطورها بشكل أصبحت مهيمنة في النصف الثاني من القرن العشرين جان بياغيت. الجدير بالذكر أن هذا المفهوم الثاني قد استند على فلسفة الرواقيين التي كانت سائدة في منطقتنا في العقد الرابع قبل الميلاد.

تقوم نظرية جان بياغيت المعروفة، على أن الطفل قبل سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة لا يستطيع «التفكير فيما بعد» أو «ميتا تفكير» (مثل التفكير عن التفكير). وهذا ما يعطي الأهل والمربين دوراً ومسؤوليات إضافية ويثبت عملياً الاعتقاد السائد حول هذا الدور والواجبات.

المفاهيم أيضاً تتغير

لكن، تزايدت في المرحلة الحديثة الأبحاث الجديدة التي تشير إلى أن بياغيت يقلِّل من شأن الإمكانات المعرفية عند الأطفال. وبحسب هذه النظريات الجديدة فإن دور الأهل بعلاقتهم بأطفالهم تنحو، ويجب أن تنحو، إلى التغير. يقول الفيلسوف غاريث ماثيوس «إن بياغيت لم يستطع ملاحظة الأسئلة ذات الحيرة الفلسفية عند الأطفال الصغار جداً». ويتوسع في عرض كثير من النماذج الحقيقية الممتعة حول أسئلة طرحها أطفال صغار، ليبرهن أن أسئلتهم ذات أبعاد فلسفية جديدة، هذا بعض منها:

1 - سأل «تيم» (6 سنوات) وهو منشغل بالأكل «بابا، كيف تتأكد أن كل شيء ليس حلماً؟».

2 - سأل «جوردن» (5 سنوات) «إذا ذهبت للنوم في الساعة الثامنة ونهضت في السابعة صباحاً كيف أستطيع أن أتأكد أن لولب الساعة لم يدر أكثر من مرة؟ هل يجب أن أبقى مستيقظاً طوال الليل لمراقبتها؟ إذا شحت بنظري حتى لثوانٍ يمكن لهذا اللولب أن يدور مرتين».

3 - «جون إدغار» (4 سنوات) كان قد رأى طائرة في المطار تقلع وتَصغرُ كلما توارت عن الأنظار في الأعالي. أخذ رحلته الأولى، وعندما توقفت



دخلنا الآن في مرحلة تغيرات جديدة نتيجة التطور الكبير في التكنولوجيا الذكية والروبوتات.. إن هذه الكائنات الذكية ستقوم، بحلول الثلاثينيات من هذا القرن، بمعظم الوظائف..

الطائرة عن الصعود واستوت في الجو، التفت إلى والده وقد بدا الارتياح على وجهه، لكن الحيرة تشوب صوته، «في الواقع لا تصبح الأشياء صغيرة هنا في الأعالي».

عقلية نمو وتطور مقابل عقلية ثابتة

بناءً على هذه الفلسفة الجديدة، يشدد المختصون على تغيير جذري في دور الأهل بعلاقتهم بأولادهم. تقول كارول دويسك في مقالة شيّقة في عدد خاص من مجلة «ساينتفيك أميركان»، حول «الدماغ والعقل»، «إن مجتمعنا يقدِّس الموهبة (في مسح أجرته الكاتبة تبين أن 85% من الأهل يعتقدون أن مديح قدرة أطفالهم وذكائهم عندما ينجحون مهم لتشجيعهم)، وكثير من الناس يفترضون أن اكتساب ذكاء خارق أو قدرة – بالتوازي مع ثقة بهذه القدرة – هي وصفة للنجاح. وفي الواقع، أظهرت 35 سنة من الأبحاث العلمية أن التشديد على الفطنة والموهبة – واعتبار هذه الصفات فطرية وثابتة - تترك الناس عرضة للفشل. إذ يجب التشديد، بالأحرى على «عقلية النمو» التي تشجع التركيز على «العملية المتواصلة» أو (البروسيس) الذي ينتج نجاحات كبيرة في المدرسة والحياة». وتتابع أنه على الأهل والمعلمين أن يمتدحوا المثابرة والتخطيط والجهد وحب التعلم بدلاً من تقديس الموهبة.

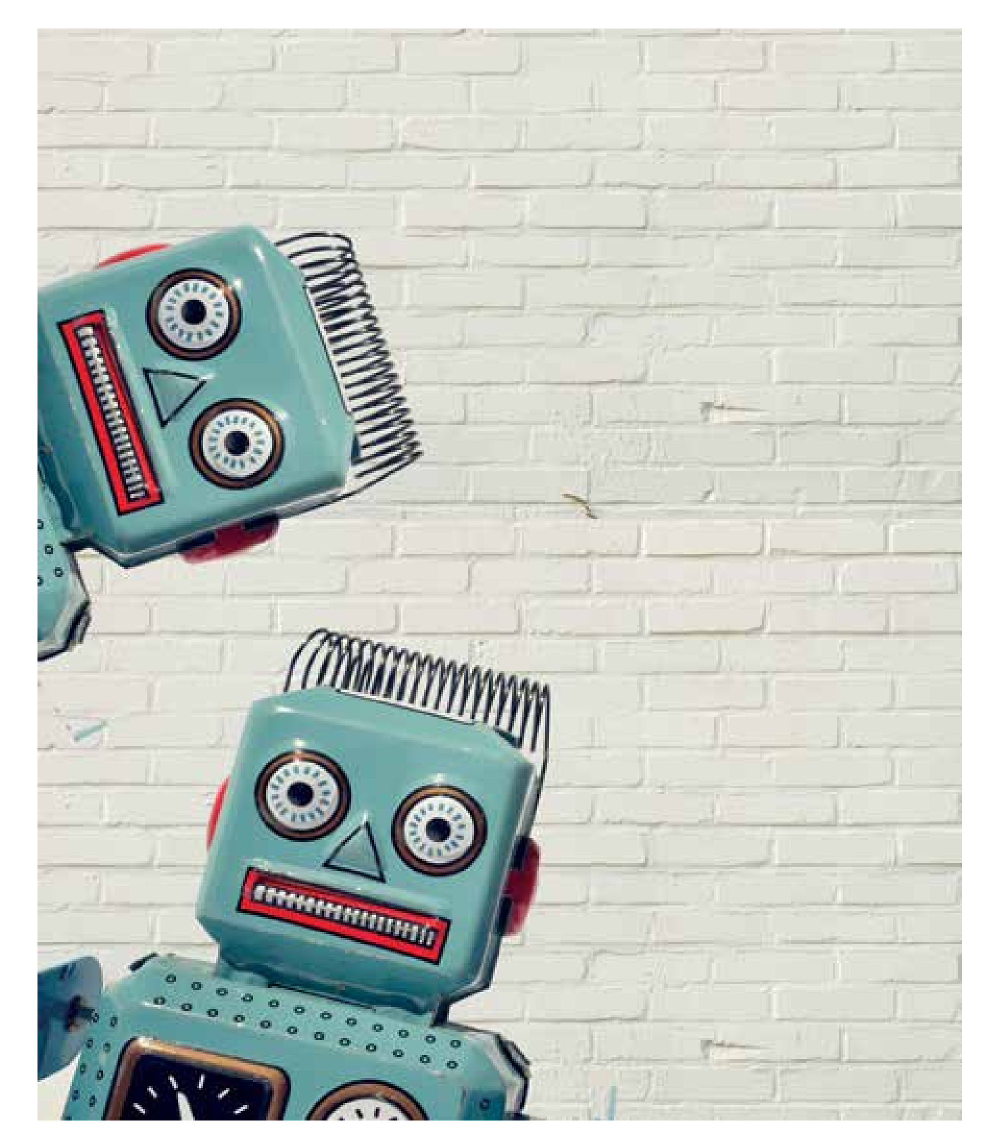
ويقترح كثير من علماء التربية المعاصرين، تغيراً في دور الأهل نحو التحفيز بدل التلقين، والشراكة بدل الإرشاد، والنظر إلى الأخطاء من وجهة إيجابية على أساس أنها دليل على العمل والجهد والاضطلاع بالتحديات.

ونتيجة انتشار بعض هذه المفاهيم الجديدة وتطبيقها، لاحظ كثير من الباحثين أن تغيراً إيجابياً، ولو كان بسيطاً، بدأ يظهر في الإحصاءات، على تحسن دور الأهل بعلاقتهم بأطفالهم.

مستقبل دور الأهل

يُجمع العلماء والفاعلون على صعيد العالم، أننا دخلنا الآن في مرحلة تغيرات جديدة نتيجة التطور الكبير في التكنولوجيا الذكية والروبوتات. وهي تشبه، بل تتخطى التغيرات التي حصلت إبان الثورة الصناعية. حيث إن هذه الكائنات الذكية ستقوم، بحلول الثلاثينيات من هذا القرن، بمعظم الوظائف. ويضيف الأستاذ جميل مطر عن حوارات دارت في مؤتمر «دافوس» في سويسرا، هذه السنة، «دعونا نعلن على الملأ أن العالم على أبواب مرحلة تزداد فيها البطالة إلى حد اختفاء تعدد الوظائف وربما مهن معينة...».

لكن هؤلاء العلماء يختلفون حول ماهية هذه التغيرات المقبلة على العائلة ودور الأهل. منهم من يتوقع أن يكون لذلك تغيرات إيجابية. فبسبب الانخفاض الكبير في الأسعار نتيجة غياب الأجور (لأن الروبوت لن يتقاضى أجراً، ولا يحتاج رعاية صحية أو اجتماعية أو ضمان شيخوخة... الخ)، تزداد قوة الشراء بما يمتلكون وتزداد مساحة الزمن الحر لديهم. كما أن الوالدين لن يُجبرا على العمل الشاق لمدة طويلة والبقاء خارج المنزل، ثم يعودان مثقلين بالضغط والإرهاق. مما يمكنهما من تكريس الوقت الكافي للأطفال والعائلة، في جو من الطمأنينة والراحة النفسية، فيستعيدون دورهم في إعادة اللحمة بين أفرادها. عسى أن يكون ذلك صحيحاً.



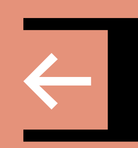


ما الذي يجعلنا ندفع مبلغاً زائداً، دون أن نحصل مقابل ذلك على أي خدمة إضافية؟ ولماذا نشعر دوماً بالحرج، ونتحاشى أن تلتقي عيوننا بعيون من نقدِّم له هذا المال؟ هل نسهم بهذا التقليد في النيل من كبرياء شخص آخر وعزة نفسه، وفي مساعدة أصحاب العمل على استغلال العاملين لديهم؟ هل نقبل أن يقدِّم لنا شخص مهما علت مكانته مبلغاً من المال دون مقابل؟

أسامة إبراهيم

لماذا ندفع البقشيش؟

جولة تاريخية وجغرافية وثقافية حول الإكرامية



البقشيش في الماضي والحاضر

قبل البحث في كهوف التاريخ عن بدايات الإكرامية، تجدر الإشارة إلى أننا لا نتكلم عن قضية هامشية، فيكفي أن نعلم أن ما تحصل عليه المطاعم وحدها في الولايات المتحدة الأمريكية من البقشيش يبلغ سنوياً 21 مليار دولار، أي ما يعادل 78,7 مليار ريال سعودي، وأن الإكرامية تمثِّل نسبة لا يستهان بها في ميزانيات الدول التي تعيش على السياحة. لقد كانت الإكرامية سبباً في اندلاع مظاهرات، ورفع قضايا لا حصر لها أمام المحاكم، والإدانة بالسجن، وكانت موضوعاً لعديد من رسائل الدكتوراة، التي تناولتها من الجوانب القانونية والاقتصادية والاجتماعية. والأهم من كل ذلك أن كثيراً من أنظمة الحكم الرأسمالية والشيوعية، الديمقراطية والاستبدادية حاربت الإكرامية. ولكن التاريخ يثبت أن كل الأنظمة تزول، وتبقى الإكرامية على مر العصور، وأنها نجحت في التغلغل في جميع أرجاء الأرض، ولم تقف أمامها حواجز ثقافية أو دينية.

لم يرد في كتب التاريخ اسم أول من دفع الإكرامية، ولا أسباب قيامه بذلك السلوك الغريب على طباع الإنسان. لكن بعض المراجع تؤكد وجود هذا السلوك في الإمبراطورية الرومانية، حيث كان أصحاب الوظائف الرسمية، يحصلون على مبالغ إضافية تقديراً لعملهم، كما كان هناك تقليد متبع في أوروبا في

العصور الوسطى، وهو أن كل من يأتي ببشارة وأخبار سعيدة، يحصل على إكرامية.

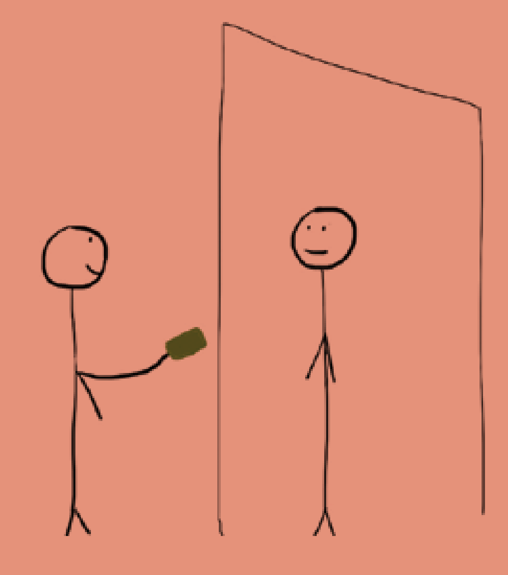
في العصور الوسطى أيضاً كانت هناك حاجة لالتقاء التجار من مختلف الدول والممالك الأوروبية. فكانوا يجتمعون في مكان واحد، وظهرت الحاجة إلى ما يشبه الفنادق، حتى يقيم فيها الغرباء، وفي هذه الفنادق البدائية التي تشبه الخانات الشرقية إلى حدٍّ ما، كان النزيل الذي يدفع مبلغاً زائداً عن الأجرة، ينال مكاناً أكثر راحة من غيره.

وفي بريطانيا تعود جذور الإكرامية إلى القرن السادس عشر، وانتشرت عادة لا علاقة لها بالفنادق أو المطاعم، بل كانت مرتبطة بالدعوات الخاصة في المنازل. فحينما يقوم أحد النبلاء بدعوة ضيوفه لتناول الطعام عنده، فإنهم لم يكونوا يغادرون بيته، إلا بعد أن يقدِّموا الإكراميات للخدم، الذين كانوا يصطفون في انتظارها بعد الدعوة.

وبعد أن ترسخت هذه العادة، وأصبحت تقليداً متبعاً، بدأ صاحب الدعوة يخفِّض من رواتب الخدم، الذين كانوا يحصلون على الإكراميات بسخاء. بل إن بعض النبلاء لم يجد حرجاً في اقتسام الإكراميات مع الخدم، وفي المقابل أصبح الضيوف يحسبون ألف حساب لهذه التكاليف الباهظة المرتبطة بقبول الدعوة. لذلك جاءت مبادرة من النبلاء في عام 1760م تدعو لوقف الإكراميات، واستمرت المحاولات لسنوات، حتى بدأ هذا التقليد في التراجع، فإذا بالخدم يقومون باضطرابات ومظاهرات في العاصمة البريطانية في عام 1764م، ويعلنون رفضهم تماماً للتخلي عن الإكراميات، التي اعتادوا عليها، وأصبحت مصدراً رئيساً لدخلهم.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فكانت الإكرامية غير معروفة على الإطلاق، حتى عام 1840م، وفي مصادر أخرى حتى الحرب الأهلية في الفترة من 1861 حتى 1865م، لأن المجتمع كان منقسماً بوضوح إلى سادة وعبيد، وكان الاعتقاد سائداً بأن السادة لا يقبلون الإكرامية، والعبيد لا مبرر لمنحهم شيئاً إضافياً. لكن موجة الهجرة من أوروبا بسبب الأزمة الاقتصادية هناك، أتاحت للمهاجرين أن ينقلوا معهم هذه العادة إلى الأراضي الأمريكية.

وبعد تحرر العبيد، وجد كثير من السود في المقاهي والمطاعم فرصة ذهبية للعمل الذي لا يتطلب مؤهلات أو خبرات سابقة، وكانوا معتادين على معاملة البيض باعتبارهم طبقة أرقى منهم، وكانوا يقبلون الإكرامية بصدر رحب. لكن بعض الطلاب



شهدت الصين، التي لم تكن تعرف الإكرامية أبداً، إقبال السياح الغربيين ورجال الأعمال في فترة الانفتاح النسبي منذ عام 1977م، وحملوا معهم عادة الإكرامية، فصدرت قوانين تمنع ذلك..

البيض دخلوا هذا المجال أيضاً، وكانوا يحصلون على إكراميات أعلى من زملائهم السود.

وتناولت وسائل الإعلام الأمريكية في مطلع القرن العشرين هذه الظاهرة بكثير من النقد. وحارب بعض الكتَّاب في صحيفة (نيويورك تايمز) في عام 1908م، قبول الشباب البيض الإكرامية، معتبرين أن «الرجل الحر الذي يملك حق الانتخاب، لا يليق به أن يعمل خادماً».

وأصدرت ولايات أمريكية عديدة في عام 1909م قوانين تمنع الإكرامية، وفرضت بعضها عقوبة على من يدفعها ومن يقبلها. لكن غالبية الولايات قصرت العقوبة على من يقبلها، لأنهم كانوا غالباً من السود، وعدم محاسبة من يدفعها، وغالبهم من البيض. وكانت العقوبة لا تقتصر على الغرامة بل تشمل الحبس أيضاً. إلا أن الحكم الصادر على نادل في أحد المطاعم بالسجن، بعد قبوله إكرامية بقيمة 15 سنتاً، ثم استئنافه أمام المحكمة العليا التي ألغت العقوبة، وقضت بعدم دستورية هذه القوانين، أدى إلى إلغاء القوانين في الولايات الواحدة تلو الأخرى. ثم تأسست جمعية محاربة الإكرامية في عام 1916م، وأعلن مرشح رئاسي عزمه على إلغاء هذا «السلوك الأعوج»، ولكن كل هذه الجهود

والمحاولات ذهبت سدى. ومرت الأيام وانعكست الأحوال وأصبح الأوروبيون يتهمون الأمريكيين بأنهم هم الذين أفسدوا مواطني الدول التي دخلوها، لأنهم يغدقون الإكراميات بغير حساب.

فقد صدرت تعليمات للجنود الأمريكيين بعد الحرب العالمية الثانية في عام 1945م، بمنع تقديم الإكراميات لمواطني الدول التي بقيت فيها القوات الأمريكية. فلجأ الجنود إلى حيلة لتفادي هذه التعليمات، وهي تقديم الهدايا العينية، مثل السجائر والشوكولاتة، خاصة وأن البلاد التي تعرضت للدمار والهزيمة لم يكن فيها ما يمكن شراؤه بالمال. فصدرت تعليمات جديدة في عام 1946م، تمنع الجنود من تقديم الهدايا، لكن اشتراك الجميع في مخالفة التعليمات، حال دون محاسبة أحد.

وفي فرنسا كان بديهياً أن يحصل القضاة على عطايا من الأطراف المتنازعة، وكانت الإكرامية في البداية عبارة عن هدايا قيِّمة من المستعمرات الفرنسية، وأهمها التوابل، ثم أصبحت مبالغ نقدية. ولم يكن القضاة يجدون أي حرج في تقبل هذه الإكراميات، التي من المفترض أنها لم تكن تؤثر على أحكامهم، بل كانوا يعتبرونها تقديراً لجهودهم. لكن الثورة الفرنسية فرضت في قانون العقوبات الصادر في عام 1810م، منع ذلك بصورة صارمة، ورفعت رواتب القضاة وغيرهم من موظفي الدولة.

في كل من ألمانيا وإسبانيا واللغات الإسكندنافية، كانت تسمية الإكرامية مرتبطة بالشرب، فيقال في الألمانية مثلاً (Trinkgeld) أي نقود الشرب. فبعد أن ينتهي العمل، كان العامل ينفق هذه الإكرامية أو على الأقل جزءاً منها فعلاً على من يقدِّم له المشروب. وفي اللغة الإيطالية كان مصطلح «اليد الخيِّرة» مرادفاً للإكرامية.

وشهدت الصين، التي لم تكن تعرف الإكرامية أبداً، إقبال السياح الغربيين ورجال الأعمال في فترة الانفتاح النسبي منذ عام 1977م، وحملوا معهم عادة الإكرامية، فصدرت قوانين تمنع ذلك. ثم عادت الإكرامية تدريجاً من جديد في الثمانينيات والتسعينيات. إلا أن عودة هونج كونج إلى أحضان الصين، في عام 1997م، واختلاط مواطني هونج كونج الذين عاشوا طويلاً في ظل نظام بريطاني، جعلت الإكرامية شيئاً بديهياً، وتفشت هذه الظاهرة، ولم تعد مقتصرة على السياح الغربيين.

وتكرر هذا الأمر في اليابان وأستراليا وغيرها من الدول التي كانت بعيدة كل البعد عن هذا التقليد، ولكن يبدو أن انتشار السياحة الغربية في العالم، نقل معه أنماطاً معيشية وسلوكيات غريبة عن

البلدان المضيفة. وإذا رفضت هذه الدول الانصياع لاحتياجات هؤلاء السياح، فإنهم يرفضون الحضور، أو على الأقل لا يأتون بأعداد هائلة، وكأن الإكراميات لم تعد مقصورة على العمال فقط، بل تتقبلها الدول، التي تفعل من أجل ذلك ما يريد السائحون.

الإكرامية والسياحة

وبغض النظر عن البدايات المحدودة للسياحة في أواسط القرن السابع عشر، التي اقتصرت على الأثرياء، -كما ورد في ملف القافلة في عدد سبتمبر/أكتوبر 2014م-، فإن القرن التاسع عشر شهد توسعاً في هذا النشاط باستخدام القطارات والسفن، وأصبحت هناك حاجة لكثير من الأيادي العاملة، فوجدت النساء خاصة، والشباب غير المؤهلين فرصتهم في دخول سوق العمل. لم يكن أصحاب الفنادق والمطاعم على استعداد لدفع رواتب مجزية لكل هذا العدد الهائل من العمال، فكانت الإكرامية هي الحل. وكان السياح القادمون من دول أخرى على استعداد لدفع الإكراميات، لإظهار مكانتهم الاجتماعية، وحتى يتجنبوا المواقف المحرجة، ولا يبدون كمن لا يفهم آداب اللياقة.

اعتاد العمال على الإكرامية، ولم يعد الأمر يقتصر على النادل في المطعم، والعاملة التي تقوم بترتيب الغرفة، والفتى الذي يحمل الحقائب، وسائق سيارة الأجرة، والمرشد السياحي في المدينة. بل أصبح الكل ينتظر الإكرامية، حتى صاحب المطعم، الذي اكتشف أن النادل يكسب أكثر منه، وصاحب الفندق أيضاً، وموظف الاستقبال، وعامل المصعد، وبوَّاب الفندق، وشرطي الجوازات، علاوة على جموع المتسولين الذين يحيطون بالفندق وأماكن وجود السياح.

بدأ الصراع في أوروبا بين المؤيدين والمعارضين للإكرامية، وصدرت قوانين تمنعها في عديد من العواصم، مثل إيطاليا في عام 1920م، وإسبانيا في عام 1928م، وقررت فنادق في دول أخرى رفع رواتب الموظفين، وإضافة رسوم خدمة على الفاتورة، بهدف إلغاء الإكرامية، وفي المقابل بدأت اتحادات لعمال الفنادق والمطاعم تتكون على مستوى الدول، ثم على مستوى أوروبا، تعارض وقف الإكراميات. وفي عام 1921م شهدت العاصمة الألمانية برلين مظاهرات حاشدة لرافضي وقف الإكرامية، وأخرى لمؤيديها. وظهرت خلافات حادة داخل كل معسكر، إذ كان هناك بين العمال من يؤيد رفع الرواتب، بدلاً من الإكرامية، وآخرون يرفضون تقسيم الإكرامية على الجميع، ويصرون على أن يحتفظ كل نادل أو نادلة بما يأخذه من الزبون، وكان بين ضيوف الفنادق وزبائن المطاعم من يؤيد الإكرامية وآخر من يعارضها.

جرب فندق «شفايتسر هوف» السويسري العريق في مدينة لوزان، منع الإكرامية تماماً، ووضع لافتة في كل غرفة، تحمل عبارة: «يحصل موظفونا على رواتب مجزية، ولذلك فإنه محظور عليهم قبول الإكرامية». وأضاف رسوم خدمة على أجرة الغرفة. فإذا بالنزلاء يصرون على دفع الإكرامية، باعتبار أن من يدفع الآن فهو غير واقع تحت ضغوط التقاليد، بل يفعلها بناءً على رغبته، وزادت الإكراميات عن ذي قبل. وكانت تسعة فنادق سويسرية قد قررت في عام 1877م فصل العامل الذي يقبل الإكرامية. فاعترض النزلاء بشدة، وقالوا إنه ليس من حق الفندق أن يفرض عليهم سلوكاً ما، وكانوا يجبرون العمال على قبول الإكرامية، حتى لو أدى ذلك لفقدان العامل لوظيفته.

في المقابل روى أحد الأثرياء في مطلع القرن العشرين أنه نزل ضيفاً على فندق في موسكو، وحينما هَمَّ بمغادرة الفندق، وجد صاحب الفندق في وداعه، وخلفه عشرين موظفاً وموظفة، كلهم ينتظرون الإكرامية، مع أنه لم يرَ غالبيتهم من قبل. وحينما أبدى رفضه لهذا الاستغلال، بقيت حقائبه في مكانها، ورفض الجميع مساعدته في حملها إلى السيارة التي تنتظره.

وفي أسكتلندا ذهب أحد الأثرياء لممارسة رياضة الصيد، وحظي بخدمة متميزة من مرافقه الأسكتلندي، فوضع في يده مبلغاً من المال كإكرامية. لكن المرافق اعترض على عدم قبوله مثل هذا المبلغ، وطالبه بأضعافه، فرفض الثري ذلك، معتبراً أن الأصل في الإكرامية أنها اختيارية، ومنذ هذه اللحظة لم يجد أي طائر أو حيوان يصطاده، لأن المرافق عمل على تنبيه الحيوانات والطيور، قبل وصولها إلى أعين الضيف.

وقد انتشرت في أوروبا شائعات عن عمال الفنادق، الذين إذا لم يحصلوا على إكرامية سخية، فإنهم يضعون علامة على الحقائب، يعرفها عمال الفنادق في العالم كله، فما يكاد النزلاء يصلون إلى أي فندق في أقصى الأرض، إلا واستقبلهم الموظفون بفتور، وعاملوهم بازدراء، وهم لا يفهمون السر وراء ذلك.

كما انتشرت حكايات عن انتقام نادل المطعم الذي لا يحصل على إكرامية، مثل وضع شيء في الطعام، أو سكب المياه فوق رأس الضيف، أو فضحه على رؤوس الأشهاد، والصراخ فيه أمام كل الحاضرين، الأمر الذي جعل السياح يدفعون بسخاء خوفاً من هذه المواقف.

وفي ميونيخ التي تقام فيها احتفالات أكتوبر التي يحضرها ملايين السياح من داخل ألمانيا وخارجها، كان هناك تقليد متبع، وهو أن يدفع النادل ثمن المشروبات من جيبه الخاص، ثم يحاسب الزبائن، ويحتفظ بالإكرامية لنفسه، ولذلك فإن إحدى رسائل الدكتوراة تناولت الوضع القانوني لذلك، وتوصلت إلى أنه في حالة وفاة النادل قبل تحصيل المبلغ والإكرامية، فإن هذه الأموال تكون من حق الورثة، وإذا احتفظ صاحب المقهى بالإكرامية، فإنه يجعل نفسه تحت طائلة قوانين الاعتداء على الإرث.

الإكرامية والأخلاق

حاول معارضو الإكرامية تصويرها باعتبارها مصدر البلاء والشرور، فهي السبب في إفساد النفوس، بسبب سهولة حصول العاملين في المقاهي والمطاعم على هذه الأموال، فيسهل عليهم إنفاقها دون طول تفكير، ورغبة في الشعور ببعض عزة النفس، وتبادل الأدوار مع ضيوف المطاعم والمقاهي والحانات... ونبهوا إلى أن الإكرامية تثير الجشع في نفوس العمال، فيرفضون الحصول على وقت للراحة، ويبيتون الليالي من أجل جمع أكبر قدر من المال، ولذلك فإن الغالبية العظمى منهم لا تقدر على تأسيس أسرة، وتظل على هذا الحال، حتى يتقدَّم السن بالعامل.. وما دامت الإكرامية ليست جزءاً من الراتب، فإنها لا تفيده في معاشه.

بين الإكرامية والرشوة

تجدر الإشارة إلى أن مسألة العلاقة بين الإكرامية والرشوة مطروحة منذ العصور الوسطى. فقد كان السجناء يقدِّمون هدايا مالية لحرَّاس السجن، حتى يخفِّفوا من تعذيبهم، وحتى يجعلوا إعدامهم أقل ألماً، وأسرع تنفيذاً، فهل يمكن اعتبار هذه المبالغ إكرامية أم رشوة؟ الغالب أنها رشوة، لأن الأصل أن يقوم الموظف بعمله على أكمل وجه، انطلاقاً من التزامه أخلاق العمل وأنظمته، وألاَّ يفرق في المعاملة بين الأشخاص، بسبب ما يحصل عليه من مبالغ، مهما كان اسمها.

وما زال هذا الخلط أيضاً قائماً حتى عصرنا الحديث. وتقارير محاربة الفساد حول العالم خير دليل على ذلك، ففي حين يجاهر بعض موظفي الدول بطلب مبالغ مالية، صغيرة كانت أو كبيرة، قبل البدء في أي إجراء، حتى ولو كان من صميم عملهم، فإن موظفين آخرين، لا يجاهرون بذلك بل يعقِّدون الأمور حتى يفهم أغبى الناس، أن الطريق الوحيد لتسيير المعاملة هو تقديم «الإكرامية»، التي ليست سوى رشوة واضحة وضوح الشمس.

وفي دول كثيرة تنص القوانين صراحة على أن أي «هدية» لموظف دولة، تزيد قيمتها عن مبلغ ضئيل

للغاية -يبلغ في ألمانيا مثلاً 10 يورو-، تمثل رشوة يعاقب عليها القانون بصرامة، ويكفي أن الرئيس الألماني السابق كرستيان فولف فقد منصبه بسبب اتهامات بحصوله على هذا النوع من الإكراميات، مثل موافقة شركة الطيران على ترقية تذاكر أسرته من الدرجة السياحية إلى درجة رجال الأعمال، أثناء قيامه برحلة خاصة، أو لأن صديقاً له دعاه على نفقته الخاصة للمشاركة في احتفال في مدينة ميونخ، وهي اتهامات بمبالغ محدودة للغاية، ورغم أن القضاء أثبت براءته منها جميعاً، فإنه كان قد تعرَّض للضغوط الشعبية التي اضطرته للاستقالة، لأنه لم يعد قدوة حسنة لشعبه، حتى ولو لم يكافئ من قدَّم له هذه الإكراميات -المزعومة- بأي مقابل من أموال الدولة.

وفي حين كانت قوانين بعض الدول الأوروبية تسمح في الماضي بدفع «إكراميات» للمسؤولين الحكوميين في دول العالم الثالث، للحصول على صفقات ضخمة من الشركات الأوروبية، فإن اعتراض المواطنين الغربيين من دافعي الضرائب على ازدواجية المعايير في التعامل مع المبادئ الأخلاقية، اضطرت هذه الدول لتعديل هذه القوانين، واعتبرت أن هذه «الإكراميات» رشاوى، لا يجوز دفعها، حتى ولو تسبب ذلك في فقدان الصفقات التجارية، التي تضمن الحفاظ على أماكن العمل في مصانعها.

ولعل أهم معلم للرشوة أنها تجعل من يدفعها يحصل على ما لا يستحق، مثل أن يؤدي دفعها لحصوله على صفقة، رغم أن عرضه لم يكن أفضل العروض، أو حتى أن يجري تقديمه على غيره في أمور يومية، مثل الدخول إلى الطبيب قبل من سبقه في الحضور. كما أن الرشوة غالباً ما يدفعها الشخص قبل حصوله على الخدمة، على عكس الإكرامية التي يحصل عليها الشخص بعد الانتهاء من العمل، ولعل من أسباب الخلط بين الرشوة والإكرامية أنهما تبدوان كما لو كانتا نابعتين من الشخص الذي يقدِّمهما، أي إنه يفعل ذلك طواعية -على الأقل ظاهرياً.

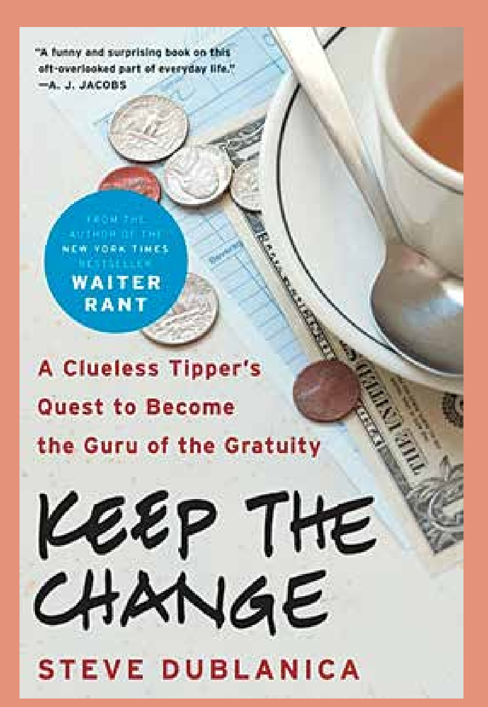
ولعل أسهل الطرق للتفريق بين الرشوة والإكرامية، هي أن حصول أي موظف حكومي على أي هدية، يُعد رشوة. وأي مال يقدَّم إلى عامل لا علاقة له بالدوائر الحكومية على الإطلاق، مقابل قيامه بخدمة ممتازة تفوق المعتاد، فإنها إكرامية، بشرط ألا تكون بناءً على طلبه، وألا تجعله مستعداً لأن يتخلى عن عزة نفسه أو كرامته، مثل أن ينحني أو يقبِّل اليد، أو أي سلوك يحط من قيمته كإنسان، وهو الأمر الذي لا يجوز أن يشجعه الضيف أو النزيل، بأن يدفع مكافأة على ذلك الانهيار الأخلاقي.

الإكرامية بعيداً عن المادية

يطالب فريق من مؤيدي الإكرامية بعدم التركيز على البُعد المادي. ويقولون إن من يقدِّم إكرامية إنما يقول لمن يخدمه، إنه يعتبره شخصاً مهماً، ويقدِّر عمله ويحترمه، ولذلك يريد أن يكافئه. فالمال هنا تعبير معنوي وليس مادياً. وليست القضية، يداً عليا ويداً سفلى، بل يد تمتد ليد أخرى، وليس الهدف منها إراقة ماء وجه الآخر، بل إقامة علاقة مع طرف آخر.

أما فينفريد شبايتكامب أستاذ التاريخ الحديث بجامعة جيسن الألمانية، فيشدد على أن ما يحدث في الإكرامية هو تبادل العطاء، وليس تبادل المكانة، أي لا ينزل الضيف عن السلوك المقبول، فيطلب من العامل أن يجلس معه على الطاولة، وبالمقابل لا يتجرأ العامل، ويسأل الضيف عما لا يعنيه. بل إن العامل لا يحق له من الأساس أن يطرح أسئلة، بل يقتصر دوره على الرد على أسئلة الضيف، ثم ينصرف بهدوء، ليترك للضيف المجال ليستمتع بجلسته. كما لا يجوز للنادل أن يجلس إلى الطاولة المجاورة للضيف، بعد انتهاء وقت عمله، لأن ذلك يؤدي إلى صعوبة التعامل بينهما مستقبلاً.

ويشير بعض الكتَّاب النمساويين إلى أن المقهى في فيينا ليس مكاناً يجتمع فيه زبائن وعمال، بل هو بيت يقضون فيه جميعاً جزءاً كبيراً من حياتهم كل ليلة، يتقاسمون الوقت، ويقوم كل طرف بدوره. فكأن المقهى مرآة للمجتمع، إذا كان طبقياً ظهرت هذه الطبقية في سلوك الضيوف مع العمال. وإذا



كتاب لستيف دوبلانكا عن البقشيش

كان المجتمع في حالة صلح مع الذات، ظهر ذلك في التعامل بينهم، وأن سلوك الشخص الذي يقدِّم الإكرامية، يكشف كثيراً من رؤيته لنفسه، وللمجتمع من حوله، وأن الإكرامية لا تصبح مشكلة، إلا إذا كان المجتمع يعاني من أزمة، مثل خوف الأمريكان البيض من منازعتهم السود على مكانتهم، بعد انتهاء عصر العبودية.

وختاماً: من حقنا أن نمارس الرفاهية الفكرية أو تتفلسف حول الإكرامية، وأن نبحث مختلف الجوانب والحجج، والآراء المؤيدة والمعارضة، لكن النتيجة الحتمية هي الانصياع في النهاية لهذا التقليد. ليس بسبب الخوف من سوء سلوك العمال، بل لأن الإنسان لا يحب أن يكون شاذاً عن المجتمع، ولا متجاهلاً لأعرافه. ولذلك، فإنه يجد أن الإكرامية مهما كانت تمثل من خسارة مادية، فإن العواقب المترتبة على تجاهل الأعراف أشد خسارة، لذلك تأكد أنك ستظل تستخدم عبارة (الباقي لك!).



قبل ثلاثة عقود من الزمن، بدأت في الدول المتقدمة محاولات البحث عن سبل ترفع العمل الزراعي إلى مستوى يؤهله إلى التغلب على التحديات التي يواجهها ومخاطر تعاظمها مستقبلاً. فكانت «المزارع المدعومة من المجتمع» التي ظهرت أولاً في اليابان وألمانيا وسويسرا، وتفشَّت لاحقاً في بلدان عديدة. ويبدو أن هذا النمط الزراعي الجديد يتضمَّن حلولاً لقضايا تتجاوز إلى حد بعيد قضية كمية الإنتاج المقلقة بحد ذاتها.

المزارع المدعومة من المجتمع



تقول منظمة الزراعة والأغذية الدولية (الفاو) إن على القطاع الزراعي في العالم أن يضاعف إنتاجه الغذائي في 2050م، لتلبية احتياجات أعداد السكان المتزايدة. ومع محدودية موارد الأراضي الزراعية، ومع التغييرات المناخيّة الحاصلة وارتفاع حرارة الأرض وازدياد تكاليف الزراعات المختلفة، أصبح الاستثمار الزراعي يواجه صعوبات كبيرة. ولهذه الأسباب تحوّل المزارعون الصغار، الذين يشكِّلون ثلثي فقراء العالم، إلى أشخاص منهكين بالديون يواجهون تحديات استثمارية كبيرة. وهذا ما دفع عديداً منهم إلى ترك أراضيهم الريفية، من أجل البحث عن أعمال أخرى في المدن. وبالتالي، أصبح نصف سكان العالم الآن يعيشون في المدن، وبحلول 2049م من المتوقع أن تزداد هذه النسبة إلى 65%، وهي النسبة التي كانت تمثل سكان الأرياف في عام 1961م. وبذلك أصبحت الزراعة أكثر بعداً عن حياة الإنسان المعاصر وصارت هناك صعوبة في إمداد الناس بالغذاء الصحي المزروع في ظروف بيئية سليمة.

وبما أن وجودنا معتمد على الزراعة من أجل البقاء، لجأ عديد من الدول في العالم إلى سياسات مختلفة تساعد على دعم الزراعة، سواء من خلال المنح المادية أو القروض أو المساعدة في تحمل التكاليف الزراعية. هذا على صعيد الدول، ولكن على الصعيدين الفردي والمجتمعي ظهرت هناك حركة اجتماعية حديثة أدركت أنه لا يمكن توكيل مهمة الإنتاج الغذائي إلى المزارعين وحدهم الذين أصبحوا يشكِّلون نسبة متضائلة من عدد السكان. لذلك أبدى عديد من الأشخاص في بلدان العالم المتقدِّم الاستعداد لمشاركة المسؤولية مع المزارعين، ومن هنا نشأت فكرة المزارع المدعومة من المجتمع.

كانت بداية المزارع المدعومة من المجتمع في ألمانيا وسويسرا في ثمانينيات القرن الماضي، متأثرة بالأفكار التي أطلقها الفيلسوف النمساوي، رودولف شتاينر، حول الزراعة الحيوية أو العضوية. وفي اليابان انطلقت فكرة مزارع الـ «سيكيو» أو المزارع المدعومة من المجتمع في عام 1965م من قِبل مجموعة من الأمهات بسبب قلقهن من زيادة الأطعمة الغذائية المستوردة وخسارة الأراضي الزراعية وحرصهن على سلامة الغذاء.

لماذا المزارع المدعومة من المجتمع؟

أهم مساعدة تقدِّمها هذه المزارع للقطاع الزراعي، تكمن في نقطتين أساسيتين: أولاً، هي تعتمد في الأساس على الزراعة الحيوية أو العضوية، وثانياً، هي مزارع تشكِّل منظومة كاملة متكاملة مشتركة ما بين المزارعين والمستهلكين، تؤمن مصالح الجهتين في آن واحد. ومما لا شك فيه أن المزارع المدعومة من المجتمع التي تعتمد في الأساس على الزراعة العضوية، تلائم الشروط التي حددتها وزارة الصحة الأمريكية فيما يتعلق بهذه الزراعة لكونها «تحافظ على الموارد الطبيعية وتدعم المجتمع وتتميز بالقدرة على المنافسة التجارية وتضمن منتجات سليمة من الناحية الغذائية».

ويرتكز مفهوم هذه المزارع، التي عادة ما تكون لإنتاج الخضار والفاكهة والبيض ومنتجات الألبان واللحوم وحتى العسل، وقد تتضمن الأزهار والشتول التي تستخدم كزينة للمنازل، على إيجاد مجموعة من المستهلكين في مجتمع معين على استعداد لتمويل الاستثمار الزراعي في مساحة زراعية معينة، لموسم واحد على الأقل، للحصول على منتجات زراعية عالية الجودة. وبالتالي فهي، كبنية، تعتمد على ثلاث ميِّزات أساسية وهي: التشديد على المجتمع والإنتاج المحلي، الحصص والاشتراكات التي تباع في وقت

ظهرت هناك حركة اجتماعية حديثة أدركت أنه لا يمكن أن توكل مهمة الإنتاج الغذائي الى المزارعين وحدهم الذين أصبحوا يشكِّلون نسبة متضائلة من عدد السكان..

يسبق الإنتاج، وتسليم البضائع للمشتركين أسبوعياً. وعلى الرغم من أن الزراعة المدعومة من المجتمع قد تطوّرت مع الزمن وأصبحت هناك اختلافات بين مزرعة وأخرى إلا أنّ هذه المميزات الثلاث بقيت ثابتة.

وفي تفاصيل طريقة عملها، يتم في البداية اختيار مجموعة من المزارعين للعمل في قطعة أرض معينة قابلة للاستثمار، أو حتى إن أفراد المجتمع أنفسهم يشاركون المزارعين في أعمالهم الزراعية. وهكذا تُبنى علاقة وثيقة بين المستهلكين والمنتجين وتتغير هذه العلاقة حسب الطريقة التي تتبع في إدارة هذه المزارع. وهناك ثلاثة أشكال رئيسة من الإدارة:

1 -مزارع بإدارة المنتسبين أو المساهمين، حيث يؤسس السكان المحليون المزرعة ويوظِّفون عدداً من المزارعين للاهتمام بها، فيما توكل للمساهمين وحدهم معظم الأمور الإدارية.

2 - مزارع بإدارة المزارعين وحدهم حيث يؤسس المزارعون المزرعة ومن ثم يبحثون عن المساهمين المحتملين.

3 - مزارع بإدارة جمعية تعاونية من المزارعين والمستهلكين حيث تؤسَّس المزرعة من قبل مجموعة من المزارعين والمساهمين معاً وتهتم لجنة من بينهم بشؤون إدارتها.

مزيد من التعاون الاجتماعي وتلبية احتياجات مختلفة

تُنمِّي الزراعة المدعومة من المجتمع في كل أشكالها الإحساس بالتعاون والتراصف المجتمعي، حيث تستبدل بالنظام الزراعي التقليدي شبكة من العلاقات الإنسانية تشارك المسؤوليات، وتتقاسم الأعباء، وتتحمل المخاطر معاً. وفي كثير من الأحيان تُنظم رحلات جماعية لزيارة المزارع لتذوق المحاصيل والترفيه مما يُقرِّب الأشخاص من الأرض من حيث اطلاعهم على الأساليب الزراعية المتبعة ودورة الطبيعة، ويولّد ذلك لديهم الشعور بمسؤولية أكبر تجاه الأرض وتجاه العملية الزراعية بمجملها.

ويسمح هذا النمط من العمل الزراعي للمستهلكين بالإشراف عن قرب على نوعية المحاصيل التي يستهلكونها، وما إذا كانت عضوية أم لا، وما إذا كانت محسَّنة جينياً أم لا. وإضافة إلى ذلك، فإن الزراعة المدعومة من المجتمع تمثل نوعاً جديداً من الاقتصاد يعبِّر عن ميل المستهلكين للاعتماد على الأسواق المحلية. يقول نيكول نيزلرود، منسق البرامج في مركز «فولتون» للعيش المستدام: «لا شك في أن هناك ميلاً عاماً لدعم الإنتاج المحلي، وينطبق هذا الميل على المزارع المدعومة من المجتمع بشكل كبير، حيث وجد أفراد المجتمع طرقاً تقرّبهم وتوحِّدهم من أجل جعل تلك المزارع أكثر فاعلية». ومن الفوائد الإضافية لهذه المزارع، أنها تضمن للمزارعين مدخولاً مادياً منتظماً، لا يتأثر بالتغييرات المناخية ولا بالمشكلات المختلفة مثل الأمراض والحشرات وغيرها. ويسمح ذلك للمزارعين بالتركيز على المسائل الزراعية والتخطيط لها بطريقة صحيحة. كما أن المزارع المدعومة من المجتمع تساعد المزارعين على تخفيض النفقات، إذ يستطيعون البيع مباشرة إلى المستهلك دون وسيط، بالإضافة إلى أنهم ليسوا بحاجة إلى تكبد نفقات النقل الملحوظة وتخزينها لأوقات طويلة.

سلبياتها هي بعض ما تواجهه الزراعة التقليدية

أما من حيث سلبيات هذه الزراعة فقد تحدث ظروف استثنائية غير متوقعة، مثل ظروف مناخية قاسية، أو انتشار مرض يفتك بالمحاصيل مما يوقع خسائر في المساهمات المالية للمستهلكين. ولكن ذلك يبقى وارداً وبشكل أقسى في الزراعة التقليدية. كما أنه عند الانتساب في المزارع المدعومة من المجتمع يحصل المشترك على سلة أسبوعية من الخضار والفاكهة والبيض واللحوم وغيرها، بشكل منتظم ، وقد لا يجد الاستخدامات الملائمة لها في الوقت المناسب، مما يؤدي إلى إهدار البعض منها. هذا بالاضافة إلى أنه في حالات السفر والغياب عن المنزل يجب الالتزام باستلام الكميات المخصصة للشخص المنتسب.

ولكن على الرغم من هذه السلبيات ازدادت أعداد هذه المزارع في بلدان عديدة من العالم. إن كان في أمريكا أو في أوروبا حيث انتقلت أعداد هذه المزارع من بضعة عشرات في ثمانينيات القرن الماضي إلى الآلاف في الوقت الحالي. ولكن انتشارها بشكل واسع لا يزال مرهوناً بأفكار المشاركين فيها ومشاعرهم وإرادتهم. ومما لا شك فيه أنّه ليس هناك أي نقص في المهارات التقنية أو المعرفة المتخصصة المطلوبة لدعم مثل هذه المزارع المجتمعية. إذ إنّ تأسيسها أقل تعقيداً من إنشاء أي مؤسسة تجارية. كما أنّ إنشاء رابطة تعاونية بين المستهلكين والمزارعين من أجل الحصول على الاحتياجات الغذائية على مدار السنة ليس أصعب من إدارة أي شركة توزيع عادية.

> **من سلبيات هذه الزراعة: قد تحدث ظروف استثنائية غير متوقعة، مثل ظروف مناخية قاسية، أو انتشار مرض يفتك بالمحاصيل..**

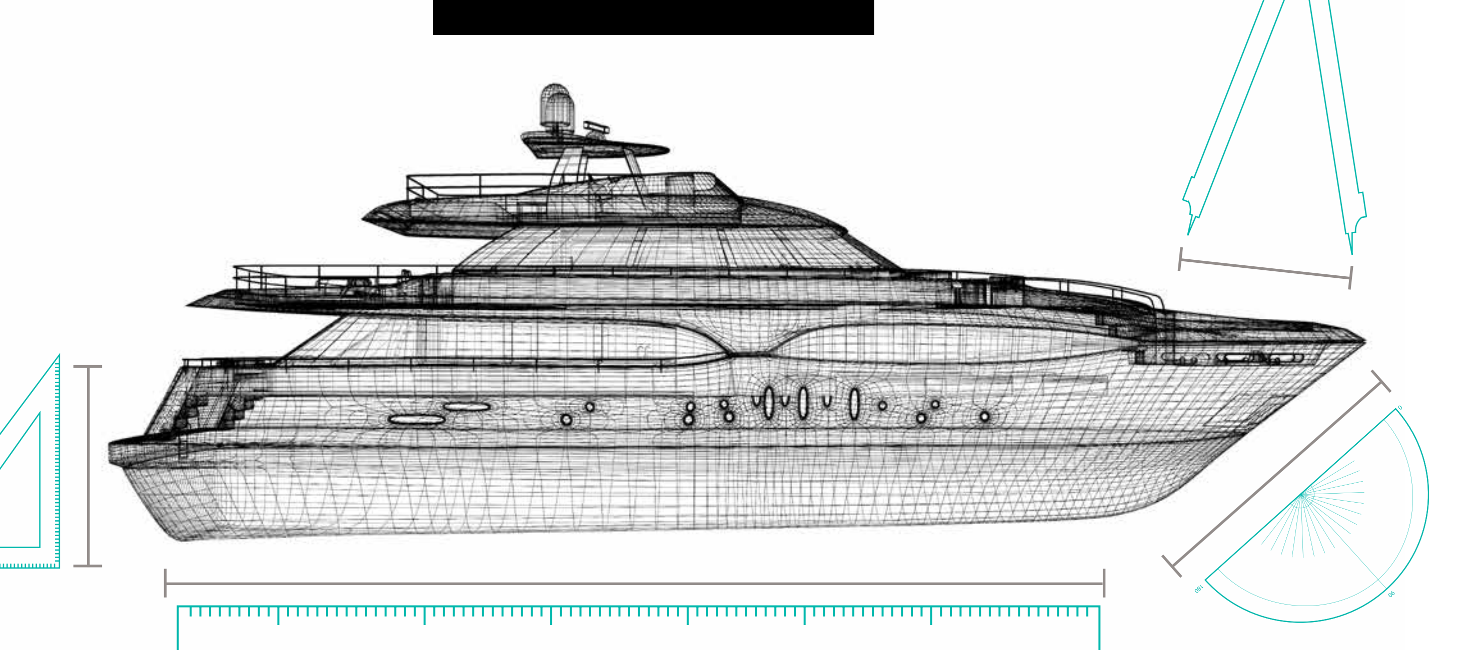
ويبقى العائق الوحيد أمام هذا النوع من الزراعة الحديثة، حيث هناك توازن بين المصلحة الذاتية والمصالح المجتمعية وحيث لا يتم استغلال الموارد الطبيعية والبشرية بطريقة سيئة وحيث يغلب الإحساس بالروابط الاجتماعية حتى في القضايا الاقتصادية، في التخلي عن أساليب التفكير والسلوكيات القديمة فيما يتعلق بإنتاج المواد الغذائية وتوزيعها واستهلاكها. والتخلي عن الأساليب القديمة ليس بالأمر السهل، ولكنه ضروري لإيجاد أشكال اجتماعية واقتصادية وزراعية جديدة تلائم متطلبات العصر.





تخصص جديد

التكنولوجيا البحرية





يهتم المتخصصون بالتكنولوجيا البحرية بتصميم كلّ ما يعمل على سطح البحار أو في عمقها. ويعتمد هذا التخصص على مبادئ الرياضيات والعلوم والهندسة لحلّ كلّ المشكلات التقنية، ولابتكار تصاميم تتراوح بين أنظمة التحكم الآلي الحساسة وبين منصات إنتاج النفط واليخوت الفاخرة عالية السرعة وسفن الدوريات البحرية بالإضافة إلى السفن التي تُستخدم في أعماق البحار، سواء أكانت مأهولة أو تعمل بجهاز التحكم عن بُعد. ويمكن للطلاب المهتمين بهذا التخصص الاختيار بين الفروع التالية: هيدروميكانيكا السفن، وبناء هياكل السفن وإنتاجها، وتصميم المنشآت البحرية، والنظم البحرية المختلفة.

تزدهر التكنولوجيا البحرية في العالم أجمع، ولكن هناك نقص حاد في المهارات من هذا النوع مما أدى إلى وجود عديد من الوظائف العالية الأجر المتوافرة للمتخصصين في الصناعة البحرية ذوي الخبرات العالية. وتقدِّم معظم الجامعات التي توفر تخصص التكنولوجيا البحرية، بالإضافة إلى المقررات المطلوبة، الوصول إلى سفينة مخصصة للأبحاث والتجارب البحرية. كما تشرك الطلاب في ورشات عمل عديدة، وتوفر كل المعدّات التي تتطلبها البحوث الهندسية. وهناك رابط بين اهتمامات الطلاب والتخصصات البحثية للهيئة التعليمية وذلك في مراحل الدراسة المتقدمة. وفي المراحل اللاحقة، أيضاً، تدخل جميع الأبحاث مباشرة في برامج التعليم لضمان أن تكون تلك البرامج شاملة لأحدث القضايا التي تؤثر على الصناعة البحرية.

لمزيد من المعلومات:
http://www.ncl.ac.uk/marine/study/undergraduate/marinetechnology/index.htm

في تونس العاصمة، وتحديداً في المنطقة المعروفة باسم «نهج تربة الباي» لا يزال البيت الذي ولد ونشأ فيه ابن خلدون، قائماً، وكذلك الكُتَّاب القريب منه، حيث كانت بداية عهده بالعلم.

استطلاع وتصوير:
حياة الرايس




في بيت ابن خلدون

منطقة استقرار الجالية الأندلسية



على الطريق من ضاحية «باردو» إلى ساحة القصبة بالمدينة العتيقة لاكتشاف البيت الذي وُلد فيه ابن خلدون يتذكر المرء «طريق الحريم»، ذلك الطريق الذي بناه السلطان أبو زكريا الحفصي أشهر ملوك الحفصيين في القرن السادس عشر الميلادي ما بين قصر حكمه في القصبة وقصر حريمه في باردو، وقيل إنه جعل الطريق كله مغطى لكيلا يرى أحد حريمه يمرون بها... ترى، أيصدق ذلك صاحب كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»، أم أنه سيرده إلى المخيّلة الشعبية ككثير من الأخبار التي لم نجد لها أثراً مادياً.





الفناء الداخلي في البيت (فوق)،
ولوحة تذكارية عند مدخله (أسفل)



جانب آخر من الفناء الداخلي

عندما تصل إلى ساحة القصبة التي تسمَّى ساحة الحكومة الآن، والحقيقة أنها كانت دائماً ساحة حكومية منذ أن اتخذها السلطان أبو زكريا الحفصي مقراً لحكمه وبنى بها قصره الشهير الذي أصبح قصر الحكومة الحالية، أي مقر الوزارة الأولى ومقر رئيس الوزراء، توقف سيارتك أمام مستشفى «عزيزة عثمانة» الأميرة العثمانية التي أوقفته على معالجة الفقراء والمحتاجين، لأنك ستدخل أزقة ومنعطفات لا تدخلها السيارة.

تعرّج على «شارع باب منارة» تريد ساحة «تربة الباي» عبر قوس «باب الجديد» أحد أبواب تونس العتيقة، عندما كانت المدينة تُغلق في الليل عبر بوّاباتها، لتأمين سكانها ضد الغرباء وقطاع الطريق.

إلى هذه المدينة الآمنة في عهد الدولة الحفصية لجأت عائلة ابن خلدون من الأندلس منتصف القرن السابع الهجري مع عديد العائلات الأندلسية بعد «حروب الاسترداد» من طليطلة وبلنسية وقرطبة وإشبيلية التي نزحت منها عائلة ابن خلدون.

وقبل أن تصل إلى الدار، وفي النهج الموازي لنهج تربة الباي، تلمح لوحة معلَّقة عند أول الشارع كُتب عليها «نهج الأندلسيين» كدليل على أن الحي كله كان منطقة استقرار الجالية الأندلسية التي التجأت إلى تونس في العهد الحفصي من سنة 1248 إلى 1574م عند مجيء العثمانيين كما يذكر المؤرخون وكما أسلفنا.

من العائلات التي استقرت في هذه المنطقة عائلة ابن الأبّار صاحب كتاب «الحلّة السيراء» وابن عصفور النحوي المعروف وعائلة ابن خلدون، وهي عائلات تمثل أرستقراطية الأندلس علمياً ومعرفياً ومادياً. صاروا يسمَّون بالموريسكيين، وهم آخر الأندلسيين الذين طردهم فيليب الثالث، الملك القوطي.

في وصف الدار

تصل «نهج تربة الباي»، تبحث عن الرقم 33 الذي به الدار، وتربة الباي هي مدفن كل ملوك الدولة الحسينية وأمرائها وأميراتها وعدد من الوزراء في العهد العثماني من سنة 1705 حتى 1956م تاريخ إعلان الاستقلال، بشهادة المؤرخ عثمان الكعاك.

«نهج تربة الباي»! هذا الاسم ذو وقع خاص على الذهن، لما يحمله من رموز تاريخية تبتدئ بمقبرة، وتنتهي بدار خلَّدها التاريخ إكراماً لصاحبها العلامة ابن خلدون الذي أعطاها مجدها وسموّها وعلو شأنها بين الديار. وتزداد اقتناعاً أنه وحده الفكر والحرف والأدب والفن هو الذي يعطينا سموّنا ويرفعنا درجات فوق باقي البشر.

تقف أمام الرقم 33 الذي سبق أن صادفناه في الكتب والمراجع التاريخية.

ما زال البيت الذي شُيّد في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر ميلادي) قائماً، متماسكاً: دار عتيقة تتكون من طابقين. تمتاز بطابعها العربي الإسلامي والأندلسي كبقية الديار العتيقة المجاورة لها من ناحية البناء والزخرفة. تفتح وجهتها على الشرق، بابها الخارجي مستطيل عالٍ ذو دفتين بحلقتين كبيرتين. مجدّد على الطراز الأندلسي، خلافاً للباب الأصلي الذي كان يتكون من ضلفة واحدة. يحيط به إطار رخامي منقوش يحُول بينه وبين الجدران الحجرية الخارجية السميكة لحجب الدار عن الفضاء الخارجي ككل الدور العربية.

دخلنا السقيفة الأولى عبر عتبة رخامية. وجدنا على يسارنا باباً فتحناه، فإذا خلفه دَرج طويل مزخرف الجدران يؤدي إلى الطابق العلوي والباب الثاني يحيل إلى سقيفة ثانية ثمّ ثالثة. قطعنا ثلاث سقائف مربعة الشكل رخامية الأرضية متعرجات متداخلات لنصل إلى وسط الدار. والسقائف في البيوت التقليدية يمكن أن تصل إلى سبع سقائف وذلك لعزل الفناء عن النظرات الفضولية والضوضاء وكل أنواع الإزعاج القادمة من الشارع... وللمباعدة والفصل بين الفضاء العام والفضاء الخاص، خاصة بالنسبة للنساء، على الطريقة العربية الإسلامية.

وككل البيوت العربية التقليدية نكتشف بعد عبور هذا الممر فناءً كبيراً يسمى صحن الدار، وهو فضاء مربع مكشوف، حيطانه مكسوة بالخزف المزخرف على شكل لوحات حائطية تفصل بين أبواب الغرف الثماني الخشبية الخضراء وشبابيكها الستّة التي تفتح كلها على الداخل أي على الصحن وذلك للتهوية والإضاءة.

وفي الصحن أروقة تزيّنها أقواس ترفعها أعمدة رخامية تصل الطابق الأول بالثاني. وقد كان الرخام الأبيض المستورد من إيطاليا مهيمناً على مستوى أرضية الفناء والأعمدة والتيجان وأطر الأبواب والنوافذ. وفي الصحن أيضاً «ماجل» لتجميع مياه المطر مزخرف بالرخام الأبيض الناصع مغطى بشجرة مورقة.

وفي الصحن تقام الاحتفالات والأعراس أيضاً وهو مجال المرأة المفضل ولا مجال لها سواه. ترى جيرانها من السطوح فقط.

تقف بالصحن تتأمل الغرف الأربع (التي تحوّلت إلى مكاتب للموظفين) تُرى في أيّ غرفة صرخ الرضيع عبدالرحمن بن خلدون صرخته الأولى؟ من كان يعلم أنها ستدوي في الأفق كل هذا الدويّ العلمي المعرفي وأنه سيصبح المؤسس الأول لعلم العمران البشري؟

تتكون دار ابن خلدون من طابقين سفلي وعلوي، مع غرفة في السطح تسمى كشكاً، وتلك لسهرات الصيف حيث الهواء والنسمة حفاظاً على حميمية العائلة.

ما يحزن في هذه الزيارة أن البيت لم يكن مفتوحاً للزوار على الرغم من أنه يُصنَّف معلماً تاريخياً لدى منظمة اليونسكو والمعهد الوطني للتراث. ذلك أن المعهد يتخذه مقراً لحفظ أرشيفه ومقراً للخريطة الوطنية للمعالم والمواقع.

الكُتّاب الذي درس فيه ابن خلدون

على بعد نحو 50 متراً من دار ابن خلدون وفي «نهج تربة الباي» نفسه يوجد الكتّاب الذي تعلّم فيه ابن خلدون القرآن الكريم، وهو مسجد يوحي شكل بنائه أنه يرجع إلى القرن الخامس الهجري بمقارنته مع عديد المباني هناك: الطراز العربي الإسلامي نفسه الذي يستعمل الحجارة المنحوتة، المصقولة خاصة في القباب والحيطان والواجهات، والقباب التي تعتمد على«رقبة» والرقبة هي الواسطة بين القبة والمربع الذي ترتكز عليه ويمثل قاعدتها، وقبة هذا الكتّاب نصف كروية تعتمد على رقبة مثمنة الشكل حسب البناء العربي الإسلامي.



ويحتوي هذا الكتّاب / المسجد على مدخل هو بيت الصلاة ويسمى الآن «مسيجد القبة» تصغيراً لكلمة مسجد، ومدخله قوس يرتكز على عمودين من الرخام مزخرفين بتاجين. والواجهة كلها مصنوعة من الحجارة المصقولة. محرابه يُعدّ من أقدم المحاريب الموجودة بالبلاد التونسية مصنوع من الجصّ المزخرف ما زالت بعض آثاره باقية. وتحيط بهذا الكتّاب جوامع صغيرة وكتاتيب عديدة والحي كله يحتوي على العديد من الزوايا، وبه دور ممتازة وحمامات عربية وكان يُعد من أرقى الأحياء في المدينة.

إلى هذا الكُتّاب كان يأتي عبدالرحمن بن خلدون في طفولته ليدرس في هذا المسجد . وكان أبوه قبل ذلك هو معلمه الأول. والأكيد أن أسرة ابن خلدون أسرة علم وأدب، شغل أجداده في الأندلس وتونس مناصب سياسية ودينية مهمة، فقد حفظ القرآن الكريم في طفولته. ثمّ تعلم ودرس في جامع الزيتونة المعمور، منارة العلوم بالعالم الإسلامي آنذاك، القريب من منزله أيضاً بتربة الباي بالعاصمة، حيث نشأ وترعرع. ودرس اللغة العربية والنحو والصرف والتلاوة والفقه، ومن أساتذته الفقيه الزيتوني الإمام الشهير ابن عرفة.

ولما احتل السلطان أبو الحسن المريني أواسط القرن الثالث عشر تونس قادماً من مدينة فاس بالمغرب، جلب معه نخبة من العلماء، الذين انبهر بهم ابن خلدون وأتم معهم علومه العقلية في المنطق والفلسفة وغير ذلك.

في هذه البيئة العتيقة من مدينة تونس العاصمة شبَّ ابن خلدون وعاش حتى بلغ سن العشرين من عمره، حينئذ شدّ رحاله إلى مدينة فاس المغربية طلباً للعلم والدراسة.

(أعلى) المسجد الذي قصده ابن خلدون للعلم..
(أسفل) الدرج المؤدي إلى الدور العلوي



عبد الرحمن بن خلدون
مؤسس علمي الاجتماع وفلسفة التاريخ

على الرغم من أن عبدالرحمن ابن خلدون وضع في التاريخ، في «كتاب العبر» أهم المصادر التي يُعتمَد عليها في معرفة دقائق تاريخ العرب والبربر في العصور الوسطى، في المغرب العربي والأندلس، إلا أن أعظم ما كتبه، ليس في رواية التاريخ، بل ما وضعه في «فلسفة التاريخ»، في مقدمته التي لم يُجارِها كتاب آخر في تأسيس علم الاجتماع البشري، وفي إنشاء ما صار يُعرف فيما بعد بعلم «فلسفة التاريخ». والفارق معروف، فالمؤرخ يروي بما توافر له من مصادر ومراجع وتحليل منطقي، ما حدث في بلاد ما، في زمن ما. أما فيلسوف التاريخ، فيقدّم لنا نظرية تفسير علمي للعوامل والأسباب التي تحرّك التاريخ، ولا يكتفي برواية الوقائع.

لقد فسّر ابن خلدون في «المقدمة» الخالدة، وهي مقدمة كتاب العبر، أسباب نهوض الدول واندثارها، وعُرفت نظريته، بنظريّة «العصبية». فالدول تقوم على عصبية معينة، وتتفكك بتفكك هذه العصبية وتفسّخها وخمولها. وفي «المقدمة» يتحدث ابن خلدون ويؤصل لآرائه في الجغرافيا والعمران والفلك وأحوال البشر وطباعهم والمؤثرات التي تميّز بعضهم عن الآخر.

ومن فلاسفة التاريخ الذين جاؤوا بعد ابن خلدون وبنوا على ما أسسه، واشتهروا بنظرياتهم في كل أنحاء العالم، الفيلسوف الألماني فريدريش هيغل، صاحب التفسير المثالي للتاريخ، ثم كارل ماركس، صاحب التفسير المادي للتاريخ، وفي القرن العشرين، الفيلسوف البريطاني أرنولد توينبي، صاحب نظرية التحدي والاستجابة. وممن يجب أن يُذكروا في هذا المجال، الكاتب الإيطالي الشهير نيكولو ماكيافيللي، صاحب كتاب «الأمير»، الذي حاول فيه أن يعلّم الأمير علم السياسة، في كتاب يذكّر شكلا بتبويب «مقدمة ابن خلدون»، وإن كان لا يقاربها في عمق التحليل والتفسير. وقد انتُقد كتاب ماكيافيللي هذا بشدة في العالم، بسبب نظريته التي تختصرها العبارة الشهيرة: الغاية تبرر الوسيلة.

اعتزل ابن خلدون الحياة السياسية بعد تجارب حافلة بالصراع والحزن على وفاة أبويه وكثير من شيوخه إثر وباء الطاعون الذي انتشر في جميع أنحاء العالم سنة 749هـ (1348م)، وغرق زوجته وأولاده في سفرهم من تونس إلى مصر بالسفينة، بعدما استدعاهم للانضمام إليه في القاهرة.

وتفرغ سنوات في مصر، في البحث والتنقيب في العلوم الإنسانية معتزلاً الناس في سنوات عمره الأخيرة، ليكتب سفره المجيد «المقدمة» مؤسساً لعلمي الاجتماع وفلسفة التاريخ، بناءً على الاستنتاج والتحليل في قصص التاريخ وحياة الإنسان. واستطاع بتلك التجربة القاسية أن يمتلك صرامة موضوعية في البحث والتفكير، وعمقاً في التحليل قلّما شهدت البشرية مثيلاً له.

ومما قاله مفكرون غربيّون بارزون في ابن خلدون:

- ابتكر ابن خلدون وصاغ فلسفة للتاريخ هي دون شك أعظم ما توصل إليه الفكر البشري في مختلف العصور والأمم (أرنولد توينبي).
- إن مؤلَّف ابن خلدون هو أحد أهم المؤلَّفات التي أنجزها الفكر الإنساني (جورج مارسيز).
- إن مؤلَّف ابن خلدون يمثل ظهور التاريخ كعلم، وهو أروع عنصر فيما يمكن أن يسمّى بالمعجزة العربية (إيف لاكوست).
- إنك تبئنا بأن ابن خلدون في القرن الرابع عشر كان أول من اكتشف دور العوامل الاقتصادية وعلاقات الإنتاج. إن هذا النبأ قد أحدث وقعاً مثيراً وقد اهتم به صديق الطرفين (المقصود هو فلاديمير إيليتش لينين)، من رسالة بعث بها مكسيم غوركي إلى المفكر الروسي انوتشين بتاريخ 21 سبتمبر 1912).
- ترى أليس في الشرق آخرون من أمثال هذا الفيلسوف (لينين).
- فيما يتعلق بدراسة هيكل المجتمعات وتطورها فإن أكثر الوجوه التي تمثل تقدماً هو شخص ابن خلدون العالم والفنان ورجل الحرب والفقيه والفيلسوف الذي يضارع عمالقة النهضة عندنا بعبقريته العالمية منذ القرن الرابع عشر (روجيه غارودي).

ملاحظة: صدرت مقدمة ابن خلدون بالعربية في طبعات عديدة، وتُرجمت إلى عديد من اللغات. لكن طبعاتها العربية ظهرت، وفي معظمها بعض الأخطاء والنواقص، التي ذكرها المفكر القومي العربي ساطع الحصري، في كتابه المهم: «دراسات عن مقدمة إبن خلدون». وقد صدرت بعد كتاب الحصري هذا طبعة كتاب العبر، وفي جزأيها الأول والثاني، المقدمة وقد استُدرِكت فيها كل الأخطاء والنواقص، التي أشار إليها الحصري. وهي طبعة مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979.



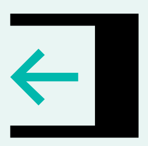


قضى أغلب مراحل حياته في تونس والمغرب الأقصى، وكتب الجزء الأول من المقدمة بقلعة أولاد سلامة بالجزائر، وعمل بالتدريس في جامع الزيتونة بتونس وفي المغرب بجامعة القروين في فاس الذي أسسته الأختان الفهري القيروانيتان، وبعدها في الجامع الأزهر بالقاهرة، مصر والمدرسة الظاهرية وغيرها.

وفي آخر حياته تولى القضاء المالكي بمصر بوصفه فقيهاً متميزاً خاصة أنه سليل المدرسة الزيتونية العريقة. ورغم أن بيته هذا معروف وموجود إلى الآن في تونس إلا أن موقع قبره في مصر غير معروف.



مياه الوركاء

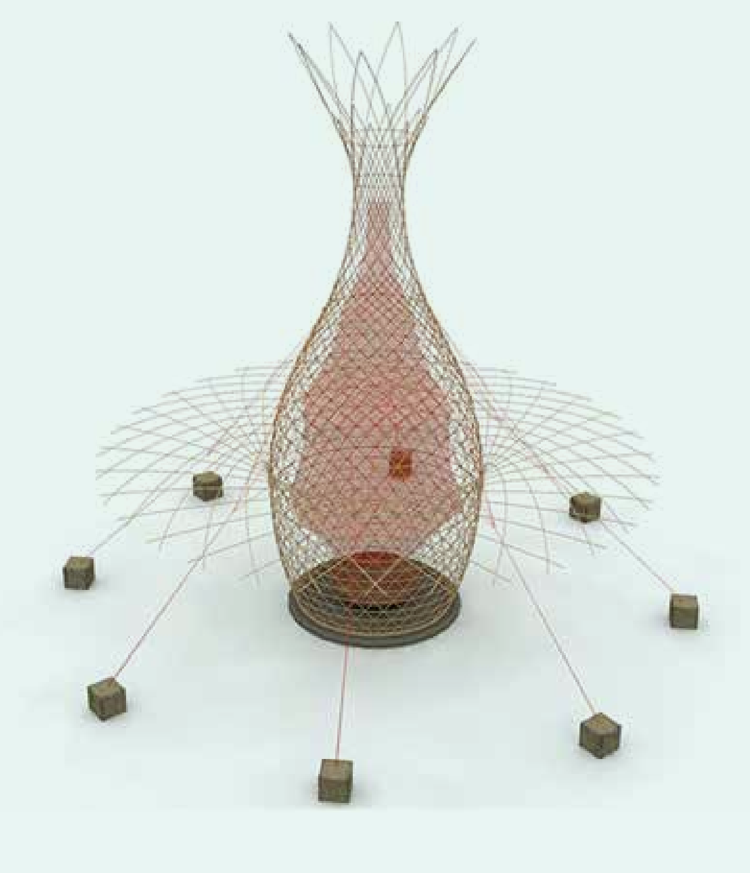


في بعض أنحاء إثيوبيا قد يتطلب الحصول على مياه الشرب رحلة تستغرق ست ساعات عل الأقل. فيمضي الناس في تلك المنطقة من العالم حوالي 40 مليار ساعة سنوياً في محاولة للحصول على المياه وتجميعها. وحتى عندما يجدونها، قد تكون المياه غير آمنة لكونها مجمعة من بحيرات وبرك مملوءة بالبكتيريا وملوثة بفضلات الحيوانات.

استقطبت قضية شح المياه التي تؤثر على مليار شخص في إفريقيا وحدها اهتمام عديد من الأشخاص والمؤسسات والحكومات في العالم. ولكن الحلول التي طرحت إلى الآن من تحلية مياه البحار إلى تحويل مياه الصرف إلى مياه صالحة للشرب تتطلب تقنيات معقدة يصعب تطبيقها في تلك المناطق النائية من العالم.

ولذلك قام المصمم الصناعي أرتورو فيتوري بتقديم فكرة بسيطة لاستخراج المياه الصالحة للشرب، فقد صمم هيكلاً بشكل قبة لا يعتمد على القطع المعقدة أو التصاميم الهندسية المتطورة وإنما يرتكز على بعض العناصر الأساسية مثل الشكل ونوعية المواد المستخدمة والطرق التي تعمل من خلالها. واستمد فكرة هذا التصميم من شجرة الوركاء المنشرة بشكل واسع في إثيوبيا، التي تشبه بشكلها القبة بغصونها الوافرة وتستقطب إليها السكان المحليين الذين يتجمون تحتها لكي يتفيأوا بظلها. ومن النظرة الأولى، يبدو هذا التصميم الذي يرتفع 30 قدماً ويشبه البرج البيضاوي وكأنه عمل فني رائع. ولكن أدق تفاصيله، من التقوسات المدروسة بعناية، إلى المواد المستخدمة، هي ذات وظيفة معينة.

يتألف الغطاء الخارجي لهذا البرج من سيقان نباتات الأسل المرنة خفيفة الوزن، منسوجة بطريقة معينة لتثبت في وجه الرياح القوية، وفي الوقت نفسه تسمح للهواء بالدخول. وفي وسط هذا التصميم



هناك شبكة سلكية مصنوعة من النايلون أو من البولي بروبلين، تشبه مصباحاً كبيراً على الطراز الصيني، تساعد على تجميع قطرات الندى التي تلتصق على سطحه. وعند هبوب الهواء البارد تتكثف القطرات وتتدحرج في وعاء في أسفل البرج. ومن ثم تتدفق المياه المتراكمة في الوعاء في أنبوب يعمل كصنبور يحمل المياه إلى كل من يحتاجه. وقد أثبتت التجارب أنه باستطاعة هذا التصميم الذي أصبح يعرف بـ «مياه الوركاء» أن يوفر أكثر من 25 غالوناً من المياه في يوم واحد.

وقد تكون من أهم مميزاته بُعده عن الحلول المستوردة المعقدة، وبمجرد أن يتعلَّم السكان المحليون طريقة بنائه، يمكنهم تعليمها ونقلها إلى القرى المجاورة الأخرى.



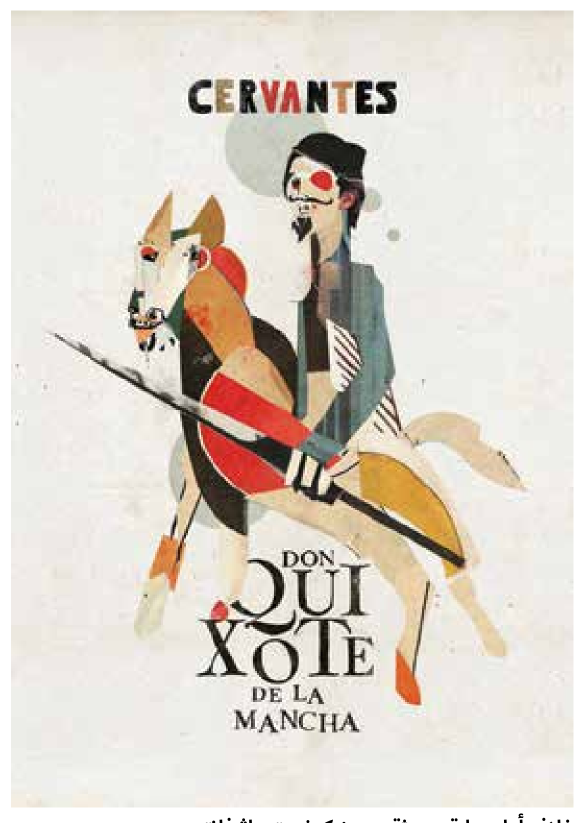


القارئ البطل، القارئ صانع الرواية

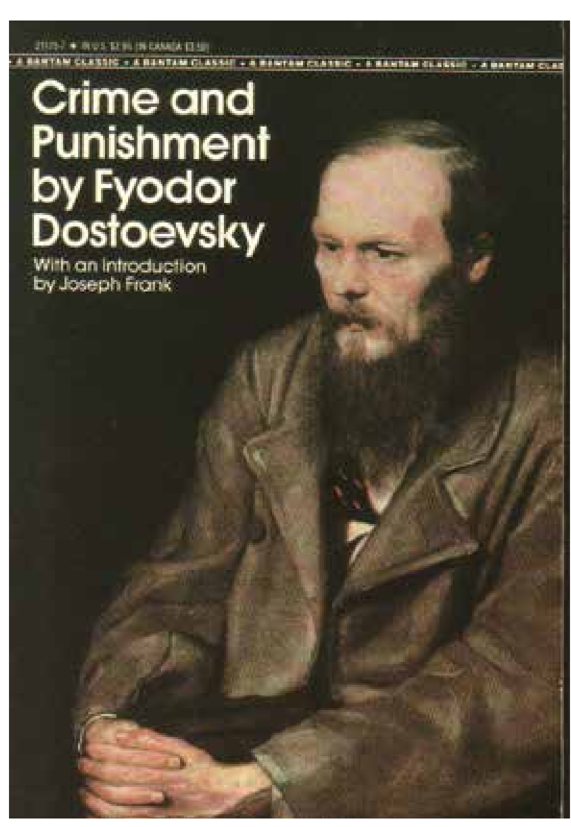
الكثير من الروايات العالمية والعربية البارزة، اختار أصحابها أو كتّابها أن يكون أبطالها قرّاءً، أو لديهم نهم في قراءة الكتب. وأحياناً يشعر القارئ أنه يعيش في ثنايا الرواية، والقراءة من البطل غالباً ما يكون لها وظيفة إما سردية حكائية أو رمزية، وتختلف من رواية إلى أخرى. وإذا كان من الصعب الإحاطة بمعظم الروايات أو الحكايات التي ورد القارئ بطلاً فيها، فإن بعض الروايات قد تعبّر عن مجمل ما نريد قوله.

محمد حجيري





غلاف أول رواية حديثة «دون كيشوت» لثرفانتس



غلاف رواية «الجريمة العقاب» لديستويفسكي



تتحدث أول رواية حديثة وهي «دون كيشوت» لثرفانتس، عن رجل عجوز نحيف من الأشراف الإسبانيين يعيش مع ابنة أخته وخادمه وكان مغرماً بقراءة قصص الفروسية. وربما لأنه صدَّق ما قرأ أصيب بالجنون، فبدأ يتخيل أن ما قرأه موجود حوله وأنه فارس من فرسان ذلك الزمن الذي قد ولَّى، واختار لنفسه هذا الاسم الذي يدل على مكانته العالية في عالم الفرسان ألا وهو «دون كيشوت»، وقرر البدء برحلة يقوم خلالها بمساعدة الضعفاء ونصرتهم، فتعرَّض في طريقه لسلسلة من الهزائم حتى وجده قروي في حالة إغماء ونقله إلى قصره، حيث تحرق ابنة أخته كل روايات الفروسية. وحين لا يجدها يعتقد أن الساحر سرقها فيرحل ثانية مع قروي جبان اسمه (سانشو بانشا) حيث يهاجم في طريقه طواحين الهواء لأنه يعتقد أنها عمالقة ويتعرض لضربات قوية.

ويرى دارسو أدب ثِرفانتِس أنه اتجه إلى نقد روايات الفروسية بهدف تقديم خدمة للأدب والأخلاق. وقد أشار الكاتب نفسه، أكثر من مرة، إلى كراهيته لهذا الفن الذي كان يسخر منه. دون كيشوت بحسب الروائي كارلوس فوينتس «هو ضحية مزدوجة لقراءته. إذ يفقد صوابه مرّتين، أوّلاً، عندما يَقرأ وثانياً، عندما يُقرأ. وقد فشل دون كيشوت كقارئ ملاحم يريد نقلها إلى الواقع بهوس شديد. ولكن فيما يخصّ موضوع القراءة، بدأ يقهر الواقع وينقل له جنون قراءته».

القارئ البطل دائماً محطة في حياة شخوص بعض الروايات، للانتقال إلى عالم مختلف ومتبدل ومغاير وصادم ومريك وربما جميل. كان راسكولنيكوف بطل رواية «الجريمة العقاب» لديستويفسكي، قبل ارتكابه لجريمته، طالباً في كلية الحقوق، حيث قرأ كثيراً من الكتب. وكما أنه قبل إقدامه على جريمة القتل والسرقة والنهب نشر مقالة في جريدة «الحديث الدوري»، وكانت رأس الخيط الذي عرف من خلاله المحقق بور فيري بتروفتش، حقيقة الجريمة والمجرم.

وسعيد مهران بطل رواية «اللص والكلاب» لنجيب محفوظ هو لص شبه مثقف، يدخل السجن، وحين يخرج منه تبدأ مأساته فيجد أن زوجته التي طلقته وهو في سجنه قد خانته، وتزوجت من صديق له في عصابته. ويجد أن ابنته الصغيرة سناء تنكره إنكار الولد الذي لم ير أباه أبداً، ويخاطب سعيد مهران، رؤوف علوان الذي شجعه في الماضي على السرقة: «أنا مثقف وتلميذ قديم لك قرأت تلالاً من الكتب، بإرشادك وطالما شهدت لي بالنجابة».

وفاسيلي بطل «زوربا اليوناني» لنيكوس كازانتزاكيس رجل مثقف، غارق في الكتب يلتقي مصادفة رجلاً أميّاً، مدرسته الوحيدة هي الحياة وتجاربه فيها. سرعان ما تنشأ صداقة بين الرجلين ويتعلم فيها المثقف فاسيلي، الذي ورث مالاً من أبيه، الكثير من زوربا عن الحياة وعن حبها وفن عيشها.

الكتاب القاتل وكتاب الحياة

لعبة الحديث عن الكتب والمخطوطات والقارئ متوافرة بقوة في كثير من الروايات العالمية والعربية، وكلما أتقن الروائي الخداع والكذب، زاد من وقع نصه لدى المتلقي، وتوظيف القارئ كبطل في الروايات هو جزء من منظومة «أعذب الروايات أكذبها»،

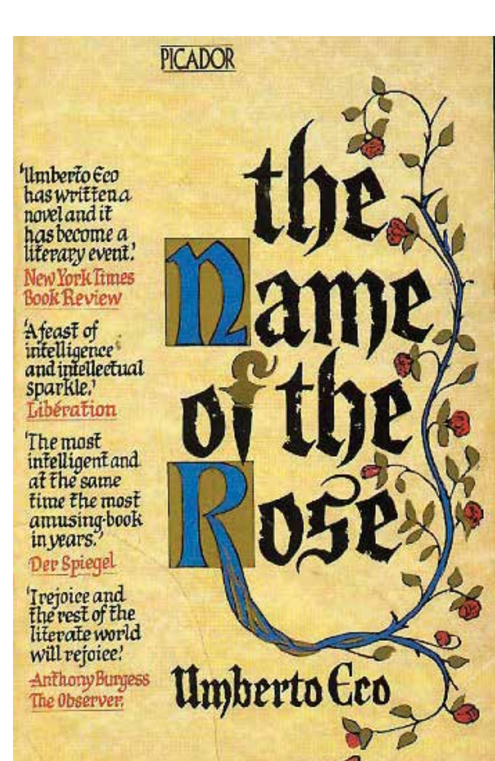
والقارئ بوصفه بطلاً، ربما يكون بديلاً من الحكواتي الذي كان واجهة لسرد الحكايات والفروسيات في زمن مضى، نلمح بقوة كيف أن بعض أبطال روايات كونديرا مثقفون وينتقدون الشعر بقوة. خصوصاً جاروميل في رواية «الحياة في مكان آخر». كان كونديرا قادراً في كتاباته على أخذ أبطاله حيثما يشاء ويتصرف حيث يريد أن يقول أفكاره، بمعنى أن أفكاره أقوى من السرد الروائي، وهو بهذا المعنى يستعمل القارئ أو المثقف في الرواية ليدين الثقافة التابعة للنظام الشمولي التوتاليتاري، الشيوعي تحديداً.



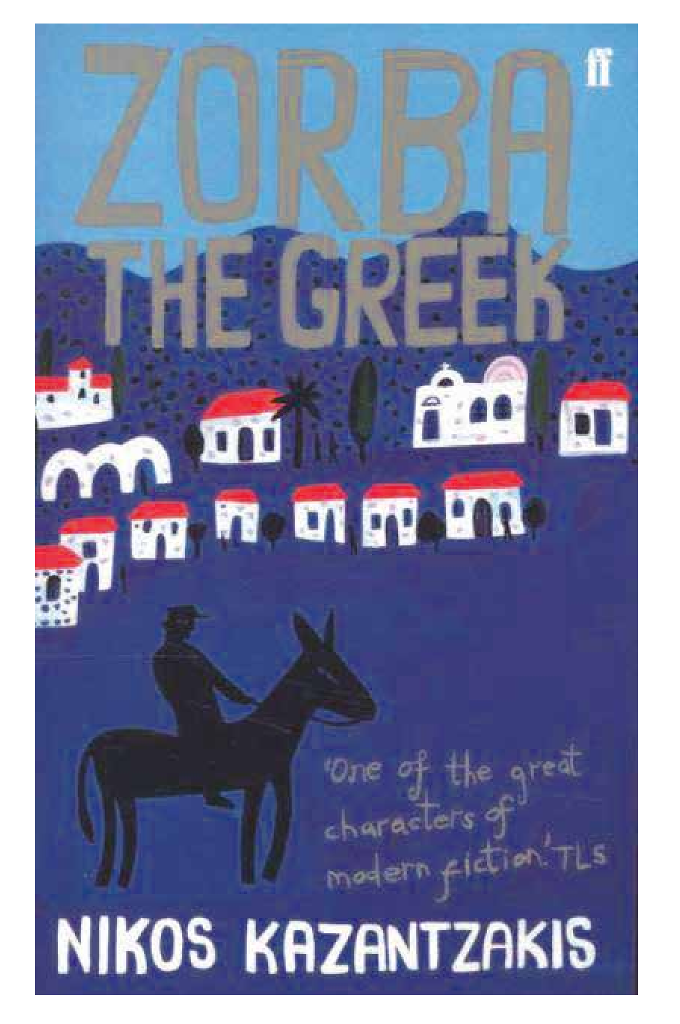
غلاف رواية «اللص والكلاب» لنجيب محفوظ

في رواية «اسم الوردة» يدفعنا أمبرتو إيكو لمتابعة وقائع محاولات مستمرة للكشف عن سر الجرائم الغامضة المتتالية التي تقع داخل جدران أحد الأديرة في القرون الوسطى في إيطاليا. ويتردد الحديث عن كتاب مسموم يقال إن له «قوة ألف عقرب». ويموت كل من يلمس صفحاته، لأن السم يتسرب إلى أصابعه التي تقلب هذه الصفحات. وهذا الكتاب الغامض المفقود، هو الجزء الثاني من مخطوطة أرسطو عن الشعر، وهو الجزء الذي خصصه للحديث عن الكوميديا والضحك. ثمة أسرار غامضة تكتنف اختفاء هذا الكتاب... وأخيراً يكتشف الشرطي وليام أن القاتل هو الراهب بورج، الذي أخفى المخطوط لأكثر من عشرين عاماً، وقعت خلالها كل تلك الجرائم. فالراهب هو الذي وضع السم في صفحات الكتاب، حتى يضمن أن كل من يقرأه يكون مصيره الموت.

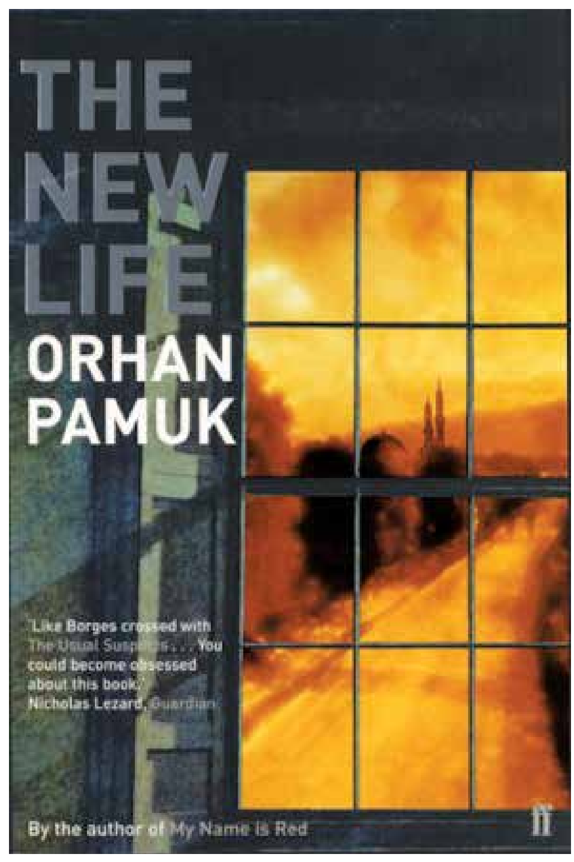
قراءة الكتاب المسموم طريق إلى الموت في رواية إيكو، أما القارئ في رواية «الحياة الجديدة» للروائي التركي - «النوبلي» أورهان باموق، فيجد في القراءة وسيلة للانبعاث وتغيير الحياة والتجدد. في مطلع الرواية، يقول الراوي: «قرأت كتاباً في يوم ما فتغيرت



غلاف رواية «اسم الوردة» لأمبرتو إيكو



غلاف رواية «زوربا اليوناني» لنيكوس كازانتزاكيس



غلاف رواية «الحياة الجديدة» لأورهان باموق

حياتي كلها. من الصفحات الأولى شعرت بقوة الكتاب إلى حد اعتقادي بأن جسدي انتزع عن الكرسي والطاولة وابتعد». بطل الرواية شاب جامعي اسمه عثمان في بداية العشرينيات من عمره، يعيش حياة بسيطة كباقي أقرانه في قرية «طاش قشله» التركية، يقرأ كتاباً يقع بين يديه مصادفة، فيغيِّر هذا الكتاب مجرى حياته. ويعاود قراءة الكتاب عشرات المرات ثم إعادة صياغته وكتابته بلغته الخاصة. وفي كل مرة كان يقرأ فيها الكتاب كان ضوء قوي ينبثق منه يصعب على الشاب مقاومته. يُصاب بعدها البطل / القارئ بوحدة وعزلة. ولكن ما هو هذا الكتاب؟ ومن هو مؤلفه؟ وما هي الأفكار التي تختبئ في ثناياه؟ كانت جميعها أموراً مجهولة وغامضة.

ضد الملالي

الروائية الإيرانية المقيمة في أمريكا، آذر نفيسي، كانت مباشرة وواضحة بشكل أكبر في توظيف القراءة لقول أشياء عن الحرية والحياة والثقافة، سواء في كتابها «جمهورية الخيال» أو روايتها «لوليتا في طهران» إذ اختارت أن تكتب سيرة روائية، جوهرها نساء يقرأن الكتب (لوليتا تحديداً) لمواجهة الاستبداد والبحث عن الحرية. من عنوان روايتها الكليشية و«الكيتشوي» ندرك مآل ما تريده، إذ تروي قصة محاضرات في التمرد امتدت لسنتين، لقنتها نفيسي لمجموعة من النساء ابتداءً من عام 1995م بعد استقالتها



من وظيفتها في الجامعة، وقبل أن تهاجر إلى الولايات المتحدة، وأسست نفيسي وطالباتها دائرة من الحرية الشخصية لهنّ، تخللتها قراءة روايات نابوكوف وسكوت فيتزجيرالد وجاين أوستن وهنري جيمس.

ومن الصين على عهد ماو نجد في رواية «بالزاك والخياطة الصينية الصغيرة» لداي سيجي، أن الكتب تغيّر الحياة. تصف الرواية الرحلة التي قام بها عازف الكمنجة مع صديقه ليو إلى الجبل الذي حكم عليهم بالإقامة فيه من أجل إعادة التأهيل التي كانت تتم لكل أبناء «الطبقة المثقفة». ثمة شاعرة في الرواية مصنّفة «عدوة للشعب»، تتظاهر بحياكة الصوف بينما «تكتب قصائد في رأسها». وهذا ابنها الملقب طوال أحداث الرواية بصاحب «النظارة الأنفية»، أي التي تثبَّت على الأنف، من دون أن نعرف اسمه الحقيقي، يخفي حقيبة ملأى بالروايات الغربية، مصدر حبكة الرواية.

البطل القارئ حيلة للسرد «أو» بطل رواية «ليلة التنبؤ» لبول أوستر، ينجو من مرضه بأعجوبة بعد أن شارف على الموت، فيقوم بكتابة رواية انطلاقاً من رواية كاتب أمريكي آخر. ولأن بطل روايته قارئ نصوص في دار نشر كبيرة، ترسل له حفيدة كاتبة أمريكية من مطلع القرن العشرين رواية جدتها التي كانت هربت مع عشيقها إلى لندن وكتبت روايتها هناك وهي تحمل عنوان الرواية نفسها «ليلة التنبؤ». وبقيت تلك الرواية معه، وأوصى بأن تكون الرواية لحفيدة الكاتبة. هكذا الكتابة في رواية أوستر أشبه بلعبة دمى روسية.

في المقابل، أصدر كارلوس رويث زافون، مواطن ثرفانتس، روايتين نجد فيهما القراءة هي البطلة، القراءة هي المتاهة والجنون والسرد المشوِّق، الروايتان «لعبة الملاك»، و«ظل الريح» تتكاملان ببعضهما من مختلف النواحي. وبطل «ظل الريح» ابن وراق يبيع الكتب المستعملة والنادرة، يعيش مع أبيه الذي يأخذه يوماً إلى مكتبة كبيرة تدعى «مقبرة الكتب القديمة». وفي المقبرة يتعين على كارلوس رويث زافون أن يختار كتاباً يحتفظ به لنفسه. يختار دانييل كتاباً بعنوان «ظل الريح» لمؤلف غير معروف يدعى جوليان كاراكس. يقرأ دانييل الرواية بشغف وينغمس في صفحاتها وينسى ما حوله إلى أن يفرغ من القراءة. وفي رواية «لعبة الملاك» نذهب من جديد إلى مقبرة الكتب، دافيد، بطل الرواية الجديدة، يعيش ويكبر بين الكتب. والده شخص جاهل، يعامله بفظاظة وقسوة. لقد أرسله إلى صاحب مكتبة كي يعمل لديه. راح دافيد يقضي جلّ وقته في المكتبة يقرأ القصص والروايات. يتعرَّف إلى أعمال تشارلز ديكنز ويتعلق في شكل خاص برواية «توقعات عظيمة». يصبح مولعاً بديكنز وأعماله.

القارئ بطل الرواية لم لا، ربما لأنه لا رواية بلا قرّاء، والقارئ صانع الرواية قبل الكاتب.

غلاف رواية «لوليتا في طهران» لآذر نفيسي

ريتشارد سيرا
وفن ما بعد المنحوتة

تنطلق فكرة الفنان الأمريكي ريتشارد سيرا المولود في سان فرانسيسكو عام 1938م، من ثنائية المادة والمكان، التي يمكن قراءتها بصرياً في مشاريعه النحتية والتركيبية المتنوعة، واشتغاله على الكتل الصلبة، ولعل من بينها على سبيل التمثيل لا الحصر عمله «منحوتة 7» الذي تم تدشينه بالدوحة في قطر عام 2011م بالقرب من متحف الفن الإسلامي، وعمله الآخر «شرق-غرب/غرب-شرق» الذي عرضه في قلب الصحراء بقطر عام 2014م.

سامي جريدي

منحوتة «مجالات» في مطار تورنتو بيرسون الدولي في كندا



بخفة الحديد!

خاض الفنان تجارب فنية على مستوى الخامات قبل اشتغاله على خام الحديد، إذ سبق له أن استخدم المطاط في منتصف الستينيات، كما اشتغل على خام الرصاص، ليجد نفسه بعد ذلك مع خام الحديد والفولاذ.

واستطاع الفنان سيرا أن يطرح عديداً من الرؤى البصرية المختلفة والجديدة، منذ أن بدأ تجربته البصرية الطويلة في النحت والتشكيل والتركيب. فأعماله بطبيعتها تطرح أسئلة في الفن المعاصر وفنون ما بعد الحداثة والتحوّل في فن المعمار الحديث، التي بطبيعتها تعطي دوراً كبيراً للخام الواحدة والموحدة في أغلب أعماله ومشاريعه الأخيرة وهو الاشتغال الجاد على خام الحديد.

وليس اعتماد ريتشارد سيرا على خام الحديد ببعيد عن بحثه الفلسفي حول جدلية الخفة والثقل، فهو يتمنى أن يجعل من الحديد وزن الخفة، وزن اللاشيء، اللاوزن. وهذا التفكير الفيزيائي تولَّد لديه في طفولته حينما أخذه والده يوماً وهو في سن الرابعة إلى حفل تدشين سفينة ضخمة وصفها بأنها بدت كناطحة سحاب. وكانت دهشته آنذاك لا توصف حينما رآها وهي تأخذ طريقها في البحر. ليخرج من ذلك المشهد بحلم كان يتمنى تحقيقه وهو تحويل الأشياء ذات الأوزان الثقيلة إلى أشياء خفيفة. وهو تفكير فيزيائي وفلسفي معاً، قاد الفنان سيرا إلى تصورات أخرى في مفهوم وتكوينات الطبيعة وتعقيداتها، وفي وعيه بالأشكال والأحجام الهندسية والخامات. كما اهتم في أعماله بقانون الجاذبية الذي حاول أن يلغيه في بعض أعماله، وهو قلق بصري ظهر بجانب أفكاره السابقة المتعلقة بالفيزياء والهندسة.

كما تمتاز أعمال سيرا بالضخامة في الحجم والشكل والوزن، وعلى توحيد العلاقة بين فن الشكل للشيء الواحد الذي من خلاله تتعدَّد الأشكال والنماذج والكتل، وبين الشكل المتعدد الذي يمكن إيجاده في جسد بصري واحد، كزاوية أو انحناءة مثلاً.

ولقد جعل الفنان من الأشياء أماكن كبرى ضمن أماكن صغرى، فهو يصنع الأحجام في حيّز صغير ضيّق لا يتسع لشيء، مستغلاً بذلك مسافة الارتفاع في الطول، وانعطاف الزوايا في الدوران.

من هنا تكون فلسفة المكان عند الفنان سيرا متعلِّقة بالبناء والبنية معاً، لا في استقلالهما. فهو يرى من خلالهما تضافر العناصر في أي مجسم أو منحوتة، ولا يمكن فصلهما عن بعضهما، فالفراغ جزء أساسي في التكوين العضوي للشكل إن لم يكن هو مكمن البطولة عنده.

يقول الفنان: «أنا لا أبدأ بالرسم وإنما ببناء النماذج»، الأمر الذي يدل على حقيقة ذلك في مقارباته البصرية في الوعي النحتي، فهو يبني شكلاً جاهزاً بزواياه وأبعاده الثلاثية لا رسماً على سطح الورقة أو القماش كغيره من الفنانين والمهندسين، وهو بهذه الفلسفة والطريقة ألغى شكل الخط والرسم رافعاً من قيمة التجسيم والتشكيل الخامي للعنصر.

ريتشارد سيرا مع منحوتة «تزامن»

المنحوتة «سبعة» في قطر

ومن آخر الأعمال التي قام الفنان ريتشارد سيرا بطرحها منحوتة «سبعة» التي تمثِّل بجانب غيرها من الأعمال ما يمكن تسميته بفن ما بعد المنحوتة. فهذا العمل مكوّن من سبع شرائح طولية من الفولاذ الخام غير المزخرف، تزن أكثر من 385 طناً، وتمّ تعدينها وصبها في معامل مجهزة بألمانيا، واستغرق تجهيز العمل وجلبه وتركيبه في موضعه المحدَّد بالدوحة ما يقارب ثلاث سنوات، حيث بلغ ارتفاع العمل 80 قدماً. والمنحوتة بهذا الطول الشاهق تُعد من أطول الأعمال البصرية في قطر، وهي أطول عمل قام به الفنان في تاريخه.

إن مجسم «سبعة» يعبِّر في فلسفته البصرية عن الانعتاق من اليابسة. فهو يهرب منها إلى السماء، إلى مكان نزل منه حديد يبحث عن مأواه، هناك بالأعلى عبر تراجيدية التكوين الأصلي له.

ويقول الفنان إنه استلهم فكرة المنحوتة «سبعة» من فن المعمار الإسلامي وهندسة المباني الإسلامية. فقد تتبع صور أشكالها، وقرأ في تاريخها من الأندلس إلى اليمن، ولاحظ فجأة أن أعماله متجانسة مع هذا التراث العريق. وليست تسمية المنحوتة بهذا الاسم «سبعة» إلا احتضاناً للطاقة الروحانية التي وجدها في ثقافة المسلمين، وكأنه بذلك يوغل في فلسفة العدد والأرقام وعمق معانيها ودلالات تأويلها عند العرب.

كما زاوج الفنان سيرا في عمله منحوتة «سبعة» ما بين الفن المعماري وفن النحت، ليصبح عملاً بسيطاً



منحوتة «نقطة ارتكاز» في ليفربول

المنحوتة «سبعة» في قطر



منحوتة «شرق-غرب/غرب-شرق» في صحراء قطر

في خامته وتركيبه وشكله، صعباً في فلسفته وتأويله وخطابه.

ويحضر المتلقي في وعي الفنان ريتشارد سيرا واهتمامه، فهو يذكر في حوار معه أن هناك اختلافاً لاحظه بين المتلقي ومرتادي المعارض ومحبي الفنون. فهم جميعاً يقفون أمام أعماله متسائلين عن المقصد، منهم من لا يرى في أعماله فناً، وقلة منهم عكس ذلك. وهذا الأمر في حقيقته يمثِّل مشكلة أزلية بين الفن والفنان والجمهور، وخاصة حينما يكون العمل من فنون ما بعد الحداثة والفن المفاهيمي التي هي من الطبيعي مسكونة بالصدمة للمتلقي من خلال عدة أمور، لعل من بينها مثلاً: غرابة الشكل، وانعدام الجمالية، وابتعادها عن المباشرة في الطرح الذي يجده المشاهد جاهزاً في بعض مدارس الفن، وخاصة في الفن الكلاسيكي.



منحوتة «دوائر»

وباستطاعة المتلقي أن يتفاعل مع أعمال سيرا من خلال الدخول والسير داخل مجسماته ومحاولة لمسها باليد والإحساس بملمسها الخشن تارة والناعم تارة أخرى على صفائحها الحديدية، ومن حيث وجود النتوءات والفراغات. وقد كان للفنان سيرا تجربة من هذا القبيل مع عمله منحوتة «سبعة» ومنحوتة «شرق-غرب/غرب-شرق»، حيث يتفاعل الجمهور مع العمل لا في مشاهدته بصرياً فقط، وإنما محاورته باللمس والحركة بداخله، وبعضهم يقوم بإصدار الصوت حيث الصدى ورجوع الصوت مرة وضياعه في الفراغ مرات كثيرة، وهو بلا شك جزء من فكرة العمل.

ومن يقوم بمشاركة العمل المسمى بـ «Inside Out» سيجد نفسه مصاباً بالدوار، لأن العمل يشبه استدارات الدهاليز وفكرة الأماكن المغلقة التي تثير في مَنْ بداخلها الخوف والغربة والقلق النفسي وسرعة البحث عن مخرج، وهو أمر صعب على المتلقين المصابين برهاب هذه الأماكن.

وظهرت فلسفة مابعد المنحوتة في أعماله الأخرى التي تقترب في فكرتها من الفن المفاهيمي، منها على سبيل التمثيل لا الحصر: دعامة الطن الواحد التي عرضها في عام 1969م، وعمله «مجالات» عام 2013م الذي هو عبارة عن ألواح متقابلة، وله أعمال أخرى مشابهة في برلين عام 2006م، وحوائط فولاذية ممتدة عبر مساحات شاسعة في حدائق كبرى بأمستردام، عمل فيها على فكرة الارتفاع والانخفاض ضمن ما يُعرف بفن الأرض.

من التقاط الصورة إلى صناعتها

سودير شيفارام والغابة

ساارت كريشنا

هل عرف مهندس الإلكترونيات سودير شيفارام قبل عشرين عاماً أن نزهاته في الغابات المحيطة بمدينة ميسور في ولاية كارناتاكا الهندية، ستحيد بحياته عن مجراها المرسم لها، لتحوله إلى واحد من ألمع المصوِّرين الفوتوغرافيين المتخصصين في الحياة البرية، على مستوى الهند والعالم؟ هذا ما حدث بالفعل.

كان سودير هاوياً للتصوير عندما كان طالباً جامعياً. ولكن الجاذبية التي مارستها عليه نزهاته في غابات ميسور دفعته إلى تحويل هوايته إلى مهنة، والمهنة تحولت بدورها إلى هوية ونمط حياة. عشرون عاماً قضاها المصوِّر المحترف وهو يجوب الغابات والمحميات في بنديبور، كاباني، فالافاندر، بحرتبور، كانها، ران وكوتش في الهند، وحتى غيرها في شرق إفريقيا. ومن هذه الغابات خرجت صوره التي اكتسحت أغلفة المجلات في العالم، بما فيها «ناشيونال جيوغرافيك»، وأتته بجوائز عديدة، من بينها أفضل مصوِّر فوتوغرافي للحياة البرية في الهند عام 2012م. وتحوَّل الهاوي إلى أستاذ ينظِّم ورش العمل الميدانية لتوجيه المبتدئين وتحسين أداء المحترفين، كما أصبح سفيراً لشركة «كانون» المصنِّعة لآلات التصوير.

مفاتيح هذا الفن

يقول سودير إن هناك ثلاثة مفاتيح أساسية في فن تصوير الحياة البرية. أولها: أن يعرف المصوِّر موضوعه، أي الحيوان الذي يريد تصويره وموطنه وسلوكه ونمط حياته اليومية والتغيرات الموسمية التي قد تطرأ عليه وعلى بيئته. والمفتاح الثاني هو معرفة أساسيات التصوير الفوتوغرافي، والثالث هو كيفية الاستفادة من المعدات المتوافرة إلى أقصى حد.



سودير مع عدسته على الطريق إلى الغابة



نمر البنغال يفترس خنزيراً برياً


الفهد المستريح بعد افتراس غزال في الصورة الفائزة بالجائزة


تعديل الصورة لردها إلى ما شاهده المصوِّر في الواقع


الفهد يتموضع أمام المصوِّر

ويضيف أن تصوير الحياة البرية مفتوح على كل أنواع المفاجآت. «فقد مرَّت سنوات عشر قبل أن ألتقط صورة أول نمر... ولهذا، فإن على المرء أن يكون صبوراً جداً. كما أن فترة النشاط الكبرى عند معظم الحيوانات في الغابة تكون عند الغروب، أي عندما يصبح ضوء النهار ضعيفاً جداً، الأمر الذي يفرض تحديات كبرى على المستوى التقني لالتقاط الصورة الجميلة».

الشغف في صناعة الصورة

يتحدث سودير عن الغابة وكائناتها بشغف واضح. والذين يعرفونه عن قرب يقولون إنه يجدُّ، بمحاذاة التصوير، في العمل من أجل الحفاظ على الحياة البرية. الأمر الذي يعده السمة الأولى التي يجب أن يتحلَّى بها من يخوض غمار هذا الفن.

ويتجلَّى هذا الشغف عندما يغوص المرء عميقاً في تأمل صور هذا الفنان. فصور نمور البنغال التي يلتقطها، تختلف تماماً عن الصور التذكارية الملتقطة هنا وهناك. إنها أشبه بصور شخصية، وكأن هذه النمور جلست أمامه كما يجلس الإنسان أمام رسام. إذ إضافة إلى ملامحها ومهابتها ثمة شيء في نظراتها، ثمة تعابير حزينة أو محزنة أو مثيرة للعطف على هذا الحيوان المهدد بالانقراض. وكل إنش من صورة البطة التي تسبح على صفحة الماء يوحي بالدعة والسلام. بعبارة أخرى، إنه واحد من المصوِّرين الفوتوغرافيين القلائل في العالم الذين ترتقي أعمالهم إلى مستوى يفرض قراءتها كما تُقرأ اللوحة الزيتية.

فإلى أي حدٍّ يتدخل المصوِّر في صوره؟

يجيب سودير أنه، بكل تواضع، انتقل من مرحلة التقاط الصورة إلى مستوى صناعة الصورة الناطقة. ويضرب مثلاً على ذلك صورة الفهد التي أتته بالجائزة الهندية الكبرى. فيروي أنه شاهد هذا الفهد يفترس غزالاً حمله إلى غصن عالٍ من الشجرة. فعرف أنه سيكون في الجوار يرتاح خلال اليوم التالي. فعاد في اليوم التالي وأمضى النهار بطوله وهو يصوِّر الفهد النائم على الغصن، لأنه شاء أن يقدِّم صورة تعبِّر عن حدث وحالة وليس مجرد مشهد. ولأنه خبير في معالجة الصور وتحسينها كما يبدو من موقعه التعليمي على الشبكة، حيث يعرض صوراً رائعة بجانب أصول أقل مستوى، يقول سودير: «لحسن الحظ، هناك برامج كثيرة لمعالجة الصور. ومعالجة الصور الملتقطة في الحياة البرية ضرورية في معظم الأحيان، خاصة بسبب قضية الضوء التي سبق أن أشرت إليها. ولكن المعالجة يجب أن تقتصر على رد الصورة إلى ما شاهده المصوِّر فعلاً، أي جعلها أقرب ما يمكن إلى الحقيقة. ومن الممكن أحياناً حذف عنصر ثانوي يشوِّش على الموضوع ووضوحه. ولكن كل ما يتجاوز ذلك، لا يعود معالجة، بل يصبح فناً رقمياً لا علاقة له بتصوير الحياة البرية». ←



فاطمة الشيدي:
أحب القصيدة التي تقولني



لا أعرف لِمَ يحب شاعر قصيدة دون أخرى ويرشحها للظهور، لتكون ظله في مكان ما، وصوته في محفل ما، وصورته في أوراق ما. يقول البعض إن القصائد كالأبناء، وبالتالي فنحن نحبها بالتساوي، ولكنني أحب القصيدة التي تقولني، التي أستطيع أن أنسبها إليَّ، بعض أبنائنا نحبهم لأنهم أبناؤنا فقط، وبعضهم نحبهم لأنهم يشبهوننا. أنا أنانية بعض الشيء أحب من يشبهني، في الروح والفكرة والوعي، أحب المرايا، كأي امرأة، يطيب لي الحوار معها، والحكي على لسانها، حتى لو عكست بعض التجاعيد، وكثيراً من الإرهاق والحزن والتعب. المرآة هي صورة طبق الأصل منا، لا شيء كالمرآة يشبهنا، وهذا ما أحبه في الشعر أيضاً.

القصيدة هي لساني المقطوع، وعيي المخبوء، حيرتي العميقة، وجعي الذي ينهشني في الخفاء، لا أحد يعرف عني ما يستطيع الشعر أن يصل إليه، الشعر الذي نكتبه من الخارج هو شعر سطحي، شعر يسلي قارئاً سطحياً. وأنا أحب الشعر الجارح، ذلك الذي يعمل كطبيب نفسي ماهر، يصيبني بالدوخة والدوار وهو يدخلني في غيبوبة التنويم المغناطيسي، ثم يحفر في لاوعيي عميقاً جداً، ليستخرج مكنونات ذلك الغائب، هناك سيجد الرفض، والوجع، والحيرة من الناس والفكرة ومن كل شيء.

حين يصل إلى ذلك المستوى من الحفر العميق سيعرفني تماماً، سيعرِّيني من التصنع الذي أضعه ككل البشر قناعاً على وجهي ثم أمضي بحرقتي ووجعي ويأسي وشكي بينهم، بلا جرأة من أحدهم على اقتحام أسوار داخلي المظلم. وحده الشعر يعرف ذلك، وحده يدرك حيرتي أمام الله الذي أحبه، وأسأله الصفح والرحمة أكثر، وحيرتي أمام الناس وهم يشهرون أظافرهم حقداً وشراً في وجوه طيبة وضعيفة بلا إنسانية ورحمة، وأمام السياسة التي تحرك عالمنا نحو ليل لا نهار له، ووجع لا راحة فيه، وأمام هذا العالم الذي أصبح فارغاً من المحبة ويسير في سباق محموم بالمادة والشر والقبح.

أحب هذه القصيدة لأنها تعمِّق السؤال في داخلي، لِمَ أكتب؟ وهو سؤال جارح وطويل وممتد ومتجدِّد، لا أستطيع تجاهله أمام كل الوجع الذي يكبر داخل الروح يوماً بعد يوم، دون أن تستطيع أن تنفثه خارج الكلمات، لأنه وجع متماهٍ لا شكل له ولا لون، فقط له طعم ورائحة تجدها في لسانك وأنفك، وأمام الخراب المحيط بالعالم، وعجز الكتابة عن أن تكون صديقاً لا يمل، تحكي له وجعك الغريب، وحزنك المريب كل لحظة دون أن يهرب من تفاهتك التي يظن، أو ضمادة تسعف جراح الأطفال، أو سقفاً للمتشردين، أو لقمة خبز، أو مدفئة لأيتام العالم ولاجئيه.

فلربما تستطيع الكلمة الواهنة الضعيفة أن تكون دمعة ساخنة تريح الروح وتخفِّف الوجع وتدرأ القليل من الحيرة والألم. ولعلها تصبح بوحاً لقارئ لا يكتب فيجد في القصيدة وجعاً يقول عنه ما يريد، لعلها تصبح لسان الحيارى، وصوت المقهورين في هذا العالم الذي يسير إلى حتفه، فلهذا فقط أكتب، وفي مناسبة كهذه كتبت هذه القصيدة يوماً ما.

سيرة

ولدت على حواف الماء بين ملح أجاج، وعذب وفرات، في الضلع الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية «مجان النحاس، ومزون الماء، وعُمان الإنسان»، حيث التاريخ يفترش أضابيره وأوراقه ليحكي تاريخ الماء والحروب والغزاة وتبدل الأحوال بين زمن وزمن في اليسر والعسر، وفي الغنى والفقر، وفي الظلم والعدل. وفي قرية يعتاش أهلها على حصاد النخل، وفيض البحر، وحنانات الرمل، وحنو الإنسان كالشجر على كل شيء بأمان وسلام، وعلى الرغم من قلة معطيات الحياة، كانت الصرخة الأولى. ولتبدأ الخطوات الواهنة المشي في طريق سيقدَّر له الامتداد في الحياة والدرس والألم والفرح، لتختار في بدايات مبكرة طريقة لدرء الأشواك، وإقصاء الوجع، وهي الكتابة. وستبدأ بها على مقاعد الدرس الأولى، وستمتد حتى تستقبل هي وجوه الجالسين على مقاعد الدرس في الجامعة، لتقدِّم لها العلم واللغة والأدب. ولا تزال تحاول الكتابة، وتحاور اللغة في كل مستوياتها الأدبية سرداً وشعراً ونقداً. وتطلق للنص العنان ليتشكل كيفما يريد، وعبر كثافة لغوية تتعدد مدلولاتها وأشكالها وأحلامها، وعبر أمسيات شعرية ونقدية تطير بها على أجنحة سماوات جديدة كل فينة وأخرى بين مسقط، وأبوظبي، والمنامة، وعمَّان، والجزائر، وسيت، وغيرها، وعبر نصوص، وكتابات وحوارات ومقالات في غير مجلة عربية، وملحق ثقافي في معظم أقطار الوطن الكبير الذي يوجعها أبداً من الماء إلى الماء.
تكتب عن الإنسان، وعن الوجع، وعن الحلم في غد يكون فيه الكون أجمل، والدم المسفوح أقل.

حِرْفَة

- 1 -

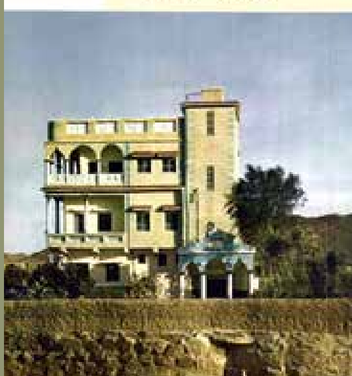
أكتب كراقصة باليه عرجاء
تتخبط في الحركة، ولكنها لا تتنازل عن
حلمها
كسلحفاة بحرية تعيش في حوض سمك
ينظر لها الصغار بغبطة
كعازفة بيانو عمياء
تتحسس المفاتيح بروحها المبصرة
كشحَّاذ على طريق مجهول
يدرك أنه لن يتحصل على المال
ولكنه يلتذ بالانتظار
كعامل نظافة عجوز يرى في الشارع بيتَه
وفي كل عابرٍ ابناً سيحتضنه يوماً
أكتب الحياةَ بزاوية النقص
وبدمعةٍ تترقرق في العيون
لأن الكمالَ وهَمْ
والسعادةَ فكرة

- 2 -

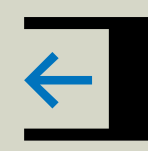
تأتي الفكرة آخر الليل
تعضُّ على روحي
ساذجة طيبة
كما يليق بفكرة متشردة
متشققةِ الملابس مغبرةِ الوجه
تدخل من ثقبٍ ما في رأسي أذني أنفي أو
عيني
وتتربع هناك تماماً
تعوي في رأسي بعنف
كذئب وحيد
تعبث بأشيائي العميقةِ هناك
تشذب فكرة الشعر
تنتشل مفرداتٍ صارمةً كالأبدية والخرافة
والموت
تلقي بها بعيداً وتضحك
يريبها الحزنُ المتمترسُ خلف الفص
الأيمن من عقلي
تهزه قليلاً
ينظر إليها برجاء أن تتركه في حاله
تلوك ما يحلو لها من مفردات
شماعة الأزل
التيه
الصحراء والسراب
وتبتلع على عجل أوهامَ الكلام المنمقِ
والمحشور في زاوية
شماعة الوهم
خزعبلات كثيرة تجدها تسربت من الكتب
تضع قدماً على قدم وهي تتأمل فكرة
العدم
تنظر لروح سيوران وكافكا المتمترستين
هناك
تنفض الغبارَ عن الكلام
وتؤمن بالتفاصيل الجزئية
ودورَ الراعيةِ الذي يشغلني، وحفارَ
القبور، وخيالَ المآتة، التي أركن إليها
تاركها
وتختار لنفسها كلمات جديدة لتصلح
هيأتها في ضوئها
وتخرج بصندوق كبير كنعش لحبيب
أو جثة لجريمة قتل
تلقيها في البحر
وأسمع الطشطشة
وأنفض رأسي الذي يصبح خفيفاً جداً
وأبدأ في الكتابة

- 3 -

أكتب تماماً كما يعمل نحات مهووس
يقترب من جذع شجرة قرَّر أن يحولها
لامرأة
يبكي في البدء عند أقدامها
يعتذر لها عن قسوة الفأس ولحظات
الموت
وأنه سيحرمها من الهواء والماء والغابة
والعصافير، وتحديداً من نقار الخشب
يقول لها هذا تماماً سيكون دوري منذ
اللحظة
مع أنك لن تشعري بدغدغات إزميلي
كما كنت تضحكين للثمات منقاره
ثم يخبرها عن فكرة الخلود والفن
ويعدها بأنه سيتجول بها في كل متاحف
العالم
وأن الجميع سيشير إليها بانبهار
لكنه يهرب فجأة من يديها
لأنه شعر أنها سترفسه، لو لم يتوقف
عن هذه التفاهات
أنا أيضاً هكذا أنهي النص خوفاً من رفس
الكلمات
أو اتصالها معاً لتشكل حبلاً يلتف حول
رقبتي ليخنقني
فأنتم لا تعرفون قوة الكلمات الحقيقية
خاصة إذا اتَّحدن
ولذلك ليس عفواً أن يقول سيوران
«الكلمة خنجر لا يُرى»
ولأنني امرأة جبانة تخاف الخنجر والحبل
والرفس
أكتب نصوصاً قصيرة غالباً ■



في ربوع المملكة.. القصيم



تضمَّن عدد القافلة لشهر أبريل/مايو 1962م، استطلاعاً مصوراً حول القصيم بقلم حسن عزت. ومن هذا الاستطلاع نختار مقتطفات تصوِّر ما كانت عليه المنطقة آنذاك..

بدأنا رحلتنا هذه من الظهران حيث استقلينا سيارة انطلقت بنا إلى الرياض، نقطة انطلاقنا في رحلتنا الطويلة. ولقد كانت بداية الرحلة جميلة، إذ إن الطريق معبَّد مرصوف ما بين الظهران والرياض، وتستطيع السيارة الصغيرة أن تقطعه في حوالي خمس ساعات من السير المتواصل.

وقد مررنا في طريقنا عبر الدهناء، وهي أسياف منفصلة عن النفود الشمالي وواصلة بينه إلاَّ في مسافة قصيرة بين النفود الجنوبي الكبير المسمى بالربع الخالي.

وقد وصلنا إلى الرياض في نفس اليوم وقضينا بها ليلتين استأنفنا بعدها السفر إلى القصيم. وتحركت بنا السيارة التي كنا قد استأجرناها في الرياض لهذه الرحلة. ورأينا في طريقنا ونحن خارجون من الرياض كيف شُقَّ الطريق وسط الصخور الصلبة. وكنا نرى على جانبي الطريق الهاويات السحيقة التي يمكن أن تصيب الناظر بالدوار لعمقها. وعقب اجتيازنا لها، مررنا على الطريق المرصوف الذي وصل تعبيده حتى «مرات» التي تبعد مسافة 170 كيلومتراً عن الرياض. وبعد ذلك سارت بنا السيارة في طريق سهل منبسط وحتى إذا ما أصبحنا على مسيرة ساعتين بالسيارة تقريباً من بريدة، أصبح الطريق صخرياً وعراً. وعلى مسافة ساعة من بريدة، اضطررنا لاجتياز تلال الرمال الكبيرة في صحراء النفود. (...)


طلاب قسم النجارة في المدرسة الصناعية في بريدة

وبعد أن اجتازت بنا السيارة كثبان الرمل الكثيفة، مررنا بقرية الشماسية، وقرية الربيعية ومنهما إلى بريدة التي وصلناها في الساعة العاشرة من الليل.

وفي صبيحة اليوم التالي تشرفنا بزيارة سمو الأمير سعود بن هذلول، أمير القصيم، الذي حدثنا عن بريدة والقرى المحيطة بها وتكرم فكلَّف أحد رجال الإمارة بمرافقتنا كدليل أثناء تجوالنا في القصيم.

القصيم

والقصيم يُحد من الجنوب الشرقي بالوشم، ومن الجنوب الغربي بمنحدرات عتيبة، ومن الغرب والشمال بجبل شمّر والصحراء الشمالية.

وقد قال عنها سعادة الشيخ حافظ وهبة في كتابه «جزيرة العرب في القرن العشرين»: «مزارعها كثيرة جداً حتى إنها كشبه حديقة تحيط بها صحراء، وتجود في هذه الواحة المزروعات على اختلاف أصنافها».

وقد قال عنها محمد بن عبدالله بن بليهد في كتابه «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار»: «القصيم: هو بلد عظيم مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد، واقع في القطعة الشمالية من نجد، عامر كثير القرى والنخيل والمزارع (...)».

ويستطرد فيقول: «أما بريدة: المدينة المشهورة في وسط القصيم، فالذي اكتشفها الدريبي، من أهل ثرمدا من العناقر، اكتشفها في النصف الأخير من القرن العاشر تقريباً، وبقايا ذريته هم آل أبي عليان الذين لهم ذكر في تاريخ بريدة».

وبريدة تقع في الطرف الشمالي من القصيم العُليا على الجانب الأيسر من وادي الرمة، وهي من أكبر المدن النجدية وأحسنها نظاماً ونظافة.

المباني

ومعظم مباني بريدة من اللبن، وتُكسى الجدران هناك بطبقة من الطين المخلوط بالتبن، وذلك لتقويتها ضد مياه الأمطار. وبعض البيوت من

طابقين أو ثلاثة طوابق، ويميل البعض إلى تزييت رؤوس بيوتهم بالجير الأبيض (النورة) التي تُكسب البيوت لوناً زاهياً جذاباً.

وتقع مدينة بريدة على مرتفع رملي، وهي صحية جداً وأرضها خصبة، وبساتينها كثيرة، والمياه فيها متوافرة. إلا أنها ليست خالصة العذوبة. ويتراوح معدل عمق الآبار في بريدة ما بين 20 و40 قدماً.

ويبلغ تعداد سكان بريدة حوالي 40 ألف نسمة معظمهم من بني تميم، وهم يربون الإبل والغنم التي تكوّن جزءاً من ثروة البلاد، ويصدِّرون إلى الخارج ما يفيض عن حاجتهم.. كما أنهم يُعنون بتربية الخيول ويصدِّرونها إلى الشرق والشمال.

التعليم

وقد قمنا بزيارة للأستاذ الشيخ سليمان الشلاش، مدير التعليم بمنطقة القصيم، فحدثنا عن مجهودات وزارة المعارف في بريدة. وقد ذكر لنا أن هناك تسع مدارس ابتدائية في بريدة موزعة على مختلف أحيائها حسب تعداد السكان. وبهذه المدارس الابتدائية 2421 طالباً. كما أن بها مدرسة متوسطة وثانوية يدرس فيها 98 طالباً، ومدرسة صناعية بها 154 طالباً، ومعهداً للمعلمين به 156 طالباً، ومدرسة زراعية، بها 91 طالباً.

وتدرَّس في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية العلوم الدينية، والعلوم الطبيعية، واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، والرياضة بأنواعها، والمواد الاجتماعية، كما تدرس اللغة الفرنسية في المرحلة الثانوية فقط.

أما في المدرسة الزراعية فتدرس الكيمياء والطبيعة والعلوم النباتية، ويقوم الطلبة من وقت إلى آخر بزيارة الحقول والبساتين لتلقي دروس عملية في الزراعة. وتدرس بجانب هذه المواد العلوم الدينية، والرياضيات، واللغة العربية، واللغة الإنجليزية.


سمو الأمير سعود بن هذلول أمير القصيم (آنذاك)

أما معهد المعلمين فيقوم بتخريج المدرسين للمدارس الابتدائية للقصيم والأماكن الأخرى التي تحتاج إليهم. وسيوسع هذا المعهد في المستقبل ويزداد عدد طلابه.

وقد قمنا بزيارة للمدرسة الصناعية، وطفنا بجميع أقسامها. وتتكون المدرسة من عدة أقسام، منها قسم للنجارة، يقوم طلابه بصنع براويز الصور والحوامل والكراسي المكتبية والمنزلية ومختلف الأثاثات المنزلية. وقسم للبرادة، يقوم طلابه بصنع جميع المواد التي يستخدمونها كالمناشير والمفاتيح والمفكات وثقالات الأوراق وغيرها. وهم يستفيدون من كل قطعة من الحديد كبيرة كانت أم صغيرة، في صنع هذه الأشياء على مختلف الأحجام والأشكال.

وهناك أيضاً قسم للسمكرة والأعمال الصحية، ويقوم طلابه بتصميم وصنع الأثاثات المعدنية، وصنع التوصيلات الصحية للمباني كمواسير المياه وخلافها. كما يقومون أيضاً بتصميم خرائط المباني.

وهناك أيضاً قسم لميكانيكا السيارات، ويتبع له قسم للبرادة يقوم طلابه بتشكيل المعادن، وصنع بعض قطع الغيار الصغيرة كالصواميل، وفياش الفرامل، ومفاتيح السيارات بجميع أنواعها. والملاحظ


فني يقوم بعمله على آلة الخراطة في ورشة الراشد في بريدة

أن الإقبال كبير على هذه المدرسة الصناعية.. إذ بها الآن 154 طالباً يتلقون تدريباً في مختلف الصناعات.

وفي بريدة مستشفى كبير مزود بأحدث الأجهزة الطبية، وبه عيادة خارجية يتردد عليها يومياً ما بين 300 و400 مريض.

والجدير بالذكر أن السادة إبراهيم الراشد الحميّد وإخوانه قد أنشأوا مرآباً من أحدث مرائب السيارات، زودوه بأحدث الآلات اللازمة لصيانة مختلف أنواع السيارات، ويُعد هذا المرآب بحق من أحدث المرائب في المملكة.

ولقد لفت نظري أثناء إقامتي في بريدة، منظر المستنقعات التي تجمعت عن الآبار التي حفرها الأهالي هناك في الماضي بطريقة خاطئة.. إذ حُفر البعض منها باليد والبعض الآخر بالآلات، إلا أن الحفر لم يتم بطريقة فنية صحيحة، مما أدى إلى ارتفاع المياه في تلك الآبار حتى طغت على سطح الأرض، مكونة مستنقعات تهدد بخطر صحي جسيم، كما تهدِّد المباني المبنية بالطين (اللبن). وإزاء هذا الموقف، قامت وزارة الزراعة الرشيدة بدراسة هذه الحالة وقررت على الإثر دفن الآبار الخمس عشرة، وحفر آبار أخرى بدلاً عنها للمزارعين. واغتنمت الوزارة الفرصة في نفس الوقت، فقامت بدراسة جميع مياه منطقة القصيم، وقد أوفدت لذلك مهندس الحقل الأستاذ حامد دردير، والمستر وود الجيولوجي الأمريكي المختص بشؤون المياه. ونفس ما حدث في بريدة حدث في قرية عيون الجواء التي تقع على بُعد 35 كيلومتراً شمال غربي بريدة.

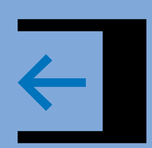

مستشفى بريدة الحديث ومساكن الأطباء والممرضين

صور: خليل أبو النصر



البلاغة في مجالس العامّة

عيضه المجنوني



البلاغة بمعناها الشامل الكامل مَلَكَةٌ يُؤثِّرُ بها صاحبُها في عقول الناس وقلوبهم، من طريق الكتابة أو الكلام، وهذه المَلَكة إمّا طبعٌ موهوب، وغالباً ما يكون صاحبُ هذا الطبع ذا ذهنٍ ثابت وعاطفة جياشة قوية وخيالاً خصباً ثريّاً وأُذُناً تحسّ بجمال الجرْس وتلذّ بجمال الإيقاع، وإما علمٌ مُكتَسَبٌ من خلال القراءة وبخاصة في علوم اللغة مع معرفة بأحوال النفس البشرية وطبائعها وإلمام بما يحيط به من البيئة الطبيعية والاجتماعية.

ولا بُدّ للبليغ حتى يستحق هذا الوصف أن يجمع بين الأمرين، إذ لا يغني أحدهما عن الآخر، فلا الموهبة وحدها تكفي، ولا حفظ القواعد البلاغية وحدها يمكن أن يجعل صاحبها بليغاً.

وقد يعسُرُ على أحد المشتغلين بعلوم البلاغة وشُرّاح كُتبها أن يكتب كلمة لإلقائها في محْفَلٍ ما، بينما نجد الكلمات البليغة والأقوال المؤثّرة تنساب على لسان من لا يعلم نفاسة ما يقوله ولا يقيم له وزْناً.

يُحكى عن الشاعر العباسي أبي تمام أنه توقف عند هذا الشطر من قصيدته البائية التي مدح فيها أبا دلف العجلي: «وأحْسنُ من نَوْرٍ يُفتِّحُه الصَّبا».. وظلّ يُردّده حتى وقف ببابه فجاةً سائلٌ يقول: «من بياض عطاياكم في سواد مطالبنا». ففرح أبو تمام وأتمّ صدر البيت الذي كان يُردّده من كلام السائل بقوله: «بياضُ العطايا في سَوَادِ المطالبِ».

ويُذْكَرُ أنّ ابن الأثير سمع امرأة قد تُوفّي لها ولدٌ وهو بِكْرُها الذي هو أولُ أولادها، فقالت: كيف لا أحزن لذهابه وهو أوّلُ دِرْهمٍ وقع في الكيس؟ فأخذ المعنى وضمّنهُ كتاباً كتَبَهُ إلى أحد إخوانه يُعزّيه في وفاة بِكْرِه من الأولاد قائلاً: وهو أوّلُ دِرْهمٍ ادّخرْتَهُ في كيس الادّخار، وأعْدَدْتَهُ لحوادث الليل والنهار.

وممّا ورَدَ من أخبار ابن الخشّاب البغدادي وكان إماماً في علم العربية وغيره أنه كان كثيراً ما يقف على حِلَق القُصّاص والمُشعْبذين، فإذا أتاه طلبة العلم لا يجدونه في أكثر أوقاته إلّا هناك، فليمَ على ذلك، وقيل له: أنت إمام الناس في العلم، فما الذي يبعثك على الوقوف بهذه المواقف الرذيلة؟ فقال: لو علمتم ما أعلم ما لُمْتُم، ولطالما استفدتُ من هؤلاء الجُهّال فوائد كثيرة، فإنه تجري ضمن هذيانهم معانٍ غريبة لطيفة، ولو أردتُ أنا وغيري أن نأتي بمثلها لما استطعنا ذلك.

إن المتتبّع لأقوال العامّة في مجالسهم وحواراتهم لا يعْدمُ مما يسمعه منهم عبارات بليغة وحِكَماً كثيرة، لو أراد صياغتها بلسانه لأعجزه ذلك.

من ذلك أنني دُعيتُ مرة إلى وليمة، وكان بين الحاضرين رجلٌ اشتُهِرَ بحديثه الفَكِه، وحين فرغنا من العَشَاء سمع صوت محرّك سيارة أخي، فقال من فَوْره: من الذي سرى يُدغْدغ هذه العجوز؟ ولا يخفى على أحد ما في القول السابق من بلاغة في تشبيه السيارة بالعجوز وصوت محرّكها بالدغدغة.

وقد وصف أحد العامّة طريقاً تكثرُ عليه حوادث السّيْر فقال عنه والبلاغة تجري على لسانه: الذاهب فيه مفقود، والعائد منه مولود.

كما يقولون في وصف المتعلّم الذي لا يعمل بما تعلمه: فلان يقرأ الحروف ويقفز الجروف، والجُرُوف جمعُ جُرف وهو ما أكل السيلُ من أسفل شقّ الوادي والنهر، وهذا القول قد جمع بين الصورة البيانية والفن البديعي.

ومن التشبيه والاستعارة قولهم: (فلان كالحيّة الرقطاء) لمن يسعى لنشر الفتنة، وبعضهم يقول إذا رأى شيئاً رديئاً: (كأنه حظّي) ويكْنّون عن كثرة العدد بقولهم: (فلانٌ مواشيه تسدّ مشرق الشمس). ومن البديع في كلامهم أيضاً: (لا همّ إلا همّ العُرْس ولا وجع إلا وجع الضّرْس) و(شهرٌ هلّ، عدّه زلّ) و(الدرب وإن طال، والرفيق وإن عال) والجناس في قولهم: (هذه الشياه لا حليب فيها ولا جَليب) والجَلُوبة: ما يُجلَبُ للبيع.

ما هذه إلا نماذج قليلة، ذكرتُها ليُسْتَدَلّ بها على أشباهها ونظائرها من سيرورة البلاغة أحياناً على ألسنة العامّة، ومن يجعل كدَّهُ في تتبّعها سيجد ما يُضاهي النماذج البلاغية المُدوّنة جمالاً.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه بإمكان معلّمي مادة البلاغة العربية الاستفادة من مثل هذه النماذج من الكلام الدارج وربطها بما يجدونه من شواهد بلاغية مُدوّنة في الكتب، ليستقرّ في أذهان الطلاب أنهم لا يدرسون لغة بعيدة عنهم، أو تكلُّفاتٍ لا صلة لها بواقعهم.



عبدالله الشيخ واحد من ألمع الأسماء وأعرقها على الساحة التشكيلية في المملكة، إذ حضرت أعماله في أكثر من ستين معرضاً على مدى أكثر من ثلث قرن، تنوعت فيها هذه الأعمال، وتبدلت بتبدل حال العالم من حوله. وإلى محترفه في الظهران كانت لنا هذه الزيارة.

فيديل سبيتي

مع عبداللّه الشيخ

في محترفه بالظهران

في الثمانين من عمره، لكنه كان بكامل حماسته وكياسته حين استقبلنا في محترفه في الظهران.

بدا الفنان التشكيلي السعودي عبدالله الشيخ كما لو أنه في مقتبل رحلته الفنية يستقبل فريقاً صحافياً. بدا شاباً في استقبالنا رغم أن التجربة التي عاشها منذ معرضه الفردي الأول في العام 1982م قلّما مرّ بها فنان تشكيلي من الخليج العربي، سواء في تنوّعها الفني من حيث المضمون الذي تأثّر بحوادث كثيرة مرّت في حياته العريضة، أو في الشكل وطريقة الرسم والمواد التشكيلية المستخدمة في اللوحات التي بدورها تأثرت بالحوادث نفسها، وهي كلها -لو وضعنا ذكريات الطفولة جانباً- تدور حول عذابات الإنسانية المختلفة التي اختارها عبدالله الشيخ موضوعات للوحاته، وركّز عليها، وكأنه أراد، ليس التعبير فقط عن هذه المآسي والآلام والحروب، وآخرها «تشيء» الإنسان وتحوّله إلى آلة في «العصر الرقمي»، بل أراد أيضاً فتح آفاق عبر نظرته المغايرة لمسيرة البشرية بواسطة هذه اللوحات.

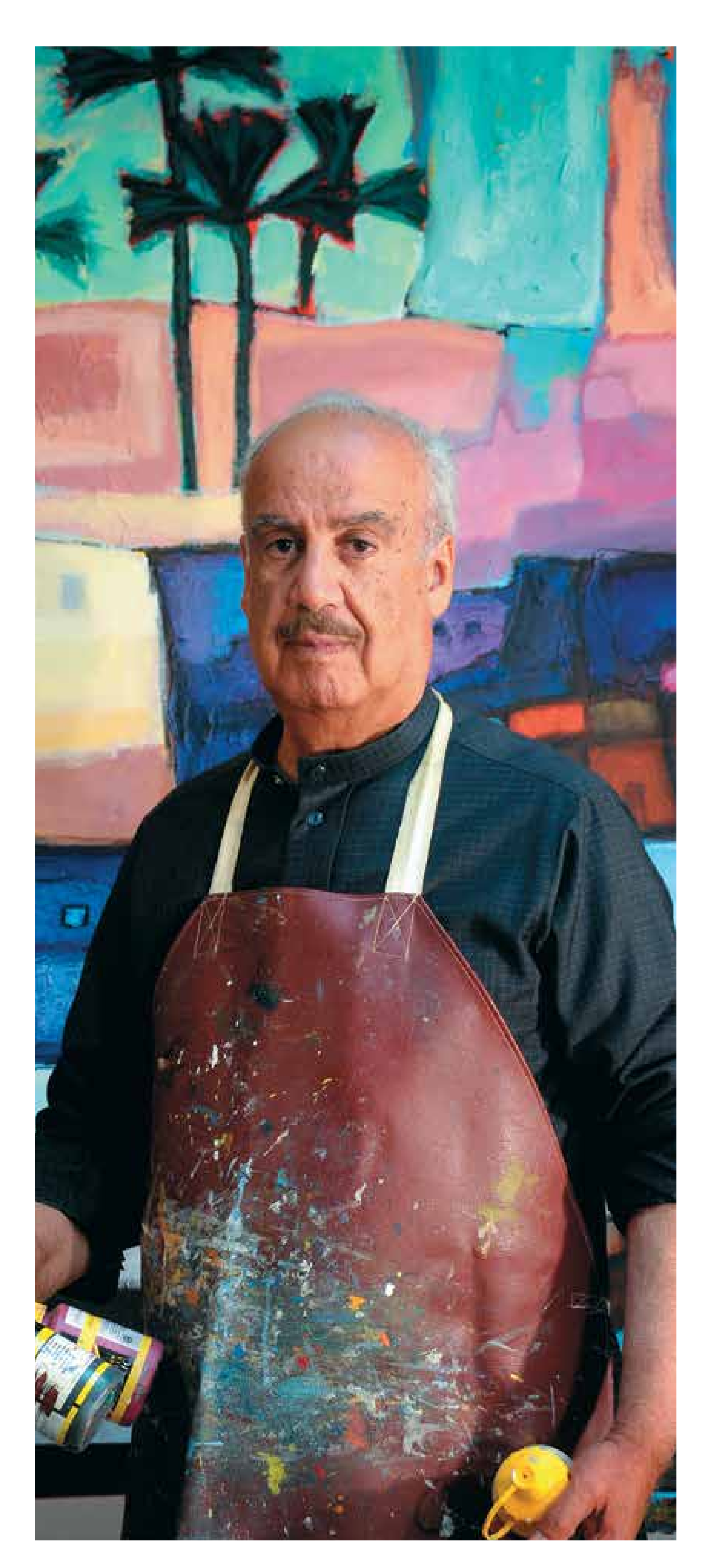
من الحديقة إلى الإضاءة

بعد الحديقة الغنّاء باخضرارها نتيجة اعتنائه الدؤوب بشجيراتها وأعشابها، انتقلنا إلى المحترَف الذي يقع في مبنى مستقل إلى يسار الحديقة، فيما المنزل العائلي إلى يمينها، يفصل بينهما ممرّ يجعلك تشعر بأنك في معرض «تنسيق» حدائق في بلدة استوائية.

في المحترَف صالة ومكتبة كبيرة لاستقبال الضيوف والزوار في الطابق العلوي. ثم المشغل في الطابق السفلي حيث معدات الرسم، من الألوان إلى فراشي التلوين والمنشار الكهربائي الذي يقطع به الخشب ليصنع أطر لوحاته، وهناك معدات قلما تجدها في محترف رسّام مثل آلات صغيرة للّيّ الحديد وإعادة تشكيله. وفي الزاوية لفافات من الأقمشة يصنع منها اللوحة، وكراسي بارتفاعات مختلفة يستخدمها أثناء الرسم للتخفيف من عبء الوقوف الطويل. ثم هناك جهاز «الستريو» الموصول بمكبرات للصوت موزّعة في الأنحاء، تبث الموسيقى الكلاسيكية التي لا يعمل عبدالله الشيخ من دونها، «الموسيقى الكلاسيكية رديف للألوان أثناء عملي».

ويكلّل الديكور الداخلي هذا توزيع الإضاءة في السقف وعلى الجدران، بين المصابيح الكهربائية الصغيرة الموجهة أنوارها إلى اللوحات المعلقة على الجدران، والمصابيح الكبيرة التي تضيء المكان كلّه، مع قدرة على التحكّم بكمية الضوء التي يحتاجها، سواء في لحظات اشتغاله على اللوحة أو حالات تأمله لما صنعته يداه، أو حالات استقباله لزوار يرغبون برؤية هذه اللوحات، ولكل حالة من هذه الحالات، إضاءتها الخاصة.

على الدرج الواصل بين صالون الاستقبال في الأعلى، والمشغل في الأسفل رصف عبدالله الشيخ شهادات التقدير التي حصل عليها والميداليات الكثيرة، وجلّها تُخبر عن حصوله على المرتبة الأولى، سواء في مشاركاته في معارض أو تقديراً لجهود فنية قام بها. وهي لكثرتها تملأ الجدار كلّه، وتنبئ في الوقت نفسه عن القيمة الكبيرة لما قدّمه هذا الفنان التشكيلي الرائد للرسم في المملكة وسائر الخليج العربي والعالم العربي أيضاً.





بين الفكرة والانتماء إلى مدرسة

بعد جولة داخل المرسم النظيف والمرتّب كما لو أنه صالة عرض لا مشغل، أعادنا عبدالله الشيخ إلى الصالون ليبادلنا الحديث حول تجربته المديدة وأفكاره ومشاريعه الكثيرة القادمة التي تبديه أكثر شباباً من شباب كثر.

بدأنا دردشتنا معه بسؤاله عن المدارس الفنية التي تأثر بها، فأجاب بأنه تأثر بعدد من المدارس التشكيلية خلال رحلته، لكنه لا يهتم بتصنيف نفسه في مدرسة ما. «ما يهمني هو أن تصل فكرة لوحتي إلى المشاهد بالطريقة التي يراها مناسبة. ولا أرسم لوحتي وفق خطة معينة، بل تمرّ اللوحة بمراحل مختلفة أحياناً لا تكون متوقعة مني. فأثناء الرسم تنسى نفسك ويتلاشى المحيط، ويصير عالمك هو قماشة اللوحة وألوانها، ورويداً رويداً يأخذك هذا العالم إلى أماكن ومساحات مختلفة قد لا تكون منتبهاً لها، رغم أنك في النهاية حامل الريشة وصانع الألوان. ولكن الفكرة تمدد نفسها بنفسها، وتتشكل بقوتها الخاصة».

ويضيف: «أتصوّر أن كل خطوة أثناء رسم اللوحة هي تجربة جديدة بحد ذاتها، وهذه التجربة قد تتحوّل إلى مشكلة، أو لنقل أحجية أثناء الرسم. فيبدأ الرسّام بالعمل على حل المشكلة أو حلّ الأحجية. وحين يصل إلى وضع الحلّ، فإنه يشعر بلذة كبيرة، هي اللذة التي يجدها كل فنان حين يقتنع بأن عمله الذي يقوم به قد أشرف على الانتهاء، وهذا ينطبق على كل أنواع الفنون والفنانين».

هل ترسم لوحة تطلب منك؟ سألناه. فأجاب: «مررت بمثل هذه المواقف. لكن هذا النوع من الطلبات يؤثر فيّ سلباً وأحياناً يحرجني لأني أضطر لتلبية الطلب. وأشعر كما لو أني في سجن، إذا كان موضوع اللوحة ومساحتها وألوانها محددة، لأنها مشغولة لتُعرض في مكان محدد أو لشخص معيّن. ولكنني أخفف من وطأة هذه الطلبات بأن أرفض تحديد الموضوع، أو بأن أتلاعب في كيفية رسم هذا الموضوع. وفي أحيان كثيرة أعتذر عن تلبية الطلب، حيث يمكن الاعتذار».

«أتصوّر أن كل خطوة أثناء رسم اللوحة هي تجربة جديدة بحد ذاتها، وهذه التجربة قد تتحوّل إلى مشكلة، أو لنقل أحجية أثناء الرسم»

يمكن لكل ناقد فني أن يستشعر بأن الأجواء العراقية مؤثرة في لوحات عبدالله الشيخ، منذ البداية حتى النهاية. يوافق رأينا هذا ويضيف أن الفضاءات الأولى للفنان يحملها معه أينما حل. أهم مرحلة هي مرحلة ما بعد الدراسة حيث تختزن في نفس الفنان صور لا تُمحى، وتصير جزءاً من تكوينه الفني. «ولكن ما يساعدني في حالتي الشخصية أن ما اختزنته من صور بلدتي العراقية الزبير في البصرة من الأزقة الضيقة والرواشين والأحياء القديمة، عدت ورأيته في الأحساء السعودية، في البيوت الطينية والأزقة الترابية والمرقد الموجود داخل البيت من دون شبابيك، والأسوار العالية. فالمشترك بين المشاهد التي اختزنتها في يفاعتي العراقية مع مشاهد منطقة الأحساء التي عدت إليها، كثير جداً».

كيف تصف علاقتك بأخيك عبد الجبار؟، «كنت أحاول تقليده وهو يرسم بقلم الرصاص. كان الحصول على الألوان شبه مستحيل حيث نعيش، فهي نادرة وغالية الثمن. فكنا نرسم بأقلام الرصاص أو الفحم على الحيطان أو على أي مسطح صالح للرسم. وبعدها بدأت أزور المكتبات وأنظر في المكتب إلى التخطيطات وأقلدها



وأحاول نسخها. فيما بعد انتقلت إلى معاهد بغداد والتقيت الأستاذ طارق حسن وكبار مؤسسي المعهد، وهناك بدأنا تعلّم الرسم وفق أصوله العلمية، وكنت وأقراني في الدفعة الأولى من الطلاب، وكانت تلك سنوات ذهبية لتعليم فنون الرسم».

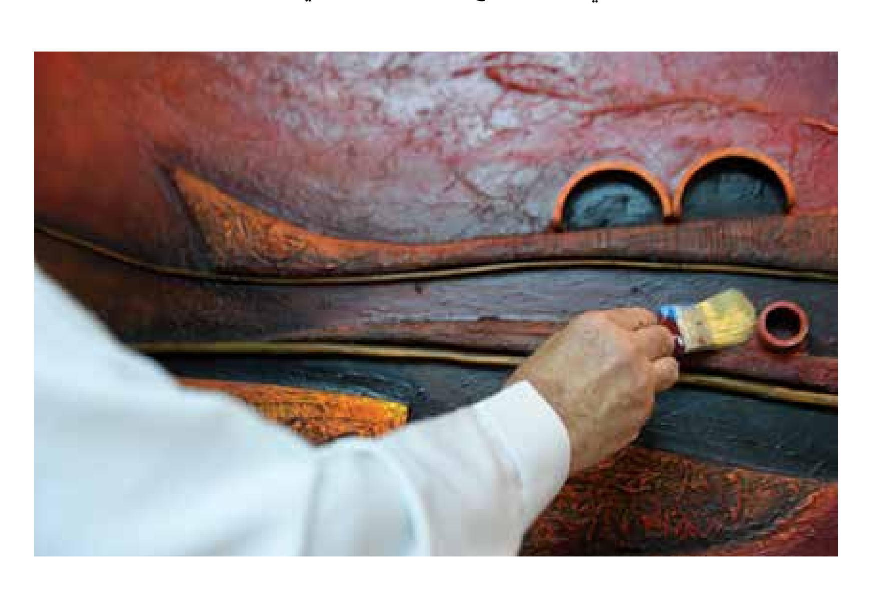
كانت الدراسة في بغداد فترة التأسيس، ثم سافر عبدالله إلى لندن في بداية الستينيات لإكمال الدراسة. و«هناك أصبت بصدمة ثقافية وحضارية، فقد خرجت من عالم محدود ومحافظ وفي بداياته الفنية، إلى عالم منفتح والفنون فيه بمنزلة حجر أساس. وهو منفتح على ثقافات مختلفة وفيه كثير من المتاحف والمعارض التي تعطي الناظر فكرة عن كل أنواع الفنون حتى المتناقضة منها. كانت تجربة لندن إيجابية بالمعنى الفكري. في البداية كنت أشعر بالندم لأنني كنت في صراع داخلي رهيب حتى المرض، حول قرار البقاء في لندن أو تركها للعودة إلى السعودية. هناك سيلازمك الشعور بأنك غريب عن المجتمع الإنجليزي، ثم إنك كفنان ستجد صعوبة كبيرة في الحضور أو إثبات الذات، إذ يوجد آلاف الفنانين مثلك وبموهبتك وأكثر يحاولون إثبات أنفسهم وإيجاد مكان ينطلقون منه. ثم هناك الشوق للمكان الأول، وللبيئة الحاضنة وللأهل، والشوق لتقديم شيء لمجتمعك، فكان قرار العودة».

سيرة ذاتية مختصرة وبتصرّف

ولد الفنان عبدالله عبدالكريم الشيخ في مدينة الزبير في العراق 1936م لأب سعودي كان قد انتقل من الأحساء إلى العراق لدواعي الرزق. أمضى شبابه هناك حيث تلقَّى تعليمه الابتدائي. ثم التحق بمعهد الفنون الجميلة ببغداد، وحصل على شهادة الدبلوم في عام 1959م، ودرس على يد فنّانَين عراقيين مثَّلا جيل الروَّاد في العراق، هما جواد سليم وفائق حسن. وقد ترك الاثنان أثراً كبيراً في تجربته الفنية. وأكمل عبدالله الشيخ تعليمه الجامعي في الفنون التشكيلية في إنجلترا وتخرّج في العام 1965م، وحصل على دبلوم في التصميم والطباعة لمدة عامين.

يُعد الفنان عبدالله الشيخ من أبرز فناني المملكة والخليج العربي، كما يُعد من أوائل الجيل الثاني من فناني المملكة مع أخيه الشقيق عبدالجبار اليحي وغيرهما. أقام أول معرض له في 1982م وشارك في أكثر من ستين معرضاً جماعياً.

بعد تتلمذه على أيدي الفنانين العراقيين ثم العالميين في إنجلترا، ارتقى عبدالله الشيخ بتجربته الخاصة التي سيُعرف بها وتُعرف به. ففي بداياته كان جلّ إنتاجه الفني في الرسم والتصوير يتمحور حول لوحات ثنائية الأبعاد تمثل ذكرياته وعواطفه الشخصية. وفي المرحلة الثانية دخل النحت في لوحاته فزاوج بين الرسم التقليدي





دخل النحت في لوحاته فزاوج بين الرسم التقليدي ذي البعدين والسطح المنحوت ثلاثي الأبعاد. غلب الأكليريك على لوحاته، مشركاً فيها بعض الخامات كالأسلاك والحلقات المعدنية..



ذي البعدين والسطح المنحوت ثلاثي الأبعاد. وغلب الأكليريك على لوحاته، مشركاً فيها بعض الخامات كالأسلاك والحلقات المعدنية.

ولو قسَّمنا الحياة التشكيلية لعبدالله الشيخ إلى مراحل، لأمكننا جعلها أربعاً على ما يُحب. ويمكن القول إن المرحلة الأولى تميّزت بالولاء للطابع الشرقي، فاستلهم أفكاره من الحياة العربية والشعر العربي والحكايات الشعبية والعمارة الإسلامية ورسم البيئة البدوية والأزقة القديمة. أما المرحلة الثانية، فدارت حول المواضيع نفسها ولكنها تميّزت بالتجريد والميل إلى تبسيط الأشكال مع المحافظة على رموز المجتمعين العراقي والأحسائي المتقاربين بيئة واجتماعاً. لكن بعد حرب الخليج الثانية في العام 1993م، فاضت لوحاته بملامح «سطوة الآلة القاسية والتروس الحادة والخوذات الحربية والمسدسات فاغرة الأفواه والركام المعدني الممزق» على ما كتبت الناقدة ثريا العريض، في إحدى مقالاتها من العام 1997م.

في المرحلة الحالية، يمزج الشيخ بين مراحله السابقة، ليصنع لغة فنية جديدة خاصة به، توصّف العالم التقني الجديد الذي يلفّ الأرض. فحلّت الآلة محل الجسد في إشارة إلى سطوة الآلة على حياة الإنسان.

مشاركاته ومعارضه

مثلت أعمال الفنان عبدالله الشيخ المملكة في عدد من المعارض والبينالي العربية والدولية، وشارك في بينالي القاهرة وبينالي بنغلاديش وبينالي الشارقة ومهرجان المحبة السوري ومعرض الفن العربي الإسلامي في أنقره والمعرض الدوري لفناني دول مجلس التعاون الخليجي في معظم دوراته، بالإضافة إلى معارضه الفردية والجماعية. وتُعرض بعض لوحاته في مطار الملك خالد الدولي بالرياض، ومطار الملك فهد بالدمام، وفي وزارة الداخلية وأرامكو السعودية وأمانة مجلس التعاون الخليجي، وأماكن أخرى مختلفة، حيث يحتفى بها كمعرض دائم أمام المارة والعامة. كما اشترك في عضوية عدد كبير من لجان التحكيم وترأس كثيراً منها نظراً لما عُرف عنه من قدراته النقدية ونظرته الخاصة لتطور الفنون التشكيلية الخليجية.





السلمان يروي سيرة «مخيال» ومسيرته



لقي فِلم «مخيال» لمخرجه محمد السلمان المأخوذ عن رواية زينب الناصر اهتماماً كبيراً من قِبل جمهور مهرجان أفلام السعودية الذي أقيم في الدمام أوائل مارس الماضي. فهو يحاكي تخيلات طفولية تتعلَّق بالفزَّاعة وعادات وتقاليد اجتماعية مرتبطة بالمخيال، ولكن بتصوير بارع ومناظر جميلة في إحدى المزارع، وبحوار صامت بين الممثلين. كما أن الفِلم أيضاً في طريقه للمشاركة في مسابقة الأفلام القصيرة التي تقام على هامش مهرجان «كان» السينمائي العالمي.

«أؤمن بأن السينما شكل فني نستطيع من خلاله أن نثبت وجودنا على خارطة العالم البصرية وننقل حكاياتنا ومشاعرنا وثقافتنا وأحلامنا بسلام». هذا ما أجاب به المخرج السعودي الشاب محمد السلمان عن السؤال حول سبب امتهانه الإخراج السينمائي هواية ومهنة. وفِلم «مخيال» الذي أخرجه السلمان سيُعرض ضمن مسابقة أفلام الشباب في مهرجان كان السينمائي ما بين 13 و24 مايو المقبل، بعدما تمت الموافقة عليه من قبل لجنة محكِّمين متخصصين في مجال الأفلام الروائية القصيرة والأجنبية.

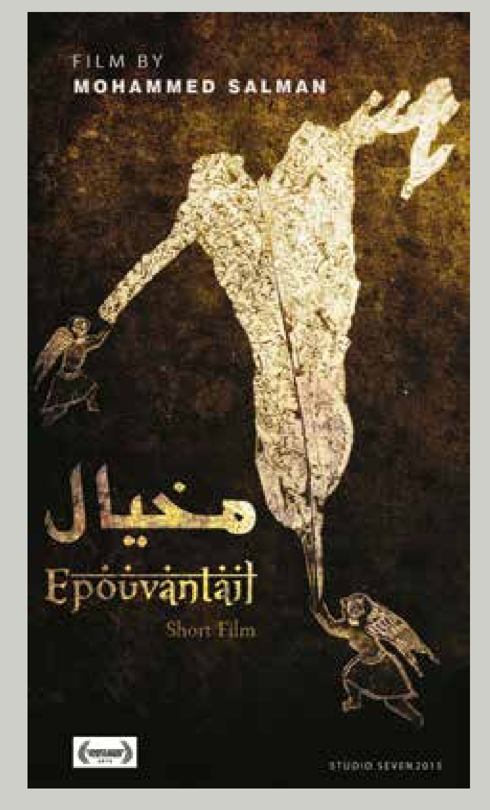
لم تكن الطريق معبَّدة أمام المخرج الشاب نحو عالم الإخراج، إذ كان عليه كما أغلب أقرانه أن يعمل في مجالات فنية أخرى، وهذه الأعمال المتفرِّقة بمنزلة درجات السلّم الذي سيصعد عليه المخرج نحو كرسي الإخراج. وعلى المخرج المستقبلي أن يتعلَّم الأمور المتعلِّقة بأدوات التصوير والمونتاج والإضاءة والصوت ويعمل عليها كمتدرب مع مخرجين آخرين أو في مساعدة أصدقائه من المخرجين، وهكذا يكتسب مهارات لا يتعلمها في الجامعة. وهذه مهارات مفيدة للمخرجين الذين يدخلون إلى عالم السينما من أبواب واختصاصات مختلفة قد لا يكون لها أي علاقة بالاختصاص السينمائي، وهؤلاء كثر في المملكة. لذا عمل محمد السلمان في التصوير التشكيلي والتصوير الفوتوغرافي وفي تأليف أعمال فنية تشكيلية مختلفة.

السلمان يروي بنفسه

«راودتني فكرة أن أصبح مخرجاً منذ كنت طفلاً، حين رافقت والدي إلى عمله منتصف الثمانينيات وعمري لا يتجاوز العاشرة، وكان يعمل آنذاك مُشغِّلاً للأفلام في صالة أرامكو السعودية برأس تنورة. سحرتني تلك التجربة. كان الضوء المنبعث من تلك البكرات الدوّارة كشعاع يحملنا إلى عوالم أخرى تصنع المتعة وتوسّع الخيال وتثريه.

أردت أن أصبح صانعاً للضوء منذ تلك اللحظة. أردت أن يخرج هذا الضوء ذكريات طفولتي وأراها كأنها مستعادة على الشاشة المضاءة كما يفعل أبي. إذ كنت أظنّ أن أبي هو المخرج. فهو يعرف كل شي عن الفِلم الذي يعرضه، فقد حفظ الحوارات والمشاهد ويعرف أسماء الأبطال والأشرار، وماذا سيحدث ومتى سينتهي الفِلم. لقد زرع والدي في داخلي شغفه بعمله دون أن يقصد.

كانت «الفزاعة» التي توضع في حقول الذرة وقرب الأشجار لتمنع الطيور من إفساد الفاكهة والحبوب، الشخصية الغريبة في طفولتي، إذ كانت تثير فيَّ خوفاً خفياً رغم علمي بأنها مصطنعة وليست حقيقية. إلا أن الخوف الذي كان يجب أن تبثه في الطيور، كان ينتقل إليَّ أيضاً، لمجرد وقوفها الطويل في مواجهة الشمس والهواء وصمت الحقول. كانت الفزاعة أو «المخيال» أمام ناظري في أوقات كثيرة من النهار، وكانت تدور لها في مخيلتي قصص ومغامرات، وسيصبح هاجس بناء فِلم عنها مصاحباً لي في شبابي. لذا، في مرحلة وعي المراهق رحت أبحث عن قصة «المخيال»، والتعرّف إلى المزارعين وإلى حياتهم وممارساتهم اليومية، وحفظت كلماتهم ووسائل التعبير لديهم وقصصهم ومفرداتهم. ومنهم تعرّفت إلى اسم «مخيال»، وهو





اسم قديم جداً لا يعرفه إلا المزارعون ويطلقونه على الفزاعة.

حين آنت اللحظة، اخترت تطوير رواية الكاتبة زينب الناصر حول فكرة المخيال، ورحت أشغل نفسي في التفكير بكيفية تحويل عالم المخيال ورواية الناصر إلى فِلم أقرب للفنتازيا والخيال. لذا قمنا بتحويل النص إلى سيناريو، فخرجنا بفكرة خيالية لكن دلالاتها حقيقية إذ تطرح إشكاليات القداسة والارتباط بالغيبيات في صورة سينمائية تطرح الأسئلة ولا تجيب عنها إذ تُترك الإجابة للمشاهد.

قصة فِلم «مخيال»

عائلة الجد أبو سلمان تنتظر الملائكة لتزور مزرعتها كي تعود مثمرة كما كانت. فالجد متعلِّق بالأمل الذي سيهبط عليه من السماء عبر خرافة متوراثة أو متداولة مفادها أن الملائكة تزور ملابس الموتى المؤمنين. فعكف الجد على جمعها ونشرها في المزرعة منذ ثلاث سنوات وتسعة أشهر، وما زال يبحث عن الثوب الذي سيحمل الملائكة من السماء.

تصبح الملابس التي يجمعها الجد ويجعل منها مخيالات أو فزاعات محور اهتمام الطفل الذي يساعد جده في أعمال الفلاحة والزراعة. وتنشأ علاقة بينه وبين المخيال تكاد تكون إنسانية. الأم توقفت عن الكلام بعدما تركهما الأب ليعمل بالبحر. والملابس بالنسبة لها نذير عودة الغائب، فربما تترافق عودة الزوج مع عودة الأرض. لهذا كانت هناك علاقة مشتركة بينهم، الأم والأب والابن والجد، ومجسّمات المخيال الموزّعة في الأرض المزروعة.

بعد نضج فكرة المخيال في مخيلتي، وتحويل الرواية إلى سيناريو، وتحديد مكان التصوير وفريق الممثلين، والمشاهد التي سيتألف منها الفِلم، بدأنا التصوير مع بداية العام 2014م بفريق عمل صغير يتألف من أصدقاء ومتطوعين، إذ إن الميزانية التي رُصدت للبدء بالفِلم كانت صغيرة جداً ولا تكفي للعمل مع محترفين بأجور عالية. فوجدنا أن فكرة تبادل المساعدة ستكون أفضل، وهي عادة موجودة بين المشتغلين في السينما من المبتدئين. فكل منهم يقدِّم يد المساعدة لرفيقه الذي يطلبها. وبسبب ضيق ذات اليد، قمت بنحو 90% من العمل، من التصوير إلى رسم الإضاءة وتحديد مكان الصوت وتوجيه الصوت وكذلك إعداد القهوة. واستمرت هذه المتعة تقريباً شهراً بأيام متفرقة خلال الأسبوع الواحد.

ثم انتقل العمل إلى مرحلة المونتاج وهي المرحلة الأصعب، إذ تم الاعتماد في التصوير على كاميرا من طراز (BLACK MAGIC POCKET CINEMA) وهي كاميرا صغيرة وعملية جداً، تقوم بتصوير صور خام RAW تتطلب مساحة كبيرة جداً للتخزين.

صناعة الفِلم وتكلفته

ساهم جمال المكان في جعل الصورة جميلة دون أي جهد كبير نضيفه إليه. وبسبب عدم وجود فريق كامل متكامل متخصّص، بدأ التوتر يظهر علينا جميعاً كفريق وخصوصاً على المتطوعين. إذ كنا نعمل لما يزيد على اثنتي عشرة ساعة يومياً كي نتمكن من تصوير أكبر قدر من المشاهد في اليوم الواحد، خصوصاً أنَّ صاحب المزرعة كان قد طلب منا أن نغادر أرضه بأسرع وقت لأسباب عائلية. فصار ضيق الوقت وقلة خبرة الفريق وصغره سبباً للعمل المشحون، مرات بتوتر ومرات بشغف كبير لإنهائه على أكمل وجه. رغم أنه في النهاية، يمكنني القول إن لقطات كثيرة لم يتم تصويرها وحوارات يجب إعادتها وكانت قائمة طويلة من اللقطات التي يجب أن أعمل عليها وقعت كلها ضحية الاستعجال والبدائية في العمل.

وقد أخذنا الوضع الجديد الذي فُرض علينا إلى خط جديد في تصوير الفِلم ربما كان نافعاً لنا في النهاية، ومن هنا جاءتنا فكرة الـ «VOICE OVER» (أي الصوت المضاف لاحقاً على التصوير) والاستغناء عن الحوارات، وتكثيف الصورة الرمزية. ولأني اعشق الشتاء والغيم والمطر كنت متابعاً جيداً لحالة الطقس، وكنت أريد ان أضيف مشهد السماء والغيوم فيها، إلا أني اكتشفت أن السماء تعاندني ولا بد من التنازل عن مشهد الغيم.

كانت ميزانية الفِلم لا تتجاوز الخمسين ألف ريال. ذهبت إلى أمريكا للبحث عن استديو لمونتاج الفِلم. ولعدم توفر ميزانية كافية لم أجد استديو مناسباً، لذلك عدت إلى العمل على المونتاج بنفسي فاستغرق مني تسعة أشهر، وحصلنا على دعم من «مايلز استديو» بدبي الذي عمل على تصحيح الألوان وهندسة الصوت وفق ميزانيتنا.

ولا بد لي من الإشارة إلى أن معرفتي بصناعة الفِلم اكتسبتها بالتعلّم والدراسة. ولكن لا يمكنني أن أنسى دور برنامج «إثراء» وورشة عمل صناعة الفِلم حين أحضرت أرامكو السعودية أهم جامعة على مستوى العالم تُدرِّس الفن السينمائي USC. وكنت ممتناً للقائمين على الورشة لأنهم مكّنوني من حضورها، حيث كانت مفيدة جداً في تعليمنا تقنيات جديدة في عالم السينما، تساعد المبتدئين على تصوير أفلامهم.

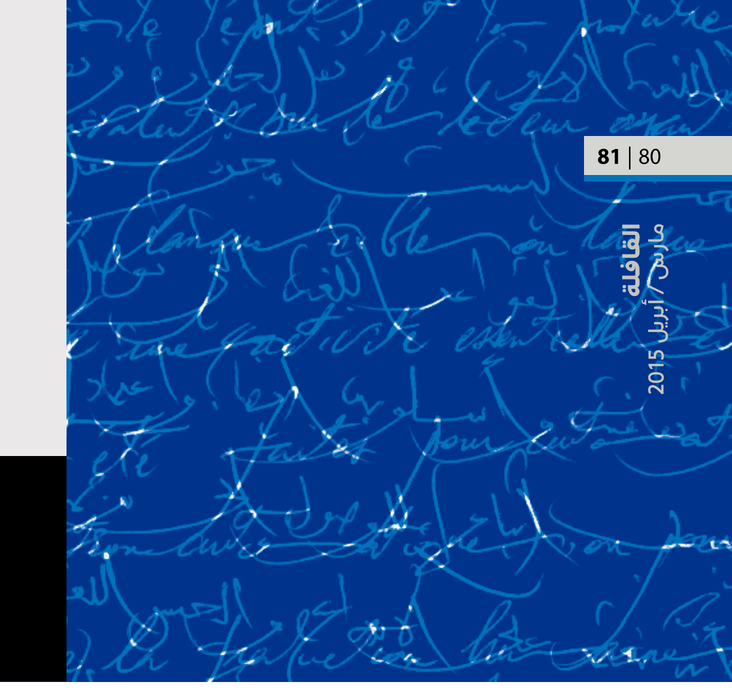
مهرجان الأفلام القصيرة (كان)

بعدما لاقى فِلم «مخيال» قبولاً جماهيرياً عالياً في مهرجان أفلام السعودية في الدمام، وبعدما وجدنا أن فِلمنا تمكَّن من جذب عدد كبير من المهتمين والنقاد المعنيين بالسينما السعودية، جاءنا خبر جديد على قدر كبير من الأهمية أيضاً، وهو أن الفِلم سيشارك في ركن الأفلام القصيرة في مهرجان «كان» العالمي وليس في المسابقة الرسمية. وأجد المشاركة خطوة متقدمة جداً لتكون حدثاً سينمائياً مهماً لنا. وهي فرصة للتعريف بالفِلم وترويجه بشكل خاص، ونشر المعرفة حول السينما السعودية للذين يعتقدون أن لا سينما في بلادنا. وقد سبقنا مخرجون سعوديون كثر إلى بث الدعاية والإعلان عن قدرات السينما السعودية التي جعلت عدداً كبيراً من أفلامها ينافس في المسابقات العالمية ويحصد الجوائز المهمة.



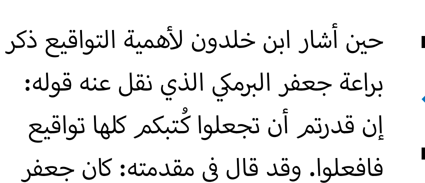






التواقيع: اللغة الوامضة

بقلم
فوزي المطرفي



حين أشار ابن خلدون لأهمية التواقيع ذكر براعة جعفر البرمكي الذي نقل عنه قوله: إن قدرتم أن تجعلوا كُتبكم كلها تواقيع فافعلوا. وقد قال في مقدمته: كان جعفر ابن يحيى يوقّع في القصص بين يدي الرشيد، فيتنافس البلغاء في تحصيلها، للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها. وقبل ذلك، استشهد النقاد في كثير من الأعمال القرائية على اللغة الشعرية التي قد تكون مختبئة في جملة عارضة، وجواب شارد، ورد مسكت، ووصف عابر.. أي في الحديث الذي يختصر الوزن والقافية والمعنى والخيال، ويشعر المستمع فيه بذات الشعور الذي يتركه الشعر من هزة. قاسوا ذلك على جواب حسان بن ثابت حين طلب من ابنه وصف الطائر الذي لسعه، فقال: كأنه ملتف في بُردي حبرة، يعني الزنبور، فرد حسان منتشيًا: قال ابني الشعرَ وربّ الكعبة! وقد علق مؤسس علم البلاغة عبدالقاهر الجرجاني على هذا الخبر مفرقاً بين الذهن المستعد للشعر وغير المستعد له.

فكرة هذه التواقيع أو الجمل القصيرة والمعاني المكثفة اتسعت بشكل مشروط في لغة تويتر كشاهد حاضر، فأصبح متعاطي هذه النافذة، ينظر للإيجاز على أنه ضرورة، وبالتالي ازداد الحرص وارتفع الجهد في تنميق سطر لافت يضمن لذاذة الإمتاع ومباعث التأمل. ومن بين كثير من المغردين، كان هناك سرب نابه جميل احتفظ بنغمة خاصة في الكتابة، وكأنما يصطحب الكلمات في نزهةٍ بريّة مملوءة بالمواعيد والضحكات.

من شواهد هذه التواقيع التي أزعم فرادتها وتألق أصحابها، ما يمكن مطالعته في قلم يوسف حماد ورشاد حسن وإيڤانوڤنا رومانوف على سبيل المثال، حيث يتشكل المعنى في حضورهم على هيئة حديقة وأطفال يتغنون بالمراجيح، وأحياناً على هيئة عبارة مبتهلة على باب حزين لم يطرقه زائر، أو على شكل حارة منسيّة حفظت ملامح الزحام والسعة وضاعت في التمدن.

نعم، اللغة يمكن أن تنمو، ولا ضرر حين نصفها بالكائن الحي، حيث لها قلب يحمل شهيقاً ظاهراً وزفيراً متجدداً، منذ كانت فكرة المناغاة إلى حد تعلم الكلام وانطلاقه، لكن الامتياز في هذا النمو الفاتن (والفاتن شرط) لا يكون دون دهشة والتماع، على شاكلة: «لا أستطيع أن أشتري رصاصاً بعدد أعدائي، فهناك أعداء يولدون عند بائع الذخيرة» أو على ازدهار مكثف: «حينما تقرع الجرس، يتذكّر الباب، فأس الحطّاب» أو على اتساع وإيجاز: «شعور الكره عندي بسيط لا يؤذي. لا يختلف عن شعور الكره الذي يكنه طفل تجاه حارس الملاهي» والشواهد التي تصافح نوافذ الضوء الأجد كثر.

لا أشك أن هناك اشتغالاً مشابهاً في حقل التواقيع الوامضة، من أسماء كثيرة تستحق الإشارة والإشادة، بيد أني لا أريد إلَّا التلويح على هذا الخط الذي بدأ يتسع متوازياً مع النوافذ التواصلية بشكل عام، وتويتر على الأخص الأشهر. وأعلم تماماً أن هذا الحضور لم يقطف السبق، بل جاء مكملاً للرؤية التي ترفع من شأن الإيجاز والإحساس بالكلمات.

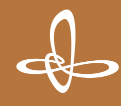
ولا أدري حقيقة عن وجاهة هذه القراءة في نتاج نوافذ التواصل، ولكن الإصدارات الحديثة التي تتواتر في معارض الكتب، تظهر حضوراً مختلفاً لأقلام شابة، تأسست على لغةٍ سهلةٍ طيّعة، وأخذت طريقاً مختلفاً للتعبير الذي هو بمنزلة الأيقونة ذات الحواس المنتبهة! الأيقونة ذات اللغة الوامضة التي تراهن على البقاء.. بالجواب الذي يحضر في إهاب الشعر واللغة الأنيقة، وبالتداعي الملتف بأسباب الجمال، وبالكلمات العميقة، ولكل زمنٍ أهلٌ وكلمات..

تقرير القافلة

اتجاهات القراءة وأنماطها

لدى المجتمع السعودي

هذا التقرير تلخيص مكثّف للدراسة التي تحمل العنوان نفسه، والتي أنجزها مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي، الذراع الثقافية لأرامكو السعودية، في مسعى لفهم العلاقة بين المواطن السعودي والقراءة، بصفتها دليل تَقَدُّم الأمم ورقيها، واقتراح الحلول التي تعزِّز الإقبال على القراءة لدى الصغار والكبار.



مركز الملك عبد العزيز الثقافي العالمي
مبادرة من أرامكو السعودية



لقد أجرى الباحثون استبانات لم يسبق أن أجري مثلها في عمقها واتساعها في المملكة والخارج، وقرأوها على ضوء مطالعاتهم لمراجع عربية وأجنبية لفهم أنماط القراءة واتجاهاتها وحوافزها ومعوقاتها. وتناولت الاستبانات استطلاع آراء المواطنين، صغاراً وكباراً، وآراء الناشرين وأمناء المكتبات العامة والجامعية والمدرسية والمتخصصة. أما المراجع فضمت مجموعة وفيرة من الدراسات الأجنبية والعربية. كذلك استعانت الدراسة بعدد من ورش العمل في هذا الموضوع.

القراءة ومجتمع المعرفة

إدراكاً لدور القراءة واستهلاك المعرفة في تحقيق التنمية المستدامة للمجتمعات؛ تأتي هذه الدراسة التي أسهم في وضعها الاستشاري «مجموعة الرواد»، لمسح اتجاهات القراءة الحرة، وأنماطها، ومعوقاتها، وطرق استهلاك المعرفة لدى أفراد المجتمع السعودي. وهي ترمي للتعرف على اتجاهات القراءة وأنماطها ووسائل ومصادر التزود بالمعرفة لدى أفراد المجتمع، وذلك عبر مختلف أعمارهم وفئاتهم الاجتماعية، والأثر المحتمل لجنس الفرد وعمره، ومستواه التعليمي، والمستوى التعليمي للوالدين، ومستوى دخل الأسرة والمنطقة الإدارية التي يعيش فيها على اختلاف اتجاهات وأنماط القراءة للأفراد.

وتسلط الدراسة الضوء على دور الآباء والأمهات والمدرسة والمكتبة في تنمية اتجاهات القراءة وأنماطها لدى النشء، وأهم المعوّقات التي تمنع تكوين السلوك القرائي والتزود بالمعرفة لدى أفراد المجتمع.

لقد قام فريق الدراسة المكلَّف بتطبيق الأدوات على 15,000 فردٍ تم اختيارهم عشوائياً من 13 منطقة إدارية ليمثلوا أفراد المجتمع السعودي، يتوزعون في المدن والمراكز والقرى والهجر، يُضاف إليهم 1434 من أمناء المكتبات في 13 منطقة إدارية وعدد من الناشرين السعوديين في المناطق الإدارية.

حددت عينات الدراسة حسب أدق المعايير، وشملت أفراد المجتمع السعودي من الأطفال والكبار، وتميزت باشتمالها على عينات من المستهلكين والمنتجين، إذ تضمنت آراء الناشرين السعوديين والعرب، ومجموعة من أمناء المكتبات السعودية. استخدمت الدراسة لتحقيق أهدافها عدداً من الأدوات الكمية والنوعية بما في ذلك الاستبانات وورش العمل وحلقات النقاش المركز والمقابلات المعمَّقة.

نفَّذ الدراسة فريق عمل قوامه 386 عضواً على مستوى المملكة توزعوا في 13 منطقة إدارية وشمل المسح كل المدن والقرى والهجر؛ وقد انطلق فريق المسح الميداني المكون من أكثر من 250 مشرفاً وماسحاً من 41 مدينة في عموم المناطق، وتم جمع 23,000 استبانة حُلِّل منها 16,000 استبانة.

وإلى جانب المسح الميداني تم تنفيذ عدد من الفعاليات في سبع مدن ما بين ورش العمل العلمية وحلقات النقاش المركز. شارك فيها أكثر من 500 مشارك من الخبراء والمثقفين والإعلاميين والأدباء والمؤلفين وأصحاب دور النشر، وأصحاب المبادرات القرائية الشبابية، وأجريت مقابلات معمقة مع عدد من المسؤولين وأصحاب القرار في بعض الوزارات، إضافة إلى رؤساء الأندية الأدبية.

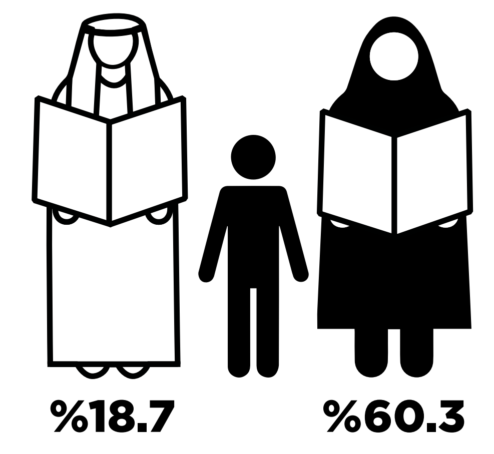
اتجاهات القراءة

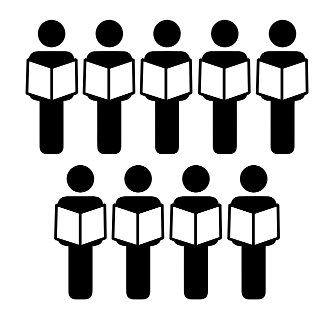
جاءت نتائج الدراسة الكمية على النحو التالي:

- 93.7% من أفراد المجتمع يهتمون بتنمية القراءة الحرة لأطفالهم: 63% لديهم اهتمام كبير، و30.7% اهتمامهم متوسط، و6.3% اهتمامهم ضعيف.
- 37.9% من الكبار يهتمون بالقراءة الحرة بشكلٍ كبيرٍ، و50.3% لديهم اهتمام متوسط، و11.8% اهتمامهم ضعيف، واهتمام الإناث بالقراءة الحرة أكبر من الذكور نسبياً.
- وافق 73.8% من عينة أفراد المجتمع من الكبار على أن انتشار التكنولوجيا زاد معدل قراءتهم، وخالفهم



اهتمام القائمين على رعاية الأطفال بتنمية القراءة لأطفالهم







من يقرأ للطفل

في ذلك 13.5%، وذكر 59% من الكبار أنهم يفضلون مشاهدة التلفاز على القراءة، ووافق 33.1% منهم على أن القراءة تعزل الفرد عن محيطه، وعارضهم في هذا 44.5%. وبلغ متوسط المدة اليومية للقراءة الحرة: عند الأطفال 56 دقيقة، وعند الكبار ساعة و21 دقيقة، فيما عدا الوقت المخصص لقراءة القرآن الكريم.

الأمهات يقرأن لأطفالهن أكثر من الآباء

تشير النتائج إلى أن 83.3% من الآباء والأمهات أو القائمين على رعاية الطفل يقرأون لأطفالهم بانتظام، وشكّلت الأمهات نسبة 60.3%، والآباء نسبة 18.7%، والقائمون على رعاية الطفل 4.3%.

قراءة القرآن الكريم

غالبية الأطفال في المجتمع السعودي يقرأون القرآن الكريم يومياً؛ إذ أفاد 60.8% منهم أنهم يقرأونه بصورة منتظمة، بمتوسط 47 دقيقة في اليوم، كما أفاد 40.3% من الكبار أنهم يقرأون القرآن الكريم يومياً، 55.8% تزيد أعمارهم على 40 سنة؛ وهم أكثر قراءة للقرآن الكريم كل يوم، وحلت المرحلة العمرية من 13 إلى أقل 15 سنة في المرتبة الثانية بنسبة 46.4%. والمتقاعدون من أكثر الفئات مداومة على قراءة القرآن الكريم، بنسبة 52.5%، ثم ربات المنازل بنسبة 46%.

الهدف من القراءة الحرة

أهداف القراءة لدى الأطفال على النحو التالي: 47.3% لإنجاز مهمة، 40.6% للحصول على معلومة، و15.2% لشغل أوقات الفراغ، و4.9% لإشباع ميولهم الأدبية. أما أهداف القراءة لدى الكبار، فهي: 57.8% للحصول على معلومة؛ و29.2% لشغل أوقات الفراغ؛ 14.1% لإنجاز مهمة، و10.9% للميول الأدبية.

عدد الكتب المقروءة

ثمة علاقة بين الدخل وعدد الكتب التي تُقرأ في العام الواحد، إذ كلما زاد الدخل زادت نسبة من يقرأون من 22 كتاباً إلى 25 كتاباً، وكلما قلَّ الدخل ارتفعت نسبة الذين لا يقرأون أي كتاب.

تنمية حافز الميل نحو القراءة

أظهرت النتائج أن الأم هي أكثر الأشخاص تأثيراً في تحفيز ميول القراءة لدى الأطفال بنسبة 67.1%. وجاء الجد/ الجدة في المنزلة الأخيرة بنسبة 12.3%، أكثر من له تأثير قوي في تحفيز القراءة لدى الكبار هو الشخص نفسه بنسبة 67.6%.

الإنفاق على القراءة

51.7% من الأطفال ينفق ذووهم أقل من 100 ريالٍ شهرياً في توفير كتب ورقية وإلكترونية ومجلات أطفال. و37% من الكبار ينفقون شهرياً أقل من 100 ريالٍ، مقابل 24.8% معدل إنفاقهم الشهري بين 100 و300 ريال، وثمة علاقة بين مستوى الدخل والإنفاق الشهري على القراءة.

ارتياد المكتبات

الأطفال يرتادون المكتبة العامة: 3.9% يومياً؛ و8.2% مرة في الأسبوع؛ و13.1% مرة في الشهر؛ و12.1% مرة في السنة، ومتوسط المدة التي يستغرقها الأطفال في المكتبة العامة 41 دقيقة. و61.6% من الكبار لا يرتادون المكتبات العامة، مقابل 38.4% يرتادونها؛ بواقع 4% يومياً؛ و7.3% مرة في الأسبوع؛ و11.6% مرة في الشهر؛ و15.5% مرة في السنة.

زيارة معرض الكتاب

من نتائج الدراسة أن 25.8% من الأطفال و65% من الكبار زاروا معرض الكتاب خلال الأعوام الثلاثة السابقة.

موضوعات القراءة

أكثر الموضوعات التي يقرؤها الأطفال المسابقات والألغاز بنسبة 54.7% وحلت الموضوعات اللغوية المبسطة في المرتبة الأخيرة بنسبة 14.8%، أما الموضوعات التي تحظى قراءتها باهتمام كبير لدى الكبار فهي: القصص والروايات 33.8%؛ والدينية 31.7%؛ والرياضية 30.2%؛ والألغاز والمسابقات 29%، والسياسية 15.3%؛ والتنمية البشرية 12.7%؛ والموسوعات ودوائر المعارف 12%؛ والمشاريع الصغيرة 11.9%؛ والإدارة 11.5%؛ والأكاديمية 11%؛ والجغرافية 10.3%.

والموضوعات المفضّلة عند الأطفال المسابقات بنسبة 57.2%، وجاءت الموضوعات العلمية المبسطة الأقّل تفضيلاً لديهم 17.2%، وحلّت الموضوعات الرياضية في المجلات والصحف في المرتبة الأعلى تفضيلاً للكبار 35.1% مقارنة بالموضوعات الأدبية 20.7% وهي الأقّل تفضيلاً. أما موضوعات القراءة الدينية فمتزايدة لدى



%78.1

يستمتعون بالقراءة



%10

لا يستمتعون بالقراءة



%13

لم يحدّد رأيهم

مدى استمتاع أفراد المجتمع الكبار بالقراءة الحرّة

الفئة العمرية من 40 سنة فأكثر، فيما قراءة موضوعات التقنية تزيد كلما قلّ السن، و48% من الشباب يغلب عليهم قراءة القصص والروايات، والرياضة.

عوامل الجذب

أكثر العوامل جذباً للأطفال: الألوان والرسوم 66.9%؛ ثم الموضوع 52.4%؛ فالعنوان 46.2%،؛ والإخراج الفني 23.6%؛ وأخيراً المؤلف 12.4%. وأكثر ما يجذب الكبار: الموضوع 76.3%؛ ثم العنوان 63.2%؛ والألوان والرسوم 32.4%، فالمؤلف 28.8%؛ والإخراج الفني 21.2%.

أنماط القراءة: تفضيل القراءة الورقية على الإلكترونية

19.9% من الأطفال، كما أفاد ذووهم، يفضلون القراءة الورقية على الإلكترونية، و15% منهم لا يرون أي فرق بين النمطين. بينما يفضل 22.2% من الكبار القراءة الورقية، و13.1% لا يجدون فرقاً بينهما.

لغة القراءة المفضَّلة

وبينت النتائج أن اللغة العربية هي اللغة المفضّلة بدرجة كبيرة للقراءة من وجهة نظر 80.4% من الأطفال، ويفضِّل 13.1% منهم الكتب باللغتين (العربية/ الإنجليزية). والعربية هي اللغة المفضَّلة عند 83.8% من الكبار، و12.9% يفضلون القراءة بالإنجليزية؛ و22% من أصحاب الدخل المرتفع يفضلون القراءة باللغة الإنجليزية أكثر من غيرهم.

%19.9
%22.2

%15
%13.1





معوقات القراءة

عدم وجود مكتبة عامة قريبة 66.4%؛ وانشغال الطفل باللعب عن القراءة 64.4%؛ ووجود أعمال تشغل الآباء عن القراءة للأطفال 59.7%، ولا يطلب المعلمون من الطلبة قراءة إلى جانب المقرر 57.5%؛ ولا تعاون بين البيت والمدرسة 53.9%؛ ومحتويات المكتبة العامة قليلة وغير مشجعة للأطفال 50.7%؛ وارتفاع أسعار الكتب 44.9%؛ ولا يجد الطفل متعة في القراءة 40.8%؛ وعدم وجود مكان مناسب للقراءة 35.5%؛ وأخيراً ضعف وآلام البصر 15.1%.

أما معوقات القراءة لدى الكبار، فتمثلت في وسائل بديلة للقراءة، مثل: التلفاز والمجالس 72%؛ وعدم وجود مكتبة قريبة 70.7%؛ وعدم توافر الوقت الكافي 65.8%؛ وارتفاع أسعار الكتب 61.2%؛ ومحتويات المكتبة العامة قليلة أو غير مشجعة 59.3%؛ ولا أجد متعة في القراءة 33%؛ وأخيراً ضعف وآلام البصر 25.1%.

المواقع الإلكترونية الأكثر تصفحاً

أكثر المواقع على الإنترنت تصفحاً، لدى الأطفال مواقع الرسوم المتحركة بنسبة 51.3%، والمواقع العلمية وتقنية المعلومات هي الأقل تفضيلاً لديهم. أكثر مواقع الإنترنت تصفحاً لدى الكبار: مواقع التواصل الاجتماعي بنسبة 44.3%، وحلت المواقع الأدبية في المرتبة الأخيرة بنسبة 19.8%. ربات البيوت يفضلن مواقع تهتم بموضوعات الطبخ؛ والتجميل؛ والموضة، في حين يفضل الطلاب تصفح مواقع الإنترنت المهتمة بالرياضة.

مصادر المعرفة

الأسرة هي المصدر الأبرز لدى 80% من الأطفال، تليها: المدرسة، والروضة، والتلفاز، ووسائل الإعلام ، والكتاب، والمسجد، والإنترنت، والألعاب الإلكترونية، والأصدقاء، والمجالس. ويرى الكبار أن الكتاب هو مصدر المعرفة الرئيس، تليه: وسائل الإعلام، والأسرة، والمواقع الإلكترونية، والمدرسة، والجامعة، والمسجد، ومواقع التواصل الاجتماعي، والمؤتمرات والمحاضرات، والعمل، والأصدقاء، والمجالس واللقاءات العائلية، والصحف والمجلات، والمنتديات والصالونات الثقافية، والألعاب الإلكترونية.

المكتبات مصدر للمعرفة

توفر 81.9% من المكتبات خدمة الإعارة الخارجية؛ و85.8% من المكتبات بشكلٍ عام غير مشتركة في قواعد معلومات رقمية، و38.9% منها لا تستخدم نظاماً آلياً متكاملاً للمكتبات، و81.6% منها لا تقتني كتباً إلكترونية و50.8% منها تعمل دون ميزانية.

وتبين أن 10.4% من المكتبات تزوِّد كتباً ودوريات بانتظام، و45% تزوِّد أحياناً، و44.6% نادراً ما تزوِّد أو لا تزوِّد. ويهتم روّاد المكتبات بالمصادر المعرفية الورقية أكثر من المصادر الإلكترونية كما يلي: الكتب، والمجلات والصحف والدوريات، وبعدها الأبحاث، ثم التقارير، فالمطبوعات الحكومية، وأخيراً الملخصات.

النشر وإنتاج المعرفة المقروءة

ما زال النشر الورقي متصدراً النشر الإلكتروني، كما أفاد بذلك 58.6% من الناشرين السعوديين، ونسبة من يجمع بينهما لا تتجاوز 37.1%، لكن 41.4% منهم يرون أنَّ مستقبل النشر سيكون إلكترونياً، مقابل 38.8% يرون أنه سيتساوى مع النشر الورقي. وذكر 44.8% من الناشرين أن حجم المبيعات متزايد خلال السنوات الخمس الأخيرة، وأفاد 70.7% أن أكثر الكتب مبيعاً هي الكتب المكتوبة بلغة عربية فصيحة.

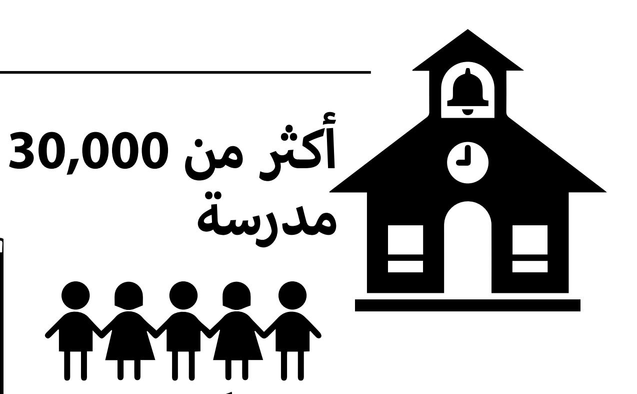
كما جاء ترتيب التوجه العام لدى دور النشر بدرجة كبيرة، حسب النسب التالية: التأليف 62.1%، ثم التحقيق 30.2%، لتأتي بعدها الترجمة 27.6%، وأخيراً الملخصات 23.3%. وتصدّر انتهاك حقوق الملكية الفكرية قائمة معوقات التأليف، وتصدّر ارتفاع أسعار الطباعة معوقات النشر، وتصدّر غياب برامج دعم الترجمة معوقات الترجمة، وجاءت الرقابة معوقاً أخيراً للتأليف والترجمة، بينما جاء عدم توافر الأيدي العاملة معوقاً أخيراً للنشر.

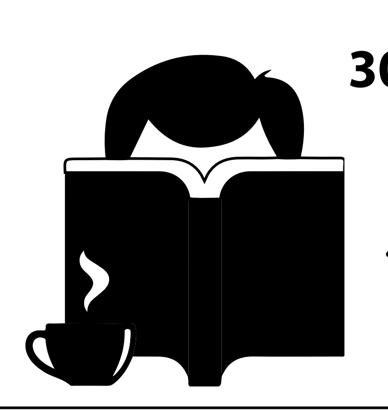
مؤشرات التقدُّم نحو بناء مجتمع المعرفة السعودي

اختتم تقرير المعرفة العربي للعام 2010 - 2011م الذي جاء بعنوان «إعداد الأجيال الناشئة لمجتمع المعرفة» (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، 2011م)، بتقديم رؤية مقترحة لإعداد الأجيال المقبلة لمجتمع المعرفة:

- «توافر الرغبة للتحرك» وفي مقدمتها الإرادة السياسية والمجتمعية.
- «المقدرة على التحرك» من خلال التعرف إلى العوائق والمحددات.
- «كيفية التحرك» التي تغطي أساليب بناء المهارات.
- «كيفية زرع القيمة وتحقيق التمكين».

فالمملكة في ضوء قوة بنيتها الاقتصادية ومجاراتها للتطورات العالمية التقنية والمعلوماتية، تبنت الدخول في معترك الاقتصاد المعرفي، فتفوقت في بعض الجوانب وتأخرت في جوانب أخرى. لكن هذا لم





تُعد القراءة السبيل الأول لتحصيل العلم والمعرفة، وقد سار المعرفيون إلى أبعد من ذلك في أن القراءة شكل من أشكال التفكير

يمنعها من تبني فكرة بناء مجتمع سعودي معرفي بل أضحت استراتيجية وطنية تنتهجها وتعمل وفقها. فقد أخذت حركة المكتبات في المجتمع السعودي شكلاً منظماً مع بدايات العقد السابع من القرن الماضي عندما أسست جمعية المكتبات والمعلومات السعودية في العام 1971م، وتبع ذلك تأسيس جمعية الناشرين السعوديين في العام 2003م.

كما أخذت المملكة على عاتقها خطوات سريعة وضخمة نحو التغيير الرقمي؛ وكان آخر هذه الخطوات «مشروع المحتوى الرقمي العربي» على الإنترنت، والمرصد الإحصائي (مأرب)، والتقرير التأسيسي للمحتوى الرقمي العربي: «الواقع - الدلالات - التحديات»، الذي أطلقته «مؤسسة الفكر العربي» بالتعاون مع مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي. وتُعد مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية إحدى أهم المؤسسات المعرفية، ولها ستة معاهد بحثية رئيسة متخصصة في مجالات البترول والموارد الطبيعية وبحوث الطاقة، وبحوث الحاسوب والإلكترونيات، والفلك والجيوفيزياء وفي علوم الفضاء. وإلى جانب مؤسسات الثقافة والإعلام توجد 700 دورية في المملكة بينها عشرات الدوريات العلمية (بكري، 2009م).

كذلك يوجد في المملكة أكثر من 30,000 مدرسة، يدرس فيها 4,616,595 طالباً وطالبة حسب إحصاءات وزارة التربية والتعليم المنشورة في موقعها الرسمي (www.moe.gov.sa) في 2014م. وهناك أكثر من 25 جامعة حكومية إضافة إلى جامعات التعليم العالي الأهلية، وهذه المؤسسات تضم نحو 1,206,700 طالبٍ وطالبة في إحصاء نشرته وزارة التعليم العالي على موقعها الرسمي (www.mohe.gov.sa) عام 2014م.

ويُؤمل أن يُشكّل مركز الملك عبدالعزيز الثقافي العالمي إحدى الركائز المهمة لمجتمع المعرفة السعودي.

القراءة

تُعد القراءة السبيل الأول لتحصيل العلم والمعرفة، وقد ذهب المعرفيون إلى أبعد من ذلك في أن القراءة شكل من أشكال التفكير. بل ذهب بعضهم إلى أنها التفكير بحدّ ذاته (Martin, 1999). وتشير الأدبيات العلمية إلى أن للقراءة أغراضاً، منها: أنها تتيح للقارئ فرصاً لمعرفة الإجابات عن أسئلته واستفساراته ومحاولات الاستكشاف واستخدام الخيال، وتقبل الخبرات الجديدة وتحقيق الثقة بالنفس، وروح المخاطرة في مواصلة البحث وحبّ الاستطلاع (شحاتة، 1992).

الاتجاهات نحو القراءة

للمستوى التعليمي والاقتصادي للأسرة دورٌ كبير في تنمية اتجاهات الأفراد نحو القراءة، فتشجيع الأسرة وتوفيرها مواد القراءة المناسبة يؤديان دوراً كبيراً في عادات الأبناء واتجاهاتهم نحو القراءة. وفي المقابل وجد أن الأطفال الذين يعيشون في أسر لا تهتم بالقراءة يكون توجههم نحو القراءة دون المستوى المطلوب (Lin, 2001)، وأنَّ الاتجاه نحو القراءة يكون إيجابياً كلما تقدم الأفراد في المراحل التعليمية (2004 ,Sainsbury, & Schagen).

ويلخص ساركو (Saracho, 2002) ستة سلوكيات من شأنها تنمية مهارات القراءة لدى الطفل كما يلي:

- قراءة الوالدين أمام أطفالهم لتحفيزهم على القراءة.
- رفع سقف توقعات الوالدين بما يرغبون في أن يحققه أبناؤهم بما يتعلق بالقراءة والكتابة.
- تقديم خبرات قرائية تعليميّة في المنزل تشتمل على أدوات القراءة والكتابة الخاصة بالأطفال.
- قراءة الوالدين بمصاحبة أطفالهم في المنزل.
- تفاعل الوالدين مع أبنائهم بالقراءة بطرق عدة في البيئة المنزلية.
- منح الأطفال فرصة كسب خبرات القراءة من خلال مراقبة الراشدين وهم يقرأون.

ثم تأتي المدرسة في المرتبة الثانية من ناحية تنمية المعرفة لدى الطفل. وتزخر الدراسات بما يؤكد أن جميع ما يحيط بالفرد القارئ من بيئة طبيعية وسياق اجتماعي اقتصادي يؤثر في حجم القراءة واتجاهها. (مجلة «نحو مجتمع المعرفة» جامعة الملك عبدالعزيز). وفي مقابل تكوين الاتجاهات الإيجابية للقراءة؛ ثمة معوقات يمكن تصنيفها على النحو التالي:

- **المعوقات الشخصية:** عدم توافر الوقت الكافي، والانشغال بوسائل الإعلام الجديدة، وعدم التعوّد على القراءة من الصغر، أو عدم توافر الكتب المناسبة، وبُعد المكتبات العامة.
- **معوقات مدرسية:** الانشغال بالدراسة وأداء الواجبات المدرسية، وقلة الوقت المتاح في مكتبة المدرسة، وكثافة المنهج الدراسي.
- **معوقات اجتماعية:** صرف الوقت في العمل على توفير متطلبات الحياة على الأسرة، قضاء الوقت مع الأصدقاء، أو مساعدة الأسرة في أعمال المنزل.

ويلاحظ وجود علاقة وثيقة بين ثلاث جهات: الأسرة؛ والمدرسة؛ ووسائل الإعلام.

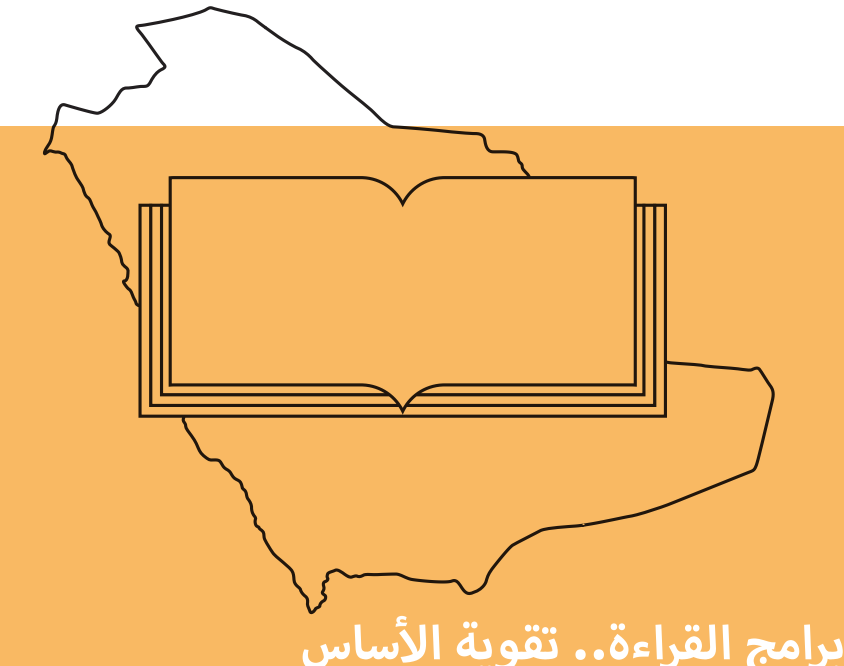
القراءة من لوح الخشب إلى اللوح الإلكتروني

جاءت فكرة الكتاب الإلكتروني من مايكل هارت الذي أنشأ في العام 1971م مشروع غوتنبرغ، لنشر جميع الكتب ذات الملكية العامة على الإنترنت لتمكين الجميع من الحصول على أمهات الكتب من مختلف العصور مجاناً، وأظهر آخر إحصاء وجود 42,000 كتاب إلكتروني على الرابط التالي: www.gutenberg.org.

ورغم ما يبدو عليه النشر الإلكتروني من سهولة، فإن الأمر لا يخلو من عوائق عدة، منها: الحاجز التقني، يضاف إليه عدم الثبات وصعوبة حفظ حقوق النشر. ومع ذلك للنشر الإلكتروني مميزات، منها: إمكانية تجميع الوثيقة بأشكال متعددة: صوتية؛ ونصية؛ وصورية، وإمكان الإنتاج السريع. والمكتبة الإلكترونية تبدو غير مرئية (افتراضية)، أو أصغر حجماً لدرجة يسهل وضعها في الجيب، بصرف النظر عن تعدد محتوياتها.

المكتبات العامة

للمكتبات العامة وظائف عدّة، أهمها: وظيفة ثقافية ومعرفية، ووظيفة تعليمية، ووظيفة إعلامية. أما المكتبات المدرسية فيمكن النظر إليها باعتبارها مؤسسات معرفيّة مهمة في توفير التدفق الحرّ للمعلومات، والمحافظة على المعرفة وزيادتها ونشرها،



برامج القراءة.. تقوية الأساس والدعائم للمجتمع المعرفي

تخطو برامج القراءة والمعرفة في المملكة خطوات مهمة في سبيل تحويل المجتمع السعودي إلى مجتمع معرفي. وفيما يلي عرض موجز لأبرز المشاريع والبرامج التي أمكن الاطلاع عليها.

1. المشروع الثقافي الوطني لتجديد الصلة بالكتاب (مكتبة الملك عبدالعزيز العامة)

ومن أهم برامجه ما يلي:

- **نادي كتاب الطفل في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة:** وهو نادٍ للقرَّاء الصغار لتخريج جيل قارئ متطلع للمعرفة، وإلى تجاوز الصعوبات والعقبات العائلية وغيرها. يتولى النادي إرسال كتاب أو أكثر بالبريد العادي، يتناسب مع عمر الطفل في مطلع كل شهر هجري، وفي التقرير السنوي 1433هـ أن عدد الأطفال المشتركين في النادي بلغ 6,732 طفلاً.
- **برنامج القراءة في المطارات:** يوفّر مجموعة من الكتب بين أيدي المسافرين عبر مطارات المملكة، وبحسب التقرير السنوي 1433هـ 2012م، بلغ عدد المستفيدين في مطار الملك خالد الدولي في الرياض 357,168 مستفيداً.
- **المكتبة المتنقلة:** قدّمت خدمات القراءة والاطلاع لما يزيد على 120,000 شخص؛ منهم 25,000 استفادوا من خدمة المكتبة الإلكترونية والإنترنت، و95,000 مستفيد من قاعات القراءة والاطلاع (التقرير السنوي للمكتبة 1433هـ-2012م).

2. المكتبات العامة

يتبع وزارة الثقافة والإعلام، 84 مكتبةً عامةً، منتشرة في مدن المملكة ومحافظاتها. وتقدم عدداً من الخدمات المساندة، مثل: الإعارة والتصوير والفهرس الإلكتروني وإقامة الندوات وتنفيذ مسابقات تشجيعية؛ واستقبال طلبة المدارس.

3. المكتبات الجامعية والمدرسية

المكتبات المدرسية (مصادر التعلم) أحد برامج وزارة التربية والتعليم، وترمي إلى دعم تكنولوجيا التعليم في مدارس المملكة، وبدأت في العام 1998م، وتجاوز عددها 6500 مصدر تعلم.

أما المكتبات الجامعية، فتوجد لكل جامعة مكتبة مركزية بواقع 25 مكتبة مركزية. وبحسب قاعدة بيانات مكتبة الملك فهد الوطنية، بلغ عدد هذه المكتبات 183 مكتبة.

4. المكتبة المتنقلة (أرامكو السعودية)

تأتي ضمن المشاركة المجتمعية لأرامكو السعودية في تعزيز المعرفة والقراءة في المجتمع وهي تهدف إلى تشجيع الطلبة على القراءة الحرة، وتعويدهم حبّ الاطلاع، وارتياد المكتبات في السنوات المبكرة من العمر الدراسي، لزيادة تحصيلهم العلمي.

وتنطلق المكتبة من مركزها بمعرض أرامكو السعودية بالظهران إلى المدارس الابتدائية في مدن المملكة وقراها.

5. مشروع «عربي21» لإعلاء قيمة القراءة (مؤسسة الفكر العربي بدعم من أرامكو السعودية)

مشروع أطلقته مؤسّسة الفكر العربي برعاية مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية وشركة أرامكو السعودية، للتشجيع على القراءة بالعربية، بصفتها لغة فكرٍ وعلمٍ ودينٍ وأدبٍ وهويةٍ.

وتساعد في إنهاء الاعتماد على مصدر وحيد هو الكتاب المدرسي إلى مصادر المعرفة الواسعة والمتعددة. وسيظل الكتاب المصدر الرئيس للقراءة على الرغم من مزاحمة المصادر الأخرى له. وعليه؛ فلا يمكن بناء مجتمع المعرفة إلا من خلال إيجاد الإنسان القارئ.

الدراسات المحلية

كشفت نتائج أحدث دراسة وطنية حول «اتجاهات القراءة الحرة في المملكة العربية السعودية واقعها ومستقبلها»، أجرتها وحدة الدراسات والبحوث في المجلة العربية (2012م) أنَّ 78% من أفراد المجتمع السعودي يمارسون القراءة الحرة، بينما لا يمارسها 21%. وأظهرت نتائج دراسة الشهري؛ ورسلان؛ وإبراهيم، (2008م) أن التفضيل القرائي الأول لدى الطالبات في جامعة طيبة هو قراءة الصحف والمجلات.

ومن دراسة الحريشي، والراجح، (2008م)، على 833 طالبة في جامعة الأميرة نورة بمدينة الرياض، أظهرت النتائج أنَّ المصادر المطبوعة التي تفضلها الطالبات هي المجلات، تليها الصحف، ثم الكتب المطبوعة. وأظهر تقرير دراسة «ماذا يقرأ العرب» في مرحلته الأولى (2007م)، أن 94% من السعوديين يقرأون الكتب، والمجلات، والصحف. وعن لغة القراءة المفضلة، أشار 95% إلى أن العربية هي المفضلة.

أما متوسط شراء الكتب فبلغ 2 - 3 كتب خلال السنة الماضية، و28% من السعوديين لم يشتروا أي كتاب. فيما بلغ متوسط إنفاق الفرد لشراء الكتب 20 - 38 ريالاً شهرياً.

وسعت دراسة سالم (2004م) إلى التعرف إلى اتجاهات طلاب المرحلة الثانوية في كل من مصر والسعودية. وأما دراسة الربيش (2003م)، فهدفت إلى التعرف إلى عادات القراءة والعوامل المشجعة عليها، وأهم المعوقات لدى طلبة المدارس الحكومية في الرياض.

ويمكن ترتيب الموضوعات التي يهتم بها مستخدمو الإنترنت على النحو التالي: الموضوعات الدينية، هي أهم الموضوعات عند المستخدمين، إذ اتضح أنها مهمة جداً لدى 92.3% ممن شملهم البحث، والموضوعات الثقافية، وهي في المرتبة الثانية بنسبة بلغت 89.6%. والموضوعات الاجتماعية، وهي في المرتبة الثالثة بنسبة 86.4%، والموضوعات الطبية، في المرتبة الخامسة بنسبة 75.7%، والنساء أكثر اهتماماً بها من الذكور، فقد ذكر 37.7% منهن أن الموضوعات الطبية مهمة جداً، مقابل 27% من الذكور.

الدراسات السابقة والمقارنات

أشار تقرير المعرفة العربي للعام 2009م (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي؛ مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، 2009م)، إلى أنه إذا جرى توزيع مجموع الكتب العربية المنشورة سنوياً على عدد السكان،

فسيكون نصيب كل 19150 مواطناً عربياً كتاباً واحداً فقط، مقارنة بكتاب واحد لكل 491 مواطناً بريطانياً، ولكل 713 مواطناً إسبانياً. وكشفت إحصاءات منظمة اليونيسكو (2003م)، أنَّ الطفل العربي لا يقرأ خارج المنهج الدراسي أكثر من ست دقائق، لكنه يمضي وقتاً أطول أمام التلفاز من الطفل الأمريكي والأوروبي. وأنَّ كل 20 عربياً يقرأون كتاباً واحداً في السنة، بينما يقرأ كل بريطاني بالمتوسط 7 كتب؛ أي ما يعادل ما يقرؤه 140 عربياً. ويشير التقرير إلى التراجع في مستويات استهلاك الصحف داخل الوطن العربي بين الأعوام 1996 و2003م، إذ كان متوسط توزيع الصحف اليومية لكل ألف مواطن عربي 78 نسخة العام 1996م ثم انخفض إلى 50 نسخة فقط العام 2003م.

وأجرت راجح (2007م) دراسة عن النشر الإلكتروني، وأثره في بناء وتنمية المكتبات الجامعية السعودية. وكشفت الدراسة عن وجود اتجاهات إيجابية بين المسؤولين عن مؤسسات النشر الإلكتروني في المملكة نحو فكرة تحويل المجموعات البحثية العربية إلى الشكل الإلكتروني.

وفي ضوء ما تقدَّم، على المستوى المحلي، يمكن القول إنَّ مجمل الدراسات كانت حول القراءة الحرة الإلكترونية، والقراءة الحرة الورقية. إضافة إلى تفضيلات القراءة لدى الطلبة في المدارس والجامعات والدافع للقراءة، ومفهوم الذات القارئة، والاتجاه نحو القراءة، والميول القرائية، واتجاهات الطلبة حول فوائد ومميزات ومشكلات القراءة على الإنترنت.

تميُّز الدراسة الجديدة

ولعل هذه الدراسة الجديدة تتميز عن الدراسات السابقة المحلية والعربية والأجنبية، من ناحية تناولها للقراءة الحرة من وجهات نظر ثلاث، هي: الأفراد القرَّاء؛ والناشرون بصفتهم منتجين، وأمناء المكتبات بوصفهم بيئات قرائية، إلى جانب تناولها مدى اختلاف معدل القراءة ومستوياتها وأنماطها، والاتجاهات نحوها ومعوقاتها، باختلاف عدد كبير من المتغيرات، لتشمل: عمر القارئ، وجنسه، ومستواه التعليمي، ودخله المالي، والمنطقة الإدارية، ومكان الإقامة. أما المكتبة، فتشمل: مكانها، ونوعها، والقطاع الذي توجد به، إضافة إلى المنطقة الإدارية التي توجد فيها المكتبة، وطبيعة النشر، والمنطقة الإدارية التي توجد فيها دار النشر. وأخيراً، فإن ما يميز الدراسة الحالية شمولها لعينة كبيرة الحجم لم تشملها أي من الدراسات أو المسوح السابقة على جميع الصُّعُد المحلية والإقليمية وحتى العالمية، لتأتي ممثلة لجميع فئات المجتمع السعودي ومن جميع المناطق الإدارية إلى جانب أمناء المكتبات والناشرين. وهذا من شأنه أن يؤسس لصدقية النتائج ودقتها عند استطلاع هذه النتائج واتخاذ القرارات في ضوئها.

إضافة إلى ما سبق، فإنه يمكن الوقوف عند المعطيات التالية:

ظهور ازدياد ملحوظ لمعدلات ونسب الاتجاهات الإيجابية نحو القراءة الحرة في أوساط السعوديين، كما أشارت إلى ذلك نتائج الدراسة المسحية الشاملة والحديثة التي أجرتها المجلة العربية، وبينت أنَّ 78% من إجمالي المجتمع السعودي يمارسون القراءة الحرة، وأن القراءة الحرة هي بمنزلة عادة لأكثر من نصف أفراد هذا المجتمع.

ولكن الأمر ما زال بحاجة إلى اهتمام مجتمعي ومؤسسي سواء على مستوى الأسرة أو مؤسسات التعليم العام والعالي وبقية المؤسسات الثقافية والمعرفية والبحثية وإلى العمل الجاد على نشر ثقافة القراءة، والاهتمام بها.

اتجاهات القراءة

فيما يلي أبرز نتائج الدراسة المتعلقة باتجاهات القراءة:

- 93% من القائمين على رعاية الأطفال بسن 12 عاماً فأقل، لديهم اهتمام بتنمية القراءة عند أطفالهم.
- 16.6% من الأطفال لا يجدون من يقرأ لهم.
- 88.2% من الكبار لديهم اهتمام بالقراءة الحرّة، الإناث أكثر من الذكور.
- هناك اتجاه نحو القراءة عند الكبار، مع إقرار نصف من شملهم البحث أنهم يفضلون مشاهدة التلفاز عليها.
- غالبية أفراد المجتمع السعودي تقرأ القرآن الكريم بانتظام، والأطفال أكثر قراءة له كل يوم.
- أقل أهداف القراءة في المجتمع السعودي عموماً هي إشباع الميول الأدبية.
- ما يقارب 80% من الأطفال والكبار يقرأون كتاباً ورقياً وآخر إلكترونياً خلال عام كامل، ما عدا الصحف والإنترنت.
- يفضل الأطفال المسابقات والألغاز، وأقل ما يفضّلون الكتب العلمية واللغوية المبسطة.
- 83% من القائمين على رعاية الأطفال ينفقون في مواد القراءة الخاصة بالطفل 100 ريال على الأقل في الشهر، مقابل 17% لا ينفقون أي مبالغ.
- غياب ثقافة ارتياد المكتبات العامة من أجل القراءة عموماً.
- ثلاثة أرباع الأطفال من سن 12 عاماً فأقل لم يتمكنوا من حضور معرض للكتاب خلال السنوات الثلاث الماضية.
- أكثر من يحفّز الطفل على القراءة هي الأم، أما الكبار فيحفزهم التأثير الذاتي.
- 70% من الأطفال ينجذبون لقراءة كتاب ما من خلال الألوان والرسوم.
- ثلاثة أرباع الكبار، يهتمون بمحتوى الكتاب أكثر من غيره من العوامل.

أنماط القراءة

وفيما يلي أبرز نتائج الفصل المتعلقة بأنماط القراءة لدى أفراد المجتمع السّعودي:

- ما زال أفراد المجتمع يميلون لتفضيل القراءة الورقية

الطفل العربي لا يقرأ خارج المنهج الدراسي أكثر من ست دقائق، لكنه يمضي وقتاً أطول أمام التلفاز من الطفل الأمريكي والأوروبي

عدد المواطنين لكل كتاب منشور

الدول العربية	19150
بريطانيا	491
إسبانيا	713

على القراءة الإلكترونية بفارق طفيف، مع أن التوجّه نحو القراءة الإلكترونية يبدو في تزايد كما توقع الناشرون.

- يفضل الأطفال استخدام المواد المرئية في القراءة الإلكترونية، ويفضّل الكبار استخدام الهواتف الذكية، أما في المكتبات، فقد حلّ الحاسب الآلي في مقدمة الوسائل الأكثر استخداماً.
- يفضّل أفراد المجتمع القراءة بالعربية.
- نسبة قليلة تفضّل القراءة في الحدائق والمتنزهات، والمنزل أكثر الأماكن تفضيلاً للقراءة الحرّة.
- الإقبال على المكتبات ضعيف، ويزداد نوعاً ما وقت الدوام الرسمي.

معوقات القراءة

- **أكثر معوّقات القراءة الحرّة عند الأطفال:** عدم وجود مكتبة عامة قريبة. انشغال الطفل باللعب. الأعمال تشغل الآباء عن القراءة للأطفال. لا يطلب المعلمون من الطلبة قراءة إضافية إلى جانب القراءة المقررة. لا تعاون بين البيت والمدرسة لتعزيز القراءة. ارتفاع أسعار الكتب. لا يجد الطفل متعة في القراءة.
- **وأقل المعوّقات لدى الأطفال، هي:** عدم وجود مكان مناسب للقراءة. ضعف البصر ومشكلاته.
- **أما أهم المعوّقات لدى الكبار، فهي:** وجود وسائل بديلة (تلفاز؛ ومجالس). عدم وجود مكتبة قريبة. عدم توافر الوقت الكافي. ارتفاع أسعار الكتب. محتويات المكتبة العامة قليلة أو غير مشجعة.
- **وأقل المعوّقات لدى الكبار، هي:** لا يجد متعة في القراءة. ضعف البصر ومشكلاته.

استهلاك المعرفة

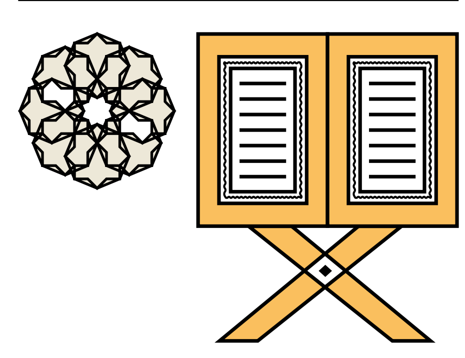
فيما يلي أبرز النتائج المتعلقة باستهلاك المعرفة:

- تحتل برامج الرسوم المتحركة مرتبة متقدمة في تفضيل الأطفال، وأقل البرامج مشاهدة هي البرامج التعليمية ثم الدينية. ويبدو السبب تقديم هذه البرامج بشكل جدّي ليست فيه مراعاة لجانب الطفولة.
- يفضّل الأطفال تصفّح عديد من المواقع الإلكترونية، والأكثر تفضيلاً هي مواقع الرسوم المتحركة، وأقلّها المواقع العلمية.
- القراءة هي وسيلة نصف عيِّنة الأطفال للحصول على المعرفة.
- يتضح أن مصادر المعرفة الرئيسة لدى الأطفال مرتبة تنازلياً، هي: الأسرة، والمدرسة، والروضة، والتلفاز ووسائل الإعلام، والكتاب، والمسجد، والإنترنت، والألعاب الإلكترونية، والأصدقاء والمجالس.
- مصادر المعرفة الرئيسة للكبار في المجتمع السّعودي، هي: الكتاب، ووسائل الإعلام، والمواقع الإلكترونية، والمدرسة، والجامعة، والمسجد، ومواقع التواصل الاجتماعي، والفعاليات الثقافية، والعمل، والأصدقاء، والمجالس واللقاءات العائلية، والديوانيات، والصحف والمجلات، والمنتديات والصالونات الثقافية، والأسرة، والألعاب الإلكترونية.
- أكثر وسيلتين يستغرق فيهما أفراد المجتمع الوقت، هما: الإنترنت، ثم التلفاز.

المكتبات

فيما يلي أبرز نتائج الدراسة المتعلّقة بالمكتبات، بصفتها مصادر معرفية:

- غالبية المكتبات تقدّم خدمة الإعارة الخارجية.
- 38.9% منها لا يتوافر فيها نظام آلي متكامل.
- غالبية المكتبات توجد لديها إحصاءات خاصّة بها.
- 85.5% من المكتبات في المملكة غير مشتركة في قواعد معلومات رقمية.
- 81.6% من المكتبات في المملكة لا تقتني كتباً إلكترونية.
- نصف المكتبات السعودية تعمل دون ميزانية، والتي تمتلك ميزانية كافية 3% فقط.
- يفيد المسؤولون عن المكتبات العامة بتوافر قسم نسائي في 19 مكتبة عامة في المملكة.



غالبية أفراد المجتمع السعودي تقرأ القرآن الكريم بانتظام، والأطفال أكثر قراءة له في كل يوم

حركة النشر

فيما يلي أبرز النتائج المتعلقة بواقع حركة النشر في المملكة:

- أكثر من نصف دور النشر السّعودية تنتهج النشر الورقي، وثلثها يجمع بين النشر الورقي والإلكتروني.
- تتجه دور النشر السّعودية نحو التأليف، ثم التحقيق، فالترجمة، وأخيراً الملخصات.
- يفضّل الناشرون السّعوديون المشاركة في معارض الكتب الداخلية بدرجة أكبر من المشاركة في المعارض العربية والدولية.
- تصدّرَ انتهاك حقوق الملكية الفكرية لأبرز معوّقات التأليف، بينما جاء في مقدمة معوّقات الترجمة؛ غياب برامج دعم الترجمة، أما أبرز معوّقات النشر؛ فقد تركزت على المواد المستخدمة في الطباعة، مثل غلاء سعر الطباعة والأوراق والأحبار.
- يتوقع الناشرون السّعوديون تقدم النشر الإلكتروني على النشر الورقي في المستقبل.

التوصيات

بعد استعراض النتائج، أمكن وضع مجموعة من التوصيات تتعلق بمحاور الدراسة:

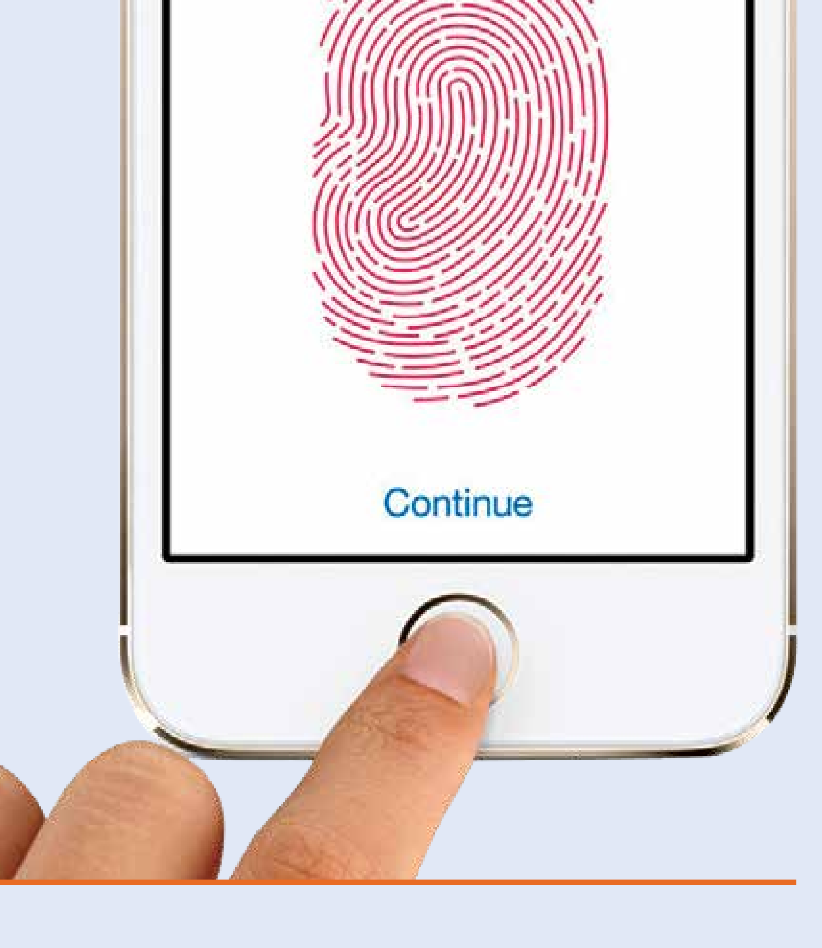
- بناء برامج لتوثيق التعاون بين الأسرة والمدرسة في تعزيز الاتجاهات نحو القراءة لدى الأطفال، ويوصَى باستثمار أندية الحي التابعة للمدارس.
- تنسيق الجهد الإعلامي لإنتاج برامج إعلامية تحث على القراءة، وعلى نشر ثقافة ارتياد المكتبات، وحضور الفاعليات المتعلقة بالقراءة.
- وضع برامج توعية للأمهات حول كيفية تنمية القراءة للطفل.
- دعم الدور المجتمعي للجامعات والكليات الأكاديمية؛ من أجل تعزيز واقع القراءة الحرّة، لا سيما في العطل وإجازات الصيف وغيرها.
- تشجيع أصحاب المبادرات الشبابية في مجال القراءة الحرّة، ووضع إطار مرجعي لهذه المبادرات.
- إتاحة الكتب للعامة في صالات الانتظار بالمطارات والمستشفيات، والحدائق العامة.
- مراجعة المناهج الدراسية للمراحل المختلفة، والاهتمام بإضافة حصص المطالعة الحرّة وكتبها في مؤسّسات التعليم العام.
- العمل على تطوير المحتوى الرقمي العربي الخاصّ بمرحلة الطفولة في الإنترنت والألعاب الإلكترونية والرسوم المتحركة؛ لكونها المحببة للأطفال.
- ضرورة الاهتمام بالصالونات الثقافية، وتوزيعها جغرافياً في أنحاء المملكة باعتبارها واحداً من مصادر المعرفة لبعض شرائح المجتمع.
- بناء مرصد معرفي يتولى مراقبة مدى التقدم في مؤشرات القراءة واستهلاك المعرفة؛ انطلاقاً من الخط القاعدي الذي وفرته الدراسة الحالية.
- زيادة عدد المكتبات العامة.
- فتح قسم خاص للفئة العمرية من 8 إلى 12 سنة في المكتبات العامة، وتزويده بالتجهيزات وأوعية المعلومات والمواد الثقافية المناسبة.
- فتح قسم نسائي في المكتبات العامة كافة.
- تزويد المكتبات العامة التجهيزات المناسبة والكتب والدوريات واشتراكها في قواعد معلومات رقمية.
- زيادة عدد المكتبات المتنقلة، وتخطيط توزيعها جغرافياً.
- تيسير نشر المحتوى الإلكتروني العربي بشكل عام، ونشر الكتب العربية الإلكترونية على وجه الخصوص في تطبيقات الهواتف الذكية.
- ضرورة تبني استراتيجية وطنية للنهوض بصناعة الكتاب في المملكة، وتذليل معوّقات التأليف والترجمة والنشر.
- توحيد الجهد الرامي لتطوير أدب الأطفال في المملكة ضمن المعايير العالمية.



الملف:

كوكب الهاتف الذكي

ذكي لأنه يتميَّز عن سلفه الجوَّال التقليدي الذي لم يكن ذكياً، بالقدرة على تقديم خدمات لا عدَّ لها ولا حصر.
ذكي.. لأن ذاكرته الذاتية قادرة على أن تخزِّن وأن تتوقع وأن تقترح، وأيضاً لقدرته على الاتصال بشبكة الإنترنت، ليصبح أقرب إلى جهاز كمبيوتر منه إلى هاتف.
هو اليوم ذكي، ولكنه يبدو قابلاً للتطور ليصبح فائق الذكاء، وربما عبقرياً فيما بعد. إذ إنه مع هذا السيل من التطبيقات الجديدة التي تطالعنا كل يوم، صار هذا الجهاز وسيلة لمشاهدة قنوات التلفزيون وقراءة الصحف، والاتصال مجاناً بأقاصي الأرض، وتحديد المواقع، وآلة تصوير وتسجيل، ووسيلة تسوّق وإدارة الحسابات المصرفية، وصندوق بريد إلكتروني، كما يمكننا من خلاله متابعة الدراسة الجامعية عن بُعد، وطرد البعوض من حولنا إن كنَّا في الغابة، وغير ذلك الكثير.. دون أن ننسى طبعاً التحدث من خلاله مع الآخرين.



لفترة وجيزة عند الإعلان عن اختراعه، اعتقد البعض أنه أمام منتج فاخر موجَّه حصراً للمحترفين. فإذا به اليوم في جيوب الجميع، يلازمهم كما ولو كان جزءاً من ملابسهم. وما هو أهم من ذلك، ليبدِّل الكثير في مسارات الحياة اليومية وأنماط العلاقات الاجتماعية. في هذا الملف يتفحص فريق «القافلة» هذا الجهاز الصغير الذي صار الصديق اللصيق بكل منا، ومفتاح العالم المحمول.

تختلف علاقة الناس بالهاتف الذكي، فهناك من استنكف عن متابعة هذه الموضة أو الحاجة من كبار السن، إذ ما زال يكفيهم أن يكون الهاتف وسيلة لإجراء مكالمة والرد عليها لا أكثر. وهناك من امتلكوا هواتف ذكية دون أن يستفيدوا من كل الميِّزات التي تقدمها، فما يحتاجونه منها ليس كثيراً. وهناك متابعو تطوّر الهواتف الذكية وأكثرهم من الفئات العمرية الجديدة، وهؤلاء ممن يقفون في طوابير أمام محال بيع الهواتف ما أن يعلن عن نزول نسخة جديدة أكثر تطوراً من سابقتها إلى السوق. لذا تحوّل الهاتف الذكي من سلعة يحتكرها عدد قليل من الناس إلى سلعة متداولة تؤمِّن الرفاهية الكاملة وعدداً لا يُحصى من الخدمات التي كانت تبدو من الكماليات قبل سنوات معدودة، ولكنها باتت اليوم من الضرورات التي لم يعد بإمكاننا الاستغناء عنها، بعدما ذقنا طعمها.

بين الهاتف الجوّال التقليدي والذكي

يختلف الهاتف الجوّال الذكي عن الهاتف الجوّال التقليدي في أنه يقدِّم عدداً من وظائف الحوسبة المتطورة وقدرات الاتصال المتقدمة إلى جانب وظائف الهاتف التقليدية الأخرى. وقد دمج أول الهواتف الذكية بين قدرات الهاتف التقليدي ومزايا الأجهزة السابقة عليه، مثل المساعد الشخصي الرقمي ومشغل الوسائط والكاميرا الرقمية، ونظام تحديد المواقع الجغرافي. أما الهواتف الذكية الحالية فهي تدعم مزايا إضافية أكثر تقدماً مثل شاشات اللمس المقاومة للخدوش، وكاميرات التصوير المدمجة ذات الدقة العالية غير المسبوقة التي بلغت 41 ميغابكسل.

ولكي يصنّف ذكياً، على الهاتف أن يتمتع بميزة تحميل التطبيقات عبر الإنترنت، ومنها تطبيقات الألعاب التي جذبت منذ البداية كثيراً من المستخدمين، ثم هناك التطبيقات التي تطال كل منتج أو معلومة، نظراً لسهولة تنزيل أي تطبيق على الهاتف طالما كانت الذاكرة ذات مساحة كافية.

أعلن مهندسون أمريكيون أنهم تمكنوا من اختراع جهاز بوسعه تحويل هاتف ذكي إلى مختبر متنقل يُجري اختبارات الحمض النووي

ولكونه ذكياً فإن عليه أن يدعم عديداً من قدرات الاتصال اللاسلكي مثل إمكانية الاتصال بشبكة «واي فاي» التي تتيح لمستخدم الهاتف تصفح الإنترنت، وتقنية «بلوتوث» التي تتيح له التواصل مع هواتف أخرى ومشاركة الملفات معها، وتقنية «الاتصال قريب المدى» التي تتيح مشاركة الملفات مع هاتف آخر بمجرد التواصل بينهما. لكن أبرز ما يجب أن يتمتع به الهاتف الذكي هو إتاحة التواصل لمستخدمه مع الآخرين، ومشاركة بياناته معهم عبر شبكات التواصل الاجتماعي العديدة مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب وإنستغرام وغيرها من مواقع التواصل الاجتماعي التي تتزايد وتتسع طالما أن انتساب مستخدمين جدد إلى شبكة الإنترنت يتزايد يوماً بعد يوم، وجميعهم يتمتعون بالفضول الكافي لتجربة كل جديد تقدِّمه الشبكة.

وما يميِّز الهاتف الذكي عن الهاتف الجوّال التقليدي، قدرته على قراءة الكتب الإلكترونية، خاصة بعدما أصبحت شاشات تلك الهواتف ذات قياسات كبيرة نسبياً، والقدرة أيضاً على تسجيل الفِديو بدقة عالية واستعراض الصور بطريقة جذّابة. كما يتميّز الهاتف الذكي بقدرته على مشاركة شاشته مع الشاشات الأكبر مثل أجهزة التلفاز العالية الوضوح، أو الحواسيب اللوحية، وكذلك القدرة على تبادل الملفات بينه وبين الحواسيب الشخصية.

تتطور الهواتف الذكية يوماً بعد يوم، وتزداد قدراتها وإمكاناتها بشكل مذهل، فأصبحت بعض تلك الهواتف تستخدم البصمة على سبيل المثال كنوع من الأمان لفك قفل الهاتف. ويستخدم بعضها تقنيات تتبع حركة العين لتصفح الإنترنت أو استعراض الصور بمجرد الإشارة الهوائية باليد. بينما كان الهاتف التقليدي يؤدي الهدف الرئيس الذي صُمّم لأجله، وهو إجراء المكالمات الهاتفية، وإرسال الرسائل النصية، مع قدرة محدودة في مجال التصوير ومشاركة الملفات عبر بلوتوث، وقد بدأت هذه الفئة من الهواتف بالاندثار التدريجي، وخلال سنوات قليلة مقبلة ستصبح من تراث اختراعات القرن العشرين، كما سيكون حال الهواتف الثابتة.

وبات الهاتف الذكي يتمتع بميِّزات كانت حتى زمن قريب مجرد أحلام أو أفكار تتعلق بالأفلام العلمية المستقبلية. فعلى سبيل المثال أعلن مهندسون أمريكيون أنهم تمكنوا من اختراع جهاز بوسعه تحويل هاتف ذكي إلى مختبر متنقل يُجري اختبارات الحمض النووي، وهو



ميكروسكوب يركّب على الهاتف الذكي، ما يسمح بدراسة الشفرة الوراثية لأي إنسان، مع تبيان جزئيات الحمض النووي. وهذه الطريقة الجديدة تسمح بتشخيص كثير من أمراض السرطان واكتشاف فيروسات صامدة أمام تأثير الأدوية والعقاقير الطبية. وبعد التقاط صورها الفوتوغرافية يتم إرسالها إلى مركز للبحوث العلمية عن طريق الهاتف الذكي. ثم تعود تلك الصور إلى الهاتف على شكل رسوم مفهومة للمستخدم.

ولو أردنا أن نختصر كيفية التحوّل من الهاتف الجوّال التقليدي إلى الهاتف الجوّال الذكي، يمكننا القول إنه في البدء كانت هناك الهواتف المحمولة والمساعدات الرقمية الشخصية (PDA). استخدمت الهواتف المحمولة لإجراء المكالمات فقط، في حين أن أجهزة المساعد الرقمي الشخصي، مثل «بالم بايلوت»، استخدمت لحفظ الملاحظات وكتابة النصوص والجداول، ثم اكتسبت قدرة الاتصال اللاسلكي وإرسال البريد الإلكتروني واستقباله. وهكذا، حين تمت إضافة ميزة الاتصال الهاتفي الخلوي إلى أجهزة المساعد الرقمي الشخصي... ظهر الهاتف الذكي، الذي راح يتطور منذ ذلك الحين بشكل مطّرد لا أفق لحدوده بعد، حتى بالنسبة لمخترعيه.

الهاتف التقليدي ومآله

في اللغة العربية يقال، سمعت هاتِفاً يَهْتِف إذا كنت تسمع الصوت ولا تُبْصِر أحداً. والهَتْفُ والهُتَافُ -بالضم- الصوت.
وهتفت الحمامة: أي صوَّتَت.
قال جميل:

أإنْ هَتَفَتْ وَرْقاءُ ظِلْتَ سَفاهَةً ... تُبَكِّي على جُمْلٍ لِوَرْقاءَ تَهْتِفُ؟

وقال أبو زيد: هَتَفْتُ به: مَدَحْتُه.
ويقال: فُلانَةٌ يُهْتَفُ بها، أي تُذْكَر بالجمال. وقوس هَتّافَةٌ وهَتُوفٌ وهَتَفى.
أي ذات صوت تَهْتِفُ بالوَتَر، قال أميَّة بن أبي عائذ الهُذَلِي:

على عَجْسِ هَتّافَةِ المِذْرَوَيْنِ زَوْراءَ مُضْجَعَةٍ في الشِّمَالِ

وقال الشَّنْفَرى يَصِف قوساً:

هَتُوفٌ من المُلْسِ المُتُونِ يَزِيْنُها ... رَصائعُ قد نِيْطَتْ عليها ومِحْمَلُ

وقال أبو النجم يصف صائداً:

أنحى شِمالاً هَمَزى نَضُوْحاً ... وهَتَفى مُعْطِيَةً طَرُوحاً

في اللغة العربية تدلّ عبارة «هاتف» تماماً على معناها، أي سماع الصوت دون رؤية صاحبه. ولكن ما هي حكاية انتقال الهاتف من الثبات إلى التحرّك. كيف فكّر المخترعون بتحويل الهاتف من آلة ملتصقة بالمكتب أو الطاولة وموصولة بالجدار بحبل كهربائي، إلى آلة يحملها صاحبها أينما ذهب، تتصل بالهواتف الأخرى بواسطة موجات لاسلكية؟

في العام 1972م تمكن الباحث مارتن كوبر في شركة موتورولا من اختراع أول هاتف جوّال، وعُرف باسم «الهاتف الحذاء». ويُعد هذا الهاتف، الجدّ الأول لكافة الأجهزة الجوّالة في العالم، ويتميز بكبر حجمه وطول هوائي الإرسال والاستقبال المثبت عليه. وفي العام 1987م طورت شركة نوكيا هاتفها الجوّال المعروف باسم Cityman، وفي تلك الأثناء كانت شركة موتورولا تجري تجاربها لتحديث أجهزتها وتصغير حجمها.

في النصف الثاني من تسعينيات القرن العشرين نجح عديد من الشركات في تصنيع أجهزة اتصال جوّالة خفيفة الوزن وذات كفاءة اتصال عالية. ورافق ذلك تطور شبكات الاتصال الخلوية وانتشار عديد من الشركات المتخصصة في تأمين تلك الخدمة.

أول رسالة نصية قصيرة تم إرسالها بين هاتفين جوّالين كانت في ديسمبر من العام 1992م

ساعدت على انتشار الهواتف الجوّالة الرسائل النصية القصيرة SMS التي انتشرت بشكل تجاري في العام 1995م، علماً بأن أول رسالة نصية قصيرة تم إرسالها بين هاتفين جوّالين كانت في ديسمبر من العام 1992م. ثم ظهرت خدمة الكاميرا في الهاتف التي أنتجتها شركة «شارب» في نوفمبر من العام 2000م، ثم توالت بعد ذلك التحسينات والتطويرات، حتى انطلق سباق الشركات الكبرى في التكنولوجيا لمفاجأة المستهلكين باختراعات جديدة تدخل في إطار الهاتف. فقامت شركتا موتورولا وأبل بتطوير هاتفهما الجوّال المشترك، الذي يتيح إمكانية استخدامه كمشغل للموسيقى iPod، بحيث يمكّن المستخدم من تحميل ما يشاء من الموسيقى من شبكة الإنترنت وتخزينها في جهازه. كما أدخلت خدمة الهاتف التلفزيون في العام 2005م في العاصمة الفنلندية. وفي كوريا الجنوبية تم تطوير خدمة تحميل الأفلام المرئية على الهواتف الجوّالة وقراءة عناوين الصحف، وفي اليابان كان العمل جارياً لتطوير شريحة «فيليكا» لتُدمج في الهواتف الجوّالة، التي تتيح خدمة دفع


مارتن كوبر









تطور الهاتف الخليوي خلال السنوات

المشتريات وحجز تذاكر الطائرات والقطارات والوصول إلى الحساب البنكي وتحويل الأموال بدقة وسرعة عالية حول العالم، وفتح أبواب المنزل، وتشغيل السيارة عن بُعد.

وتُعد الهواتف الذكية التطور الطبيعي التالي لأجهزة الكمبيوتر الشخصية، بل إنها خفَّضت من شعبية تلك الأجهزة بعد عقود من الهيمنة.

تقول الأرقام في صناعة الجوّال الأمريكية، إن السوق التي كان حجمها 3 ملايين دولار قبل 25 عاماً، صار حجمها نحو 30 مليار دولار. ويقال إن عدد الهواتف الجوالة في العالم يتجاوز الملياري جهاز، أي إن ثلث البشرية يحمل جهاز هاتف جوّال. فهل يمكن أن نتصوّر شيئاً ما في الكون تطوّر إلى هذا الحد بهذه السرعة؟

مستقبل الهواتف الذكية

قبل الكلام عن المستقبل التكنولوجي الذي تُظهره لنا الأفلام العلمية بشكل خيالي، لا بد من الوقوف على الحاضر التطوري لتقنيات الهواتف الذكية، وهذه التطورات باتت جزءاً كبيراً منها في تناول المستخدمين مثل الاختراع الذي كشفت عنه شركة «سيتيزين ساينسيز» الفرنسية وهو نوع جديد من الأقمشة يمكنه مراقبة الحال الصحية ودرجة الإرهاق لمرتديها. وتقيس أجهزة استشعار دقيقة مغزولة في نسيج القماش ضربات القلب وحرارة الجسم ومستويات التنفس، وترسل البيانات إلى هاتف محمول ذكي. وينضم هذا القماش إلى قطاع واسع من الأجهزة التي كشف النقاب عنها في المؤتمر العالمي للهواتف المحمولة والتي تقيس كل شيء من أنماط النوم إلى السعرات الحرارية والمسافات التي يقطعها المستخدم سيراً على الأقدام. وعرضت شركة «بروكتر آند جامبل» فرشاة أسنان موصولة بالهاتف المحمول توجه النصح للمستخدم ليعرف متى ينتقل من مكان في الفم لآخر لتحسين طريقة تنظيف أسنانه.

قطاع السيارات يتطلّع أيضاً لإدخال صناعة الهاتف الذكي في منتجاته. إذ كشفت شركة فورد عن نظام صوتي سيصبح علامة مميزة لجميع سياراتها الجديدة وهو قادر على الاستجابة لأوامر صوتية عدة منها مثلاً إعطاء السائق بيانات عن قوائم الطعام في المناطق وإرشادات للوصول إليها.

في التكهنات العلمية الأقرب إلى الواقع منها إلى الخيال، في الثلاثين سنة المقبلة سيكون هاتفك أكثر قدرة على الفهم الذاتي، فما أن تصل إلى غرفة الفندق سيقوم بالاتصال مع نظام التكييف والحرارة ويضبط درجتها بحسب تفضيلاتك الخاصة. وسيكون بمقدورك الوصول لأي جهاز إلكتروني في المنزل بلمسة إصبع حتى مصرف المياه في الحمام لتعرف متى كانت آخر مرة تم تنظيفه.

ولن يكون النسيان مشكلة مع الهاتف الذكي. ففي المستقبل سيتحوّل الهاتف إلى مسجل رقمي للأحداث والأماكن والتجارب التي تمرّ بها. حيث إنك عندما تدخل إلى قاعة مؤتمرات مثلاً فإن الحساسات في الجهاز ستتصل مباشرة مع هواتف الحضور مهما كانت أنواعها مختلفة، وتسجل أسماءهم لديك بالإضافة إلى أسماء وظائفهم وصفاتهم...إلخ.

وسيصبح الهاتف عميلاً استخباراتياً خاصاً بك، وسيترجم ما تقوله في الوقت نفسه ودون أي تأخير ومهما كانت اللغة التي تتحدثها، وسيكون جاهزاً لأن يخبرك ويقترح عليك ما تفعله كأن تتصل بصديق موجود في منطقة قريبة منك، وسيحدِّد الهاتف ما إذا كان لديك متسع من الوقت من خلال جدول مواعيدك المحفوظ سلفاً. ومن التقنيات التي ستستخدم قريباً، إمكانية عرض الهواتف لوسائل الوسائط المتعددة الثلاثية الأبعاد، وكذلك متصفحات الإنترنت ستكون متاحة في التقنية نفسها لتستعرض صفحات ورسوماً أكثر تفاعلية من ذي قبل، وستبدو التطبيقات والوسائط المعروضة كافة بارزة خارج الشاشات في التقنية





Cityzen Sciences



فرشاة أسنان موصولة بالهاتف المحمول من «بروكتر آند جامبل»

نفسها دون الحاجة إلى ارتداء نظارات خاصة لذلك. ولن يقتصر الأمر على الأمور الترفيهية، بل سيحظى عالم الأعمال بأهمية خاصة في عرض الصور البيانية والتقارير بشكل حي والكتابة ستبدو وكأنها على أوراق نحملها باليد. وهناك تكنولوجيا يَعدّها البعض خيالاً علمياً وهي إتاحة هاتف محمول بدون شاشة ليعتمد بشكل رئيس على الصوت وإصدار الأوامر الصوتية وكذلك التعرف إلى الأشخاص بالتكنولوجيا

تشير التوقعات إلى أن 90 في المئة من سكان العالم الذين تتجاوز أعمارهم ست سنوات سيحملون هواتف ذكية بحلول العام 2020م

الحيوية والعمل كمساعد شخصي يقوم بتصفح الإنترنت وقراءة ووصف محتويات الصفحات، والدخول إلى مواقع التواصل الاجتماعي ووصف المحتويات والتعليقات بأسلوب جذاب.

وبجانب أمان الخدمات المالية سيصبح الهاتف الذكي أشبه ما يكون بمحفظة للنقود لها عديد من الاستخدامات المصرفية والدخول المباشر إلى شبكات البنوك وإجراء المعاملات المالية والمضاربة في البورصة وحركات الشراء والبيع. وكذلك سيكون هناك دخول حي على مختلف المزادات العالمية والانتهاء من كل إجراءاتها دون الحاجة للسفر.

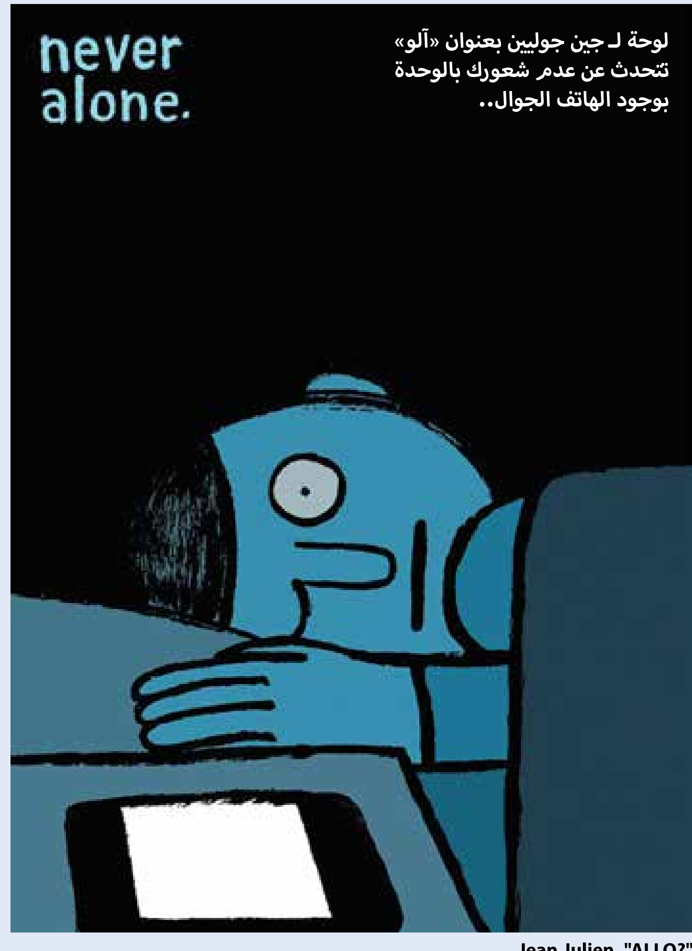
وتشير التوقعات إلى أن 90 في المئة من سكان العالم الذين تتجاوز أعمارهم ست سنوات سيحملون هواتف ذكية بحلول العام 2020م، كما يُتوقع ارتفاع معدلات اشتراكات الهواتف الذكية إلى أكثر من 6.1 بليون اشتراك خلال الفترة المذكورة، وقد ساهم انخفاض تكاليف الهواتف الخليوية ومزايا الاستخدام المطوّرة والتغطية المتزايدة للشبكات، في تحويل تكنولوجيا الاتصالات المتنقلة إلى ظاهرة عالمية ستصبح قريباً متوافرة للغالبية الساحقة من سكان العالم، بغض النظر عن العمر أو المكان.

المسألة الصحية

أما المتشائمون فيلجأون إلى الحجج المتعلّقة بالصحة الجسدية والنفسية كي يُقنعوا المستخدمين بعدم المبالغة في استخدام الهواتف الذكية. فطالما حذّر خبراء الإلكترونيات وخبراء الأشعة من بلدان مختلفة بأن التساهل أو التقليل من المخاطر الناجمة عن الإشعاعات الصادرة عن الهواتف المحمولة هو بمنزلة إخفاء معلومات عن المستهلكين، بعدما توصلت عدة دراسات إلى اكتشاف تغيرات بيولوجية تحدثها إشعاعات الهاتف في أداء خلايا الجسم.



أثر ثقل الرأس على الرقبة المتبدِّل بتبدُّل زاوية ميلان العنق للنظر إلى الهاتف



لوحة لـ جين جولين بعنوان «آلو» تتحدث عن عدم شعورك بالوحدة بوجود الهاتف الجوال..

Jean Julien, "ALLO?"

ومن النصائح لتجنب مضار الهاتف الجوّال، عدم الاتصال إذا كانت الشبكة ضعيفة، لأن الجوال يعمل بأقصى طاقته للتواصل مع الشبكة، والتكلم بميكرفون الجوال دون وضع الجوال على الأذن، ووضع السماعات في الأذن عند الاتصال فقط، وعدم لصق الجوال بالأذن لتبعد مسافة الإشعاع، وعدم حمل الجوال في الأماكن الحساسة من الجسم. وينصح خبراء طبيون بإبعاد الأجهزة الخلوية الذكية والأجهزة اللوحية قدر المستطاع عن السرير؛ لأن الأضواء الصغرى التي تصدر منها وتبقى مضاءة فيها بشكل متقطع أو دائم تسبِّب الأرق المزمن؛ لكونها تقلل من إفراز هرمون النوم.

وأظهرت دراسة أن نسبة الأشخاص الذين يعانون الأرق، ولا يحصلون على قسط كافٍ من النوم، ارتفعت إلى 20 في المئة في بريطانيا خلال السنوات الماضية. وهذه النسبة في زيادة الأرق ضخمة ومبعث قلق بالغ.

أما على صعيد العلاقات الاجتماعية فقد بيّن تقرير أصدرته جامعة «فرجينيا تكنولوجي» بأنه حتى دون الاستخدام الفعّال، فإن مجرد وجود التكنولوجيات المحمولة يعني تخفيض فرص الناس في إجراء تواصل بعضهم مع بعض وجهاً لوجه، وبالتالي، تخفيض طبيعة، وعمق، ومحتوى الاتصالات بين الناس. ويمنع الجوال الناس من ملاحظة تحركات عدسات العيون، وملامح الوجوه، واتجاهات الأيدي، وتفاصيل التمتمة، والتلعثم، والتردد.

المشّاءون بهواتفهم الذكية

عندما تتوقف السيارات عند تقاطع شيبويا الياباني الذي يُعد من أكثر التقاطعات اكتظاظاً في العالم، يمر مئات المارة منحني الرؤوس وأنظارهم مركزة على هواتفهم الذكية. وبات هذا المشهد يثير قلق السلطات اليابانية؛ لأن سلامة المشاة تصبح على المحك إذا تصرّف الجميع على هذا النحو.

ولا تقتصر هذه المشكلة على بعض المشادات الكلامية بين المتصادمين، بل تشمل حالات يُنقل فيها الجرحى إلى مستشفيات. ووفق رجال الإسعاف في اليابان، نُقل 122 جريحاً بين عامَي 2009 و2013م، إثر حوادث ناجمة عن حالات كان فيها المشاة يركزون على هواتفهم الذكية.

وقسّم متنزّه ترفيهي في جنوب غرب الصين أرصفته إلى قسمين، أولهما لحاملي الأجهزة المحمولة وثانيهما للذين لا يستخدمونها. وتتحمل الفئة الأولى من المشاة تداعيات أفعالها. وتدرس إحدى مدن ولاية نيويورك مشروع قانون ينظِّم استخدام المشاة للأجهزة المحمولة.

هذه بعض الأمثلة عن تحوّل الهاتف الذكي إلى رفيق ملاصق لحامليه في كل لحظات حياتهم، وقد انتشرت في الآونة الأخير أنواع من المعارض الفنية، فوتوغراف وفِديو وتجهيز، تتناول هذه الظاهرة التي انتشرت في العالم أجمع، أي استلاب البشر سواء أكانوا أفراداً أم جماعات بشاشة الهاتف الذي يحملونه، حتى يبدو وكأنهم هائمون في عالم آخر قد يكون أكثر واقعية من الفضاء الواقعي الذي توجد فيه أجسامهم.

حين تنتج شركة ما الجيل الجديد من الهواتف الذكية، نرى كثيراً من المهووسين بالتقنيات الجديدة ينتظرون أمام أبواب المتاجر الكبرى في المدن العالمية ريثما تفتح أبوابها، ليتسابقوا للوصول إلى الرفوف والحصول على هاتفهم الجديد. لم يعد هذا الصراع أو التسابق مصدر استغراب من أحد، بل على العكس صار جزءاً من فولكلور الحصول على التقنيات الجديدة، وهذا ما يسميه بعض علماء النفس والاجتماع بالإدمان، من دون أن يصلوا إلى تحديد نوعه وآثاره ومضاره تحديداً نهائياً. إذ إنه من أنواع الإدمان الجديدة في هذه المرحلة الانتقالية نحو عصور التكنولوجيا المتفوقة، وهذا الإدمان إذ يبدو واضحاً في التفصيلات الصغيرة كتأثيره على العلاقات الاجتماعية للمدمن وعلى نفسيته وجسده، إلا أنه لم يتبلور في التحليل تبلوراً كاملاً بعد، كمعرفة تأثيره على مجتمعات بعينها، أو على مستقبل الكائن البشري في علاقته بكل ما يحيط به في العالم الواقعي، الذي ربما يندمج مع العالم الافتراضي، ليشكلان عالماً جديداً من نوعه، هو خليط من الاثنين معاً. وحال الإدمان الرقمي أو التقني، أعطاه العلماء لقباً اصطلاحياً غير نهائي، وهو قابل للتغيير مع كل بحوث واكتشافات جديدة في عالم الإدمان الإلكتروني أو الرقمي. وهذا المصطلح هو: الشره الرقمي. فماذا يعني؟

تسبب انتشار الهواتف الجوّالة بمجموعة معقَّدة من المشكلات التي لم يكن يعرفها المجتمع البشري سابقاً، فتم إلغاء الخصوصية الشخصية ونقلت الحياة الواقعية للفرد إلى العالم الافتراضي لشبكة الإنترنت ليستعرضها أمام الجميع، وألغيت عادات اجتماعية كثيرة مثل تبادل الزيارات، والاتصال الدائم بين الأفراد مما جعلهم أقل قدرة على اتخاذ القرارات المهمة في حياتهم دون تأثيرات جانبية من الآخرين. ومما فاقم الوضع سوءاً إدخال خدمات تكنولوجية وتقنية جديدة في الهواتف الجوّالة وفي شبكاتها الخليوية كخدمة GPS والبلوتوث، وخدمات البث المرئي، مما أفرز مشكلات اجتماعية معقَّدة، دفعت عديداً من الدول إلى تقييد ومنع استخدام مثل هذه التقنيات الحديثة.



على استعداد للانتظار في طوابير طويلة للآيفون 6

الخصوصيات في الزمن الرقمي..!

قد يبرِّر أحد معارفك عدم اتصاله بك بانهماكه في العمل، أو قد يفسِّر تأخره في أداء عمل ما لسبب أو لآخر. ولكن ماذا سيكون موقفك منه عندما ترى على جهاز هاتفك أن هذا الشخص كان على لائحة أصدقائك الذين «يدردشون» لساعات دون أن يعلم أنك كنت ترى ذلك؟

في زمن الهاتف الأرضي التقليدي، كان بالإمكان عدم الرد على اتصال ما، وتبرير ذلك لاحقاً بعدم الوجود في البيت في ذلك الوقت. ولكن عندما يحفظ هاتفك اسم المتصل ووقت الاتصال، وكم مرة حاول أن يتصل بك، يصبح الرد إلزامياً.

إنها أمثلة بسيطة وقيِّمة. ولكن أثر الهاتف الذكي على الحريات الشخصية بات أخطر وأعمق وأكثر تعقيداً من ذلك.

فإضافة إلى تدني تكلفة الاتصالات الهاتفية والرسائل النصية، جاءت مجانية بعض وسائل الاتصال مثل فيسبوك وتويتر وواتس آب، وحتى مجانية المكالمات الهاتفية والفِديوية مثل «سكايب»، لتجرِّد الاتصال الهاتفي من «مهابته» كفعل يتطلب القيام به وجود مبرر. والذين عايشوا الهاتف الأرضي عندما كان وسيلة الاتصال الوحيدة، يذكرون أن اتصالاً هاتفياً كان يُعد مبادرة اجتماعية ذات قيمة تكاد تعادل قيمة الزيارة.

«أين أنت؟»، «ماذا تفعل الآن؟» من الأسئلة الأكثر شيوعاً عندما يكون الاتصال الهاتفي لمجرد التسلية، ومجانيته حولته عَرَضاً إلى تسلية ممكنة في أي وقت.

لقد تطلب الهاتف الأرضي المنزلي سنوات ليرسِّخ تقاليد استخدامه وآدابها. أما السرعة التي تطور بها الهاتف الذكي، فلم تترك مجالاً كافياً لترسيخ قواعد للاتصال وآدابه. فنشعر بالحرج من شخص لا تربطنا به أية علاقة خاصة يطلب منَّا إضافته إلى قائمة الأصدقاء على فيسبوك، فنفعل مضطرين، واضعين بين يديه كثيراً من خصوصياتنا وخصوصيات أصدقائنا أيضاً. وإما نجد أنفسنا مضطرين إلى فرض رقابة ذاتية صارمة قبل تحميل أي صورة أو رأي على صفحتنا.

هذا على المستويات الشخصية، أما على المستويات الأوسع، فكلنا نعرف أن الخوادم العملاقة في محركات البحث، ولغايات تسويقية وربما لما هو أكثر منها، باتت تسجِّل طبيعة كل بحث نجريه على الإنترنت لتغرقنا بسيل من الإعلانات التي تؤكد لنا أننا كنا مراقَبين، وأن هناك من يعرف طبيعة ما كنا نبحث عنه.

قد يقول البعض إنها قضية تتعلق بالإنترنت عموماً، ليست خاصة بالهاتف الجوال. ولكن يفوت هؤلاء أن الفرق بين الكمبيوتر والهاتف هو في أن استعمال الأول يبقى محدود المدة في الحياة اليومية، ومن السهل ضبط استخدامه بشيء من الحذر. أما الهاتف فهو رفيقنا طوال اليوم. وبالتالي، فهو بوابة جني الفوائد والسقوط في المحاذير المفتوحة 24 ساعة في اليوم.

فبتسهيل الاتصالات على أشكالها، يسرِّع الهاتف الجوال الذكي نتائج الاتصالات أيضاً، التي يمكنها أن تكون تطويراً سريعاً للعلاقات الاجتماعية، كما يمكنها أن تكون تقطيعاً سريعاً لها.



تعدد التطبيقات وأثرها على الخصوصيات الفردية

وجود التكنولوجيات المحمولة يعني تقليص فرص الناس في التواصل مع بعضهم لبعض وجهاً لوجه

وفي بحث حول مدى تعلقنا بهواتفنا الذكية، ومن خلال استعمال كاميرات خفية في مطعم كبير، تبيَّن أن أغلبية الآباء والأمهات الذين يأكلون مع أطفالهم يقضون أوقاتاً أطول يتحدثون في هواتفهم، بالمقارنة مع حديثهم مع أطفالهم.

المواطن الرقمي.. الحصانة والحماية للهاتف الذكي

بات إدمان الإنترنت مرضاً مُعترفاً به من قِبل الطب النفسي. وفي دولٍ مثل الولايات المتحدة، وكوريا الجنوبية، والصين، هناك عيادات متخصصة في علاج من يُعانون من هذه المشكلة. وفي بعض الدول، تستقبل عيادات إعادة تأهيل مُدمني المُخدرات أصحاب هذا المرض لعلاج أعراضه.

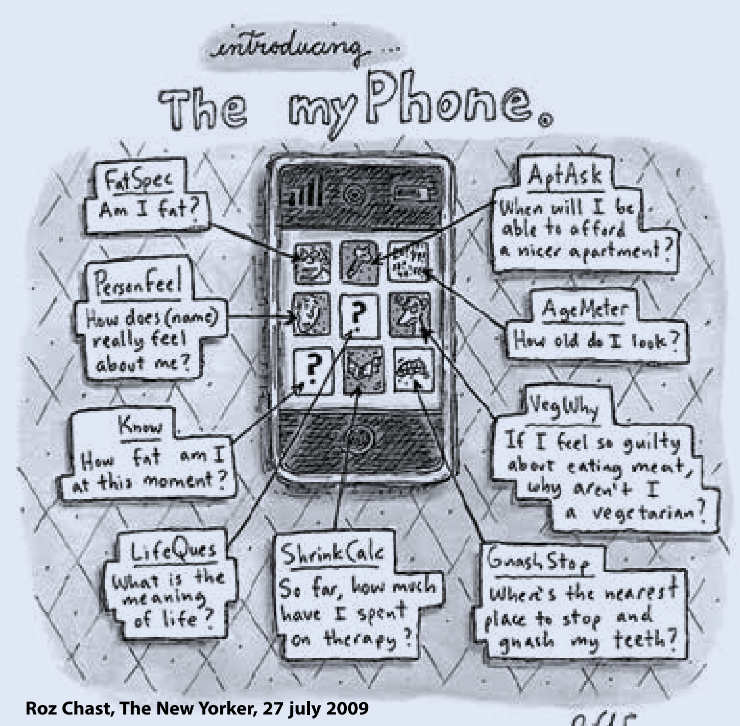
لنعد إلى أصل المشكلة. توصف المعلوماتيّة والاتصالات المتطوّرة بأنها «الثورة الرابعة» Fourth Revolution، بعد ثورات اللغة (التواصل عبر التجريد الفكري)، والكتابة (التواصل بالرموز)، والطباعة (التواصل عبر إعادة إنتاج نصوص المعرفة). وتعيش الثورة الرابعة مرحلة بناء الإشارات التعبيريّة والرموز الاجتماعيّة والثقافيّة التي تتناسب معها. كذلك تسود حال من التأرجح في المجتمعات «المشبوكة»، بين التركيز على الطابع الحاسم لتكنولوجيا المعلومات في هيكلية المجتمع، وبين رفضه، خصوصاً رفض «حتميّة» التقنيّة.

تطرح تلك التغيّرات أسئلة عن المواطن، بوصفه فرداً وعنصراً في المجتمع، ومشاركاً في شبكة رقميّة تجعله عنصراً في مجتمع افتراضي. ويوصل ذلك إلى سؤال عن مفهوم جديد: الديموقراطيّة التشاركيّة المستندة إلى الإنترنت، وهي متّصِلَة بالحديث عن «المواطن الرقمي» (Digital Citizen). ويشير مفهوم المواطنة الرقميّة إلى أسلوب من التعامل الشبكي، يتساوق مع رؤية جديدة للحياة الاجتماعيّة والحضارية. ومن الممكن أيضاً تعريف المواطنة الرقميّة بأنها حصيلة تجمّع النشاطات الرقميّة بما يسهّل «مشاركة المواطنين»، بالمعنى الواسع للمشاركة، في نشاطات المجتمع. وبعبارة أخرى، يشير هذا المفهوم إلى فكرة أن الشبكات الرقميّة تحفّز على تعزيز المشاركة، عبر تسهيل الوصول إلى المعلومات. في ظل هذا الانفتاح على التواصل السهل، تظهر أسئلة في سياق محاولة تحديد أشكال المواطنة الرقميّة، ترتبط بمدى تأثير الإنترنت في المواطنة. ما دور الإنترنت في الديموقراطية؟ هل توجد علاقة تربط التربية المدنيّة بالعالم الرقمي؟ ما هي تلك العلاقة؟ ما تأثيرها في الرأي العام في بلدان كالدول العربيّة مثلاً؟. وفي مثال على نشوء المواطن الرقمي فعلاً وقانوناً، وتحوّل الأجهزة الذكية وعلى رأسها الهاتف الذكي إلى جزء من كينونة الكائن



رسمة لفنان بعنوان: التواصل الاجتماعي يقتلك

James Joyce, Social Media is killing you



Roz Chast, The New Yorker, 27 july 2009

رسم ساخر نُشر في نيويوركر يعرض مجموعة من الأسئلة الشخصية التي لا يُمكن لإنسان أن يطرحها على آلة

التسوّق أو التسويق بواسطة الهاتف الذكي

ارتفع خلال السنوات القليلة الماضية حجم العمليات التجارية الإلكترونية عبر الهواتف الذكية التي تكاد تصبح بديلاً شبه كامل لأجهزة الكمبيوتر.

وتقوم بعض الشركات والمؤسسات الحكومية والخاصة بتقديم خدماتها عبر تطبيقات مخصصة للهواتف الذكية والأجهزة اللوحية نظراً لتعدد جوانب وأوجه هذه التطبيقات. فبعض العاملين في مجال التسوق الرقمي يؤمنون بأنهم يمثلون التوجه المستقبلي للإنترنت، من خلال الانتقال من تقديم الخدمات عبر المواقع الإلكترونية والتوجه إلى تطبيقات الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية.

وواجهت التجارة الإلكترونية تحديين أساسيين، الأول هو زيادة حركة مرور البيانات من وإلى المستهلك. والثاني هو التأثير على قرار المستهلك بالشراء. وكشف موقع «Business Insider» في تقريره حول التجارة الإلكترونية التي تتم عبر الأجهزة المحمولة «Mobile Commerce»، كالهواتف والأجهزة اللوحية، أن المتسوقين أصبحوا يلجأون هذه الأيام إلى هواتفهم لتسديد أسعار القسائم، أو البحث عن المنتجات، أو دفع مستحقاتهم إلكترونياً عبر الإنترنت، كما أصبحوا يستخدمون هواتفهم من لحظة البحث عن المنتج الذي يرغبون به، إلى لحظة الشراء.

ويتوقع «بنك أوف أميريكا» أن تصل إيرادات الشراء عبر الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية إلى 67.1 مليار دولار في أوروبا وأمريكا بحلول 2015م، كما يتوقع زيادة ضخمة في مجال التجارة المحمولة استناداً إلى حجم بيانات المرور بين الأجهزة اللوحية ومواقع متاجر بيع التجزئة على الإنترنت.

وتؤكد الدراسات أن العلامات التجارية التي توفر نسخة لمواقعها متوافقة مع متصفحات الجوال تزيد عملية شراء منتجاتها بنسبة أكثر من 73%، بحسب مركز «نيسلون» للأبحاث. ومن ناحية أخرى، تبلغ نسبة السعوديين الذي يتصفحون المواقع الإلكترونية من خلال هواتفهم الذكية إلى أكثر من 84% بحسب مركز «ipsos» للأبحاث.



البشري، أو أصبح الهاتف الذكي جزءاً من خصوصيته التي تحتاج إلى قرار قضائي لتفتيشها. فحرمة الهاتف الذكي باتت كحرمة المنزل، بعدما أصدرت المحكمة العليا الأمريكية حكماً يفرض على الشرطة الحصول على إذن قبل تفتيش الهاتف الجوّال لأي مشتبه به في خطوة لحماية الحريات المدنية في عصر الهواتف الذكية. ورأت المحكمة أن الهواتف الذكية تستحق الحماية نفسها من «عمليات البحث والمصادرة» تماماً كالممتلكات الشخصية مثل المنازل، التي ينص عليها التعديل الرابع في الدستور الأمريكي.

وكتب كبير القضاة جون روبرتس إلى المحكمة يقول: إن مبادئ «الآباء المؤسسين» للولايات المتحدة لا تزال قائمة وتطبَّق رغم تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين. وقال إن الناس يخزِّنون كمية كبيرة من البيانات الشخصية على هواتفهم وإن «كون التكنولوجيا الآن تسمح للفرد أن يحمل مثل هذه المعلومات في يده لا تجعل هذه المعلومات أقل استحقاقاً للحماية التي دافع عنها المؤسسون». وقالت المحكمة إن الاستثناءات لهذه القاعدة تنطبق فقط «لحماية سلامة الضبَّاط أو لحفظ الأدلة».

وجاء قرار المحكمة بعد قضيتين إحداهما تتعلق باعتقال ديفيد رالي الطالب في كاليفورنيا الذي أوقفته الشرطة أثناء قيادته سيارته واتضح أن رخصة القيادة قد انتهى سريانها. وعثرت الشرطة في سيارته على بنادق محشوة. وبعد تفتيش هاتفه الذكي وجدت أدلة تشير إلى عصابة محلية وعملية إطلاق نار سابقة.

وفي القضية الأخرى قامت شرطة بوسطن في عام 2007م بتفتيش هاتف بريما ووري ما قادهم إلى شقة عثروا فيها على مخدرات وأموال وأسلحة. ورفضت محكمة الأدلة التي تم العثور عليها؛ لأن ذلك تم من خلال خرق الخصوصيات المحمية قانوناً!

الأدب والثقافة في عالم الاتصالات الحديثة

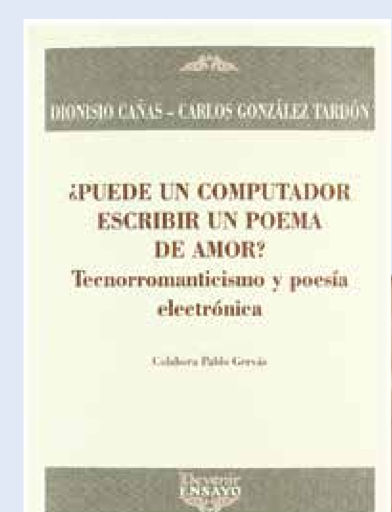
الاتصال في اللغة العربية هو الدعاء، أو دعاء الرجل رهطه دنيّاً (قريباً)، واتصل، أي دعا دعوة، ويقال: اتصل إذا انتمى. بينما تعرف الدراسات الحديثة الاتصال المعلوماتي، بأنه انتقال المعلومات والأفكار أو الاتجاهات والعواطف من فرد إلى جماعة أو من جماعة إلى فرد عبر الرموز التي تتحدَّد بالرسالة، وكذلك فإن الاتصال هو أساس كل التفاعلات الاجتماعية. فقد كان الاتصال يختصر بوظائف مهمة، أولها الهدف المعرفي، يتمثل بنقل المعلومات والخبرات والأفكار إلى الآخرين من أجل تنويرهم. والوظيفة الإقناعية، تكون حينما يكون القصد من الاتصال إحداث تحولات في وجهات نظر المجتمع. بينما ترى النظريات الحديثة أن عملية الاتصال ترمي إلى تحقيق وظائف رئيسة، هي: مراقبة المحيط من خلال الكشف عن كل ما يمكن أن يهدِّد أو يخل بنظام القيم لمجموعة ما أو العناصر التي تشكلها، وربط مجموعة الأجزاء المشكلة لجمع ما، لإنتاج استجابة تجاه المحيط.

ثم تنامت الثقافة الاتصالية أو علوم الاتصال والتواصل لتناسب المفهوم الشمولي أو المجتمع الشامل عبر مفهوم المدينة أو القرية العالمية ومن خلال شبكات الإنترنت التي جاءت ثمرة لتزايد استعمال الكمبيوتر والهواتف المحمولة التي باتت تسمى بالذكية لتمييزها عن قريناتها من الآلات التقليدية. والأدب والإنتاج الثقافي من بين المجالات التي تأثرت تأثراً واضحاً بهذا التطور.

وأقبل عديد من الكُتَّاب / المؤلفين ودور النشر على عرض إصداراتهم عبر الشبكة من خلال تقنية الكتاب الإلكتروني (e-book) الذي يشهد زيادات مضطردة في أعداد الراغبين باقتناء الكتب. وباتت هذه الكتب في متناول كل من يملك هاتفاً ذكياً موصولاً بشبكة الإنترنت، ويمكنه قراءة الكتاب مباشرة عبر هذه الوسيلة أو يمكنه ربطها بطابعة وتحويل الكتاب إلى ورق. ويجد البعض في الأمر توسعاً في نشر الثقافة والأدب، بينما يراه البعض سلبياً إذ يُلغي دور دار النشر كطابع وموزّع للكتاب ودور المكتبة كمتجر يبيع هذه الكتب.

لكن وعلى الرغم من ارتفاع صوت القائلين بالعودة إلى المطبوعة الورقية، إلا أن آخرين مندمجين في عالم الاتصالات الحديثة والتكنولوجيا الرقمية باتوا يتساءلون أسئلة مختلفة بعيداً عن المقارنة بين الورق وشاشة الكمبيوتر، من قبيل، «هل يقدر الحاسوب على أن يكتب قصيدة غزليّة؟ التقنية الرومانسية والشعر الإلكتروني»، وهو كتاب من تأليف الشاعر والناقد ديونسيو كانياس، وخبير ألعاب الفديو كارلوس جونثالث تاردون، بالتعاون مع المبرمج بابلو خرباس. وصدر الكتاب أخيراً عن «المركز القومي المصري للترجمة»، في نسخة عربية أنجزها علي منوفي وترجمها عن الإسبانية.

يبدو جليّاً أن مقولات ذلك الكتاب تضع على محك التدقيق مسلّمات من نوع أن «الكلمات هي التي تحرِّك



غلاف كتاب «هل يقدر الحاسوب على أن يكتب قصيدة غزليّة؟ التقنية الرومانسية والشعر الإلكتروني»



الهاتف الذكي يحوّل مستخدمه إلى فوتوغرافي محترف









أصبحت الكاميرا عنصراً رئيساً من عناصر الهاتف الذكي وإحدى وسائل الجذب التي تلجأ إليها الشركات المصنعة لزيادة مبيعات أجهزتها، ولذلك فإن أغلب الشركات العالمية تزوّد هواتفها الفاخرة بكاميرات متطورة تلتقط الصور بجودة فائقة. وعلى الرغم من أن الصور التي تلتقطها كاميرات الهواتف الذكية أصبحت على قدر كبير من الجودة، فإنها من الناحية التقنية البحتة لا تزال أقل تجهيزاً مقارنة بالكاميرات الفوتوغرافية المدمجة والكاميرات متغيرة العدسة. لكن مع ذلك فإن المستخدم يتمكن من خلال التطبيقات المختلفة من التقاط صور بجودة عالية بواسطة كاميرات الأجهزة الذكية. وقد ساهمت الهواتف الذكية في السنوات الأخيرة بتوثيق الأحداث التاريخية فيما سمي «صحافة المواطن»، أي المشاهد والأخبار التي يتناقلها المواطنون قبل أن تصل إليها وسائل الإعلام.

وعلى المستوى الشخصي، أتاحت للناس أن يعيدوا معايشة اللحظات المهمة مراراً وتكراراً مع الأهل والأصدقاء.

فكيف يمكن استغلال الهاتف الذكي لالتقاط صور أجمل وأوضح وأكثر تعبيراً؟

- حاول إبقاء الهاتف ساكناً دون أي تحريك أثناء التقاط الصور لتجنب الضبابية.
- استخدم الفلاش لتجميد الأجسام المتحركة. حتى لو أبقيت الهاتف ساكناً في يدك، فإن الصورة ستكون ضبابية في حال تصوير الأجسام المتحركة، لذا ينصح باستخدام الفلاش لتجميد الحركة، كما في تصوير الأطفال.
- تجنب استخدام التقريب الرقمي واقترب جسدياً من الشيء الذي تريد تصويره وتجنّب استخدام خاصية التقريب (الزوم)، فعلى خلاف الكاميرات الرقمية المتخصصة التي تستخدم التقريب البصري، تستخدم معظم الهواتف الذكية خاصية التقريب الرقمي (digital zoom)، وهي خاصية تُفقد الصورة جودتها.
- احترم خصوصيات الآخرين. فمن آداب التصوير احترام خصوصيات الآخرين لا سيما في الأماكن الخاصة. اسمح لهم بمشاهدة صورهم على الهاتف وأرسلها لهم. إذا طلبوا عدم نشرها فاحترم طلبهم.



كوكب الهاتف الذكيّ

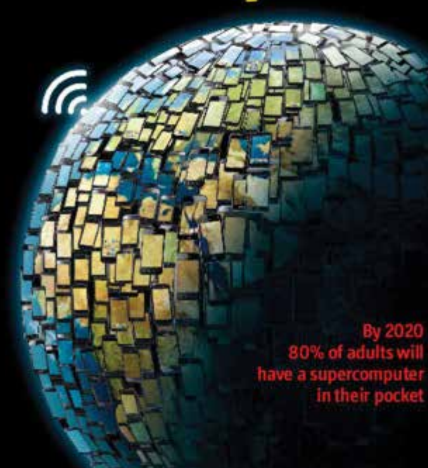
حين حمل ستيف جوبز في يناير من العام 2007م، الآلة التي سمّاها الهاتف الذكي، وعد الحاضرين بأن ما يحمله سيغيّر كل شيء.
وبالفعل، أصبح الهاتف الذكي السلعة الأسرع نمواً في الانتشار التجاري العالمي. فتفوّق على مبيعات الكمبيوتر الشخصي أربع مرات. واليوم، نحو نصف البالغين في العالم يحملون هاتفاً ذكياً، وفي سنة 2020م سترتفع النسبة إلى 80% من البالغين.
ويمضي الأمريكي العادي أكثر من ساعتين في اليوم وهو ينظر في هاتفه الذكي. أما المراهقون البريطانيون فأفادوا أنهم يفضلونه على التلفزيون والكمبيوتر وألواح الألعاب الإلكترونية.
لقد كانت الأرض كوكب السيارات إلى سنوات قليلة مضت، وصارت اليوم كوكب الهاتف الذكي. فالهاتف الذكي لن يغيّر حياتنا الفردية الشخصية فقط، بل سيغيّر دنيا الأعمال التجارية والصناعية والعلوم أيضاً. وهذه القدرة على التغيير سببها الحجم الصغير والوظائف المتعدّدة من قراءة ومشاهدة ونقل أخبار وفديو واتصال بالآخرين. وإذا نظرنا إلى سرعة التطوّر فإن المشهد مدهش، ذلك أن أصغر هاتف ذكي اليوم، له قدرة على الخزن الإلكتروني يفوق ما كان لوكالة ناسا الفضائية حين أنزلت إنساناً على القمر.
الهاتف الذكي يعرف من أنت، ومع من تتكلم، وأي مواقع إلكترونية تزور، وحتى أين تذهب. وهذا يجعل منه أقدر وسائل الاتصال في التاريخ، لا بين شخصين فقط، بل بين مجموعات من البشر، أكانوا عائلات أم شركات أم مجموعات أصدقاء أم أعضاء نواد.
لكن من سيئات الهاتف الذكي -فإن لكل تكنولوجيا وجهاً سلبياً أيضاً- أنه يسبب آلاماً في العنق عند إطالة الانكباب على الهاتف، وكذلك الإدمان وصرف الساعات من اليوم في أمور قد لا تكون مهمة. والعيب الأكبر هو الخوف على الخصوصية. فقد باتت المعلومات الشخصية الخاصة عرضة للتوزيع على الفضوليين. وصار في إمكان بعض القراصنة الإلكترونيين، «التلصص» على الهواتف، بدوافع سياسية واقتصادية وغيرها. إلا أن العلوم الاجتماعية يُنتظر أن تستفيد من هذا الوضع، لأن الهاتف الذكي أداة تسهِّل جمع عناصر الإحصاءات من عدد كبير من البشر، لتكوين قاعدة معلومات إحصائية وتغذية التحليل العلمي الاجتماعي بتوسيع آفاق النظر إلى المجتمع. وهناك من يرى أن الهاتف الذكي يزيد الدخل الفردي في الاقتصاد، ويعزز علاقة الأفراد بالنظام المصرفي، ويفتح مجالات أرحب للأفكار المبتكرة.
وفي النتيجة، فإن الهاتف الذكي وُجد ليبقى، ولا بد إذن من تطوير الوسائل الكفيلة بتعزيز فوائده، وحصر أضراره في أضيق نطاق. لقد غيّر الهاتف الذكي العالم حتى الآن في مدى ثماني سنوات، لكن هذه ليست سوى البداية.

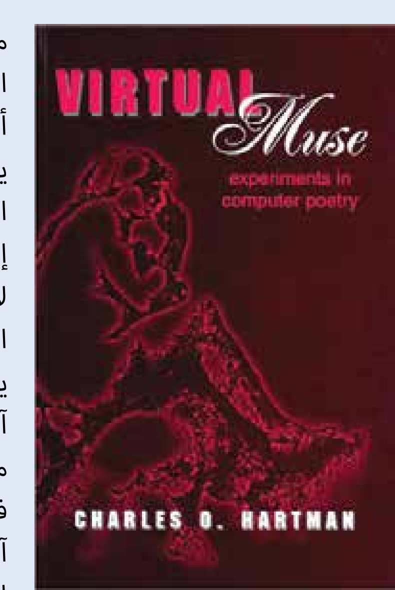
عن الـ «إيكونوميست»، عدد فبراير - مارس 2015 م



The Economist
Brazil's economic quagmire
The price of pandering to pensioners
America's oversold manufacturing boom
The theology of jihad
Mosquito sex and malaria







مشاعرنا»، إذ تطرح السؤال التالي: هل يمكن للعقل أثناء عملية القراءة أن يفصل الكلمات والكتابة عن المتسبّب فيها، سواء أكان إنساناً أم آلة؟ ويميل الكتاب لإعطاء رد إيجابي عن ذلك السؤال. وفي سياق مُتصل، يطرح المؤلفان سؤالاً دقيقاً آخر: إذا كانت اللغة هي ماكينة أبدعها الكائن البشري، فهل يمكن القول بوجود لغة آلية يستخدمها الكائن البشري للتعبير عن ذاته، وفق ما راود مخيّلات بعض السورياليين والروحيين؟ إذا كان الأمر كذلك، هل يمكن الحديث عن لغة آلية طبيعية (إنسانية) لها «صوتان» أحدهما بشري والآخر آلي؟.

يصلح الشعر الذي أنتجته برامج الكمبيوتر، ليكون تجربة لاختبار تلك الأسئلة. ويذكّر الكاتبان بأن تلك النصوص يمكن اعتبارها شعراً تجريبيّاً، بل يريان أنه «شعر آخذ في الانتشار»، حيث أخذ ينتشر خلال العقود الأخيرة بفضل الكمبيوتر والتقنيات الرقميّة المتطوّرة.

ويذكّر الكاتبان بكتاب «شيطان الشعر الافتراضي: تجارب في الشعر الكمبيوتري» (صدر في العام 1996م)، من تأليف الشاعر شارلز أو. هارتمان. ويشيران إلى أنه تحدّث عن تجارب تتسم بالبساطة الشديدة من منظور عوالم المعلوماتية، لكنها تستطيع أن تساعد في إعادة التفكير في الأشياء التي نعرفها تقليدياً عن الشعر واللغة. ولا بد من الإشارة إلى استضافة باريس في ربيع العام 2007م، لفعاليّات «المهرجان الدولي للشعر الإلكتروني»، وأن برشلونة كانت مقر الدورة الثانيّة من المهرجان نفسه التي انعقدت في العام 2009م.

وتتداخل عوالم القراءة والكتابة مع الهويّة الرقميّة عبر المستويات كلها، ما ينشئ تداخلاً بين النص وعوالم الفرد والجماعة. وتبدو أمور الهويّة الرقميّة متعلّقة بمرحلة الانتقال مما يسمى «التصنيف بالنصوص»، بمعنى توصيف المعلومات النصيّة والصور وغيرها، إلى تصنيف الأفراد عبر توصيف المعلومات المتعلّقة بهم. فظهرت، على سبيل المثال، إعلانات شبكيّة موجّهة وفق «بروفايل» الأفراد، وتتولى برمجيات ذكيّة رسم الإعلانات التي تصل إلى هذا أو ذاك، وفق نوعية الأصدقاء الشبكيين، ومعلومات الـ «بروفايل» وغيرها. وبذا، صار الأثر الرقمي للفرد مادة تجاريّة، بل إن هناك برمجيّات ذكيّة ترصد الأفراد في الزمن الفعلي على مدار الساعة، لتكوين خريطة عن توجّهاتهم وتكويناتهم وسلوكهم.

تأثير الهاتف الذكي على الحياة الواقعية

استناداً إلى مواقع علمية غربية متنوّعة، تنفق الحكومات والشركات والجامعات، قرابة 1.5 تريليون دولار سنوياً على البحوث والتطوير، وهو إنفاق غير مسبوق. ولو أسقطنا الرغبات الإيجابية على الواقع، يمكن القول إن العالم المعاصر يبدو وكأنه يعيش ثورة ابتكارات تخطف العيون وتبهر الأنفاس. في المقابل، هناك تشاؤم متصاعد في شأن الابتكار واستمراريته. والسحب المتشائمة تتراكم في الغرب، كما كان حال التشاؤم الفكري الذي سببته الثورة الصناعية الكبرى في أوروبا، التي أنتجت عبارة «تشيؤ الإنسان» أي تحويله إلى «شيء» يشبه الآلة التي يعمل عليها.

هناك إجابات متشائمة في شأن الابتكار المعاصر من مروحة واسعة من المفكرين، تمتد من أكاديمي أمريكي هو روبرت غوردن، إلى بيتر ثايل المستثمر الذي يقف خلف موقع «فيسبوك». إلى غيرهما من علماء اجتماع ونفس يحاولون الوقوف على نظرة أو نظرية تترجم واقع اندماج البشر داخل عالم الاتصالات والتكنولوجيا الجديدين فائقي التطور.

في المقابل، هناك من يعتقد أنه لا يجب التسرّع في كتابة تاريخ الابتكار المعاصر. إذ يتمثّل الإنجاز الأساسي للجيل الراهن من المبتكرين في المعلوماتية والاتصالات الرقمية، التي تشبه في أثرها على المجتمعات العالمية ما أحدثته شبكات الكهرباء. فكما جعلت الكهرباء الطاقة متاحة في الأمكنة كلها، كذا الحال بالنسبة لأثر المعلوماتية والشبكات الرقمية.

في صراع التشاؤم والتفاؤل، يستخدم كل طرف كافة الوسائل لإقناع مستخدمي الهاتف بحجته ونظرته، رغم أن منظّري دعم التكنولوجيا لا يحتاجون إلى كثير جهد لإقناع المستخدمين بحاجتهم إلى هذه التكنولوجيا، فمستخدم الهاتف الذكي بات بطبيعة الحال يلاحق كل جديد في هذا المجال، بل وهو يضطر إلى شراء الهاتف الجديد كي يتمكن من البقاء على قيد الحياة التكنولوجية والاستفادة من كل البرامج الجديدة التي تحملها الأجيال الجديدة من الهواتف والتي تتجدد كل سنة تقريباً.

مخطط التقادم Planned Obsolescence

وهو قرار يتخذه مصنعو المنتجات الاستهلاكية بحيث يجعلون من منتجاتهم عديمة الفائدة أو غير قابلة للتجديد خلال فترة زمنية معروفة. والهدف هو دفع المستهلكين إلى شراء المنتج الجديد.

عندما أصدرت شركة «آبل» الآي فون الجديد iPhone5 كان الهاتف الجديد أطول، وأرق. لكن التغيير الأكثر أهمية، أن البرامج الجديدة التي تستطيع تحميلها على الجهاز الجديد، لا تسمح لك الشركة بتحميلها على الإصدارات القديمة كالإصدارين الثاني والثالث للآيفون، وبالتالي تصبح هذه الهواتف كأنها من زمن آخر. والأمر هذا ينطبق على الشواحن أيضاً، ففي حالة عطب شاحن هاتفك القديم ستجد صعوبة في الحصول على مثيل له وقد أوقفت الشركة تصنيع مثل هذه الشواحن. فتضطر إلى شراء هاتف جديد فقط بسبب عدم توافر الشاحن لهاتفك القديم.

السؤال هو: ألا يمكن لشركة تصميم نظام يعمل على كافة الأجهزة سواء أكانت حديثة أم قديمة وإيصال التحديث باستمرار لجميع الأجهزة؟ بلى، هذا ممكن. لكنه مستحيل من ناحية الربح والخسارة؛ لأنه لا داعي بعد الآن لشراء الأجهزة الجديدة بما أن التحديثات ستصل المستهلك سواء أكان جهازه جديداً أم قديماً. وبالتالي فإن الخسائر التي سوف تتكبّدها شركات تصنيع الهواتف ستكون كبيرة جداً. لذلك تحاول شركات تصنيع الهواتف الادعاء أن الإصدار الجديد يتميز عن الإصدار القديم بإضافة بعض التحديثات غير نظام التشغيل، كوضوح الكاميرا وسرعة المعالجة والذاكرة الأكبر والشكل الجديد، لكي تعطي المشتري مبرراً للشراء.

ولكن هناك وجهة نظر مقابلة تدعي أن هذا المخطط يدفع الشركات إلى تطوير منتجاتها دائماً، ما أدى إلى التقدم السريع في التكنولوجيا.



دليل المعلِّمين لمحتوى القافلة

هذه الصفحة هي للتفاعل مع قطاع المعلّمين والمعلِّمات ومساعدتهم على تلخيص أبرز موضوعات القافلة في إصدارها الجديد، وتقريبها إلى مفهوم وأذهان الفئات العمرية المختلفة للطلاب والطالبات.



كتابة السيناريو

يستعرض باب «ورشة عمل» خصوصيات فن كتابة سيناريو الفِلم السينمائي، كلون أدبي يختلف عن القصة والرواية، ويمكنه أن يكون منطلقاً للتمارين على الكتابة وفق موجباته الخاصة.



لماذا ندفع البقشيش؟

موضوع في شأن حياتي يومي، يتناول «البقشيش» أو «الإكرامية» وطقوس ممارستها في مجتمعات عديدة، والفرق بينها وبين الرشوة.

علوم

الطائرات بلا طيار في الأفق

الطائرات بلا طيَّار

هذه الطائرات التي كثُر الحديث عنها في وسائل الإعلام ووصلت إلى الأسواق وباتت في متناول الكثيرين. ما هي حسناتها ومحاذير استعمالاتها؟



الهاتف الذكي

بات الكل يعرفه. ولكن آثاره على الحياة الاجتماعية، وقابليته للتطور المتسارع، التي يستعرضها ملف هذا العدد تشكِّل مادة صالحة للمناقشة والحوار.

القافلة

Al-Qafilah Bi-Monthly Cultural Magazine

A Saudi Aramco Publication

March - April 2015

Volume 64 - Issue 2

P. O. Box 1389 Dhahran 31311

Kingdom of Saudi Arabia

www.saudiaramco.com





Saudi Aramco website



Qafilah website